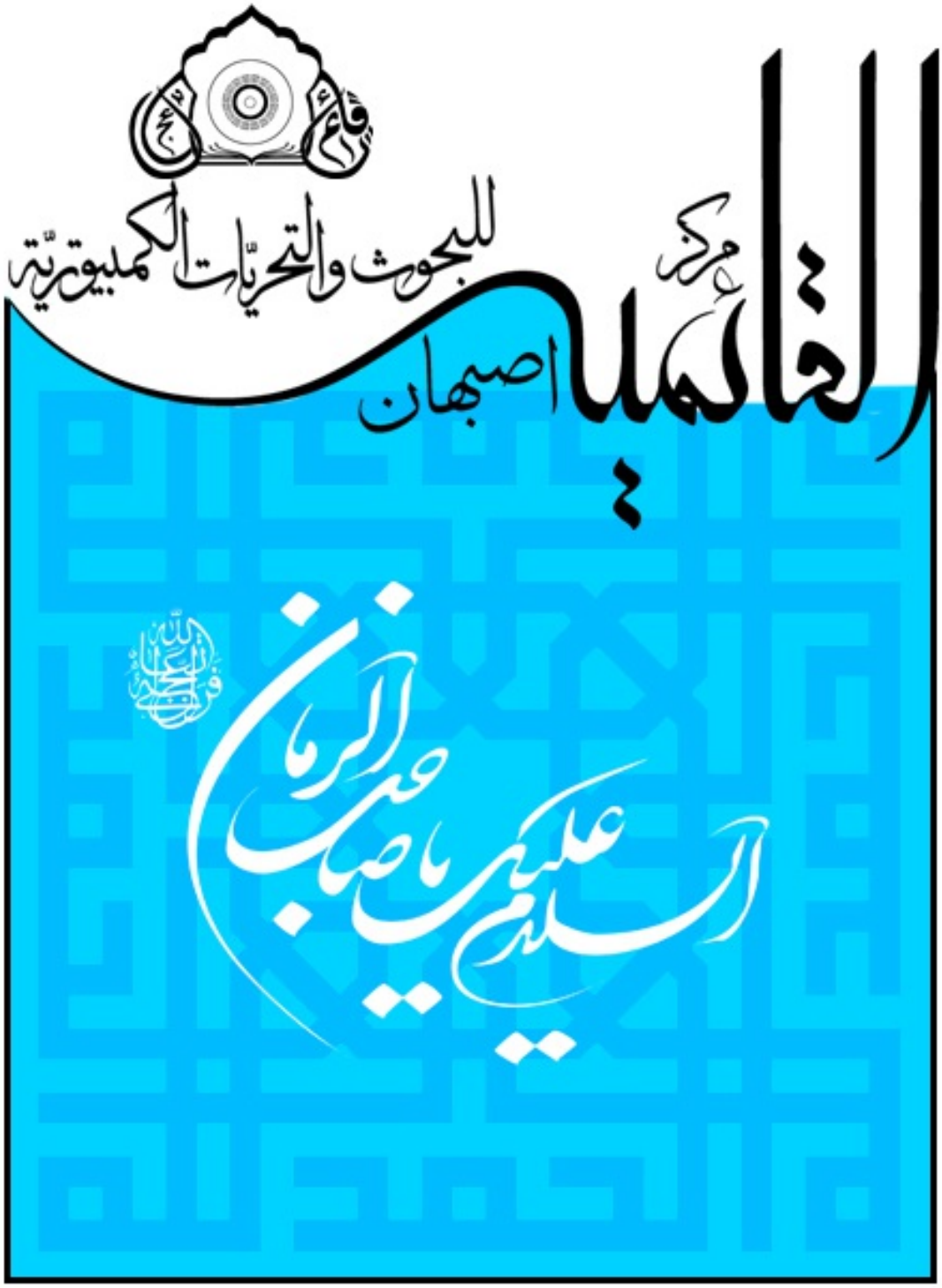

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

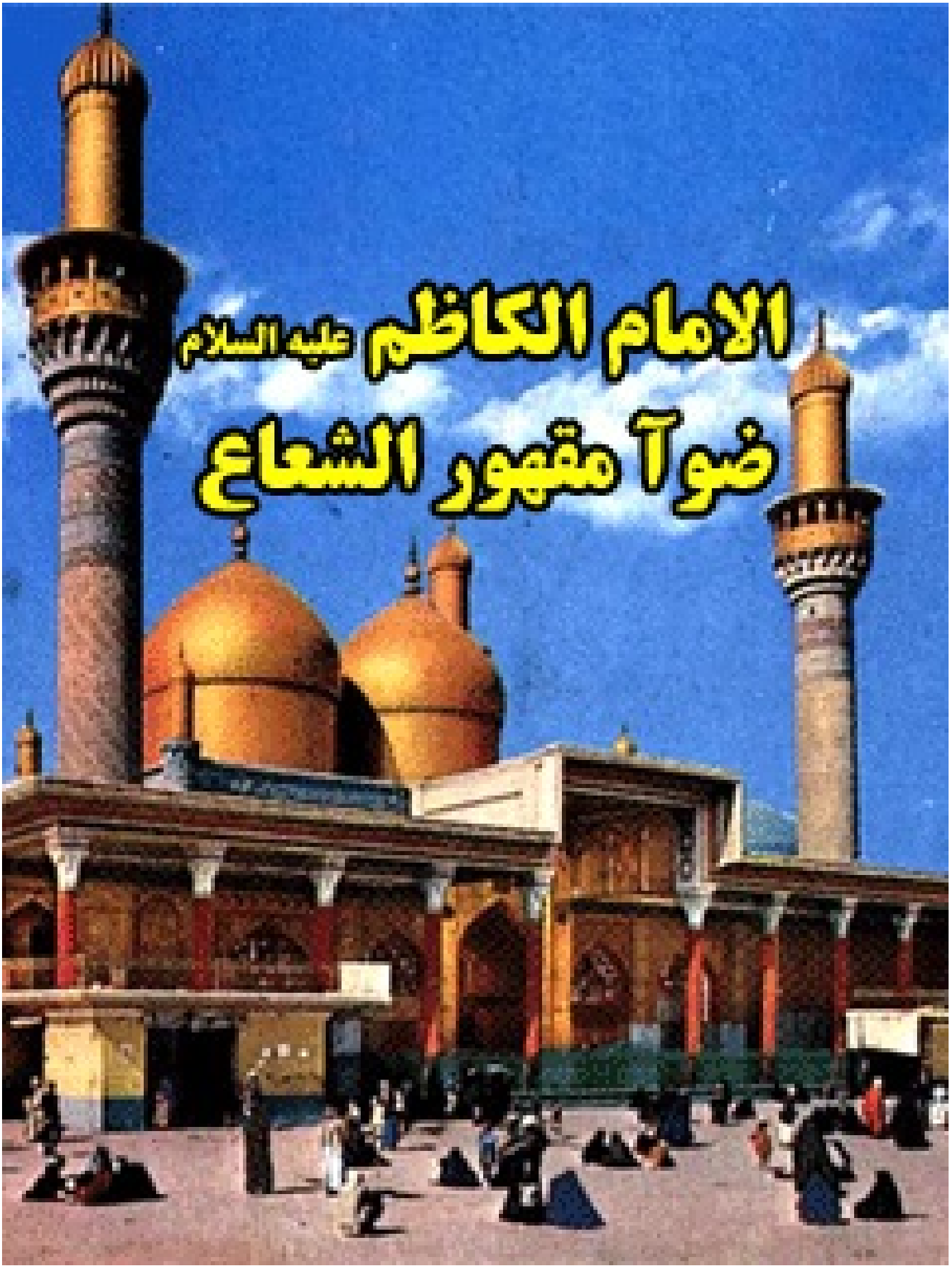
الامام الكاظم عليه السلام
ضوآ مقهور الشعاع

بسم الله الرحمن الرحيم

الامام الكاظم (عليه السلام) ضوآ مقهور الشعاع

كاتب:

سليمان كتانى

نشرت فى الطباعة:

دارالثقلين

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الامام الكاظم (عليه السلام) ضوآ مقهور الشعاع ----- ۹
اشارة ----- ۹
الكلمة الأولى ----- ۹
مقدمة الناشر ----- ۹
مقدمة ----- ۱۰
كلمة صغيرة ----- ۱۲
كلمة التمهيد: أيها الإمام المقهور الشعاع ----- ۱۲
مع الجذور ----- ۱۴
الانتظار ----- ۱۴
الرسول ----- ۱۵
بنوطالب ----- ۱۶
الإمامة ----- ۱۸
الإمام زين‌العابدين ----- ۱۹
الإمام الباقر ----- ۲۱
الإمام الصادق ----- ۲۲
مع موسى بن جعفر ----- ۲۴
الإرث ----- ۲۴
تمهيد ----- ۲۵
مع الامام الكاظم ----- ۲۵
موسى ----- ۲۶
فى الطريق ----- ۲۸
و فى الجامعة ----- ۲۸

و أیضا قبل الرحیل ----- ۳۰
الموجز ----- ۳۰
الحوار ----- ۳۱
المعضلة ----- ۳۴
الإمام موسی الکاظم ----- ۳۵
الکاظم ----- ۳۵
مناجاة الکاظم ----- ۳۶
خط الکاظم ----- ۳۷
اشارة ----- ۳۷
مع المنصور ----- ۳۹
اشاره ----- ۳۹
الفاصل (۱) ----- ۳۹
الفاصل (۲) ----- ۳۹
مع المهدی ----- ۴۰
مع الهادی ----- ۴۲
مع هارون‌الرشید ----- ۴۲
فی مقابر قریش ----- ۴۸
بعد الغیاب ----- ۴۸
بعد الغیاب ----- ۴۹
نداءات الإمام ----- ۴۹
تراثه الفکری، الروحی، الاجتماعی ----- ۵۰
اشاره ----- ۵۰
رسالته فی العقل ----- ۵۱
رسالته فی التوحید ----- ۵۲

اشاره ----- ۵۲
البداء ----- ۵۳
الإیمان بالله ----- ۵۳
العلم ----- ۵۳
العمل ----- ۵۴
مکارم الأخلاق ----- ۵۴
موسویة الإمام ----- ۵۴
القاب الإمام ----- ۵۶
اشاره ----- ۵۶
الصابر ----- ۵۶
ذوالنفس الزکیة ----- ۵۷
الکاظم ----- ۵۷
بابالحوائج ----- ۵۸
جسر الرصافة ----- ۵۸
حوار فوق جسر الرصافة ----- ۵۹
همس فوق جسر الرصافة ----- ۶۰
همس فی أذن الرشید ----- ۶۱
همس الهمس ----- ۶۲
الخاتمة ----- ۶۲
خواطر ----- ۶۲
فوق القناطر ----- ۶۳
هارونالرشید ----- ۶۳
والأمة ----- ۶۴
و أنت أیها الامام ----- ۶۵

و بعد الغد ---------- ۶۶

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---------- ۶۶

الامام الكاظم (عليه السلام) ضوآ مقهور الشعاع

اشارة

سرشناسه : كتانى، سليمان

عنوان و نام پديدآور : الامام الكاظم ضوآ مفهور الشعاع/ تاليف سليمان كتانى

مشخصات نشر : بيروت: دارالثقلين ، م۱۹۹۹ = .ق ۱۴۲۰ = .۱۳۷۸.

مشخصات ظاهرى : ص ۲۳۰

وضعيت فهرست نويسى : فهرستنويسى قبلى

موضوع : موسى‌بن جعفر (ع)، امام هفتم -- ق۱۸۳ - ۱۲۸

رده بندى كنگره : BP۴۶/ك۲الف۸

شماره كتابشناسى ملى : م۸۱-۹۳۶۳

الكلمة الأولى

انها تنويه عن تلازم مؤلف هذا الكتاب بتوجيه باقة شكر و تقدير و احترام لفضيلة الشيخ محمدمهدى التسخيرى، بصفته - ليس فقط - المستشار الثقافى للجمهورية الإسلامية العظيمة المهتمة بكل القضايا الإنسانية، المرسخة على الأخلاق و المثل و المزايا الكريمة. بل لإقدامه على طباعة و نشر هذا الكتاب الناطق بكل الفضائل الرائعة، و التى كان يتحلى بها الإمام موسى الكاظم، و هو الموسوى الأصيل الذى تتكنى به إيران العظيمة. سوف يكون... بمشيئة الله القدير... للقراء الأولياء... أن يندهشوا بالفضائل الكاظمية. فشكرا سخيا لفضيلة التسخيرى شقيق العلامة آيةالله محمدعلى التسخيرى - لقد تكرم بطباعة هذا الكتاب، و غمر القراء الكرام - بأمواج العطور. المؤلف [صفحه ۹]

مقدمة الناشر

منذ برأ الله الخليقة و أسكنها أرضه و سماواته و شرف الله من بينها الإنسان بما أودعه من بديع الصنع روحا و عقلا و مظهرا. اصطفى لها مبشرين و منذرين و هداة و أسوة، فأغدق عليهم من نوره و اصطنعهم لنفسه و ارتضاهم لخلقه و من بينهم الخاتم المصطفى صلى الله عليه و آله و سلم الذى أنار الله به و هدى. و عند انتقاله أودع علمه و حكمه و شرائع دينه عند من اختارهم الله رعاة للأمم بعد النبى صلى الله عليه و آله و سلم فكانوا نورا من نور فاستضاءت به أبصار هديت، و عشيت عنه عيون جهلا و حنقا. و لئن هام بنورهم أحبة و عشاق فلم يقتصر ذلك على المسلمين فقط، بل رأى فيه غيرهم ما بهرهم فهاموا عشقا و تلمسوا أن يقتربوا منه، أو ليس هو نور الله الذى لا يخبو و ممن صرفه الوجد عن غير هذا النور (أهل البيت عليهم‌السلام) و تعلق به مهجة و عقلا و روحا. يصابحه و يماسيه، يستشف له فيسير فيه، يتفيىء تلك الظلال فما ونى يطمع بمزيد و النور يزداد التماعا. أديب بارع و فنان مرهف الحس وهبه الله يراعا سخره فى ساحة أهل البيت عليهم‌السلام إنه الأديب الكبير سليمان كتانى دام علاه، فقد دنى من تلك [صفحه ۱۰] العتبات العالية و ما أحلى درره و غواليه عندما يقول مخاطبا رابع الأنوار الحسن عليه‌السلام «انها خطواتى الصغيرة الصغيرة تنقلت بى إلى الأعتاب الكبيرة الكبيرة وقفت بها - فترات من قبل - على عتبات ثلاث فإذا خلف كل واحدة منها محراب له عمق و له عطر و له سقف مد فوق السماوات. لقد كانت العتبة الأولى مؤدى الى رحاب أبيك و هى ملفوفة بالرضوان و كانت الثانية مبلولة بالشذا النهلان

بالطهر و هى منقوشة لأمك الصديقة تجمعها الى مريم بنت عمران زنانير مقبولة عن المثل و كانت الثالثة لجدك ابن عبدالله ذلك الذى وصل الشطآن بميازيب السحب و أغدق عليها همرات السلام» و واصل سليمان ترصيع عقوده متفيئا ظل الحسين المضمخ بالنجيع القانى ثم الى عتبة زين‌العابدين العنقود المرصع، فباقر العلم نجى الرسول والى صادق الآل ضمير المعادلات ثم ها هو يسترفد من ساحة الكاظم الضوء المقهور الشعاع. و نستمد من الله العمران يهب لسليمان عمرا يصل السلسلة حتى خاتمها و القلادة تكتمل دراريها. و دار الثقلين التى يجمعها بسليمان كتانى حب جارف و شوق مؤجج لأهل البيت عليهم‌السلام تتحف القارىء بدرة ثمينة تقاصرت حمم دون بلوغ شأوها التى دبجتها براعة هذا الفذ المنصف. تأمل أن تواصل عطائها برفد القارىء بكل جديد مستمدة من الله العون و هو الموفق. دار الثقلين للطباعة و النشر بيروت - لبنان [صفحه ۱۱]

مقدمة

بقلم الدكتور غالب غانم منذ أن كنت فى اليافع و الغض و المتوثب عمرا و ذهنا و توقا إلى المعارف فى ألوانها و معارجها جميعا، أتاحت لى الحياة، برضى و مباركة من العلى العظيم، فرص الاحتكاك باضمامة من حملة الاقلام المنورين، المتوزعين بين ذوى قربى و ذوى ود، أو المنتمين فى آن إلى أسرتى القربى و الود انتماء يزيد العلائق صفاء و رسوخا... و كان صاحب الأثر الذى أقدم له الآن أحد هؤلاء الأعزاء الذين تسنى لى، بفعل القربى و التقرب، ان امتع النفس بالتردد إلى مجالسهم، لأشهد كيف يتحدث الحكماء، و يحلم الراؤون، و تنز أقلام الموهوبين الصادقين حبرا لا يخون مصدرين - إذا خانهما كان الكلام باهتا و خاويا - هما القلب و العقل، بما لدى الأول من شهقات، و بما لدى الثانى من إشراقات. و ليس نافلا أن أذكر، فى هذا المطاف، أننى و الكاتب الاستاذ سليمان كتانى من تلك الغالية العالية فى المركز الطبيعى و الحضارى، المطلقة إلى عوالم الابداع علما بعد علم، المنفتحة على الدنيا لأن صدرها غير ضيق الأنفاس، المتفاعلة مع كل دعوة أبواقها صوت الحق و آفاقها مروج الخير... إنها مدينتنا الصغيرة الكبيرة بسكنتا، مسقط الرأس و حاضنة تراب السلف و المؤتمنة على أحلام الخلف، ابنة الجيل اللبنانى فى موقعها [صفحه ۱۲] العصى، و ابنة الموجات الحضارية فى جنان طبيعتها و مران تجربتها و ليان فكرها و بيان اهلها. من هذه الأرض ذات المناعات، و ذات الغنى و الجمال فى المتجلى من مشاهدها الخارجية و فى المختمر من كنوز العقل و مخابىء العمق بين ظهرانيها، يقبل المرء على الكتابة منطلقا مما زودته به البيئة، فلا يبدأ من فراغ، و لا يكون عليه إلا اعتصار الموهبة حتى يتظافر الخاص اللصيق بقدرات الفرد و العام الآتى من جهة المجتمع، لتوليد الأعمال الأدبية و الفكرية السوية. و من هذه الأرض ذاتها، أقبل سليمان كتانى على الكتابة غير مكتف بالعطاء الربانى و بالجهد الفردى توسيعا للثقافة و تفريعا لطرق الوصول إلى مواردها، لأنه أدرك ما للمجتمع من أثر فى تكوين الريشة و تلوينها و تحصينها. و المجتمع، بمعيار هذا الكاتب و بمطامحه، لم يعد أرضه الجبلية الجميلة و حسب - و إن لازمها طوال العمر - بل صار كل المباسط و الأمداء التى رحبت و تنوعت و لكنها توحدت و انضمت بعضا إلى بعض تشدها أمراس من حضارات لا تنقطع، و يؤجج نارها، كلما باتت على مشارف استكانة أو خذلان، فرسان صهواتهم رياح الحقيقة و التقى، و المثابرة الصبر، و الايمان و الوجدان الشفيف، و الكفر و النور المشع من الداخل الصغير إلى الخارج الكبير، كمثل فارس هذا الكتاب، «الإمام المقهور الشعاع». كل ذلك مع تذكير آخر يدعو إلى الغبطة و لو فى قلب المآسى، و هو أن الشعاع يظل شعاعا و أن قهر إلى حين، و الإمام يظل «إماما» و إن تعثر مسراه، إلى حين أيضا، بظلامات أسياف تجور، أو ببهلوانيات سيافين حملتهم ألاعيبهم إلى الشرود بعيدا عن حقول الجمال، و شلالات النور. [صفحه ۱۳] يقع الكتاب، فضلا عما فيه من مداخل و خواتيم، فى أطر أربعة متجانسة متماسكة تتدرج من الاصول إلى الفروع، بعد أن ارتسمت معالمها بفضل اليد الخبيرة المتمكنة من علم و فن مغلفين لأغلفة الروح. الإطار الأول منها يعود إلى الجذور، منذ أن كانت الجزيرة العربية، و الأمة، تشهدان «الأمين محمدا» فى رحلاته بين يثرب و الشام، «يأتى بما تنتجه الرمول، و يعود بما تنتجه الحقول»... حتى تفتق الرسالة العظيمة و توهجها... مع لمحات عن الطالبيين، و الإمام على، «و الطوق الإمامى البالغ الاثنى

عشر»، و بنی‌امیهٔ، و الامامهٔ علی العموم، و الإمامهٔ المثلثهٔ علی الخصوص (علی بن زین‌العابدین، محمد الباقر، جعفر الصادق).... وصولا- إلی خط علمی شقه الأئمهٔ، و إلی جامعهٔ أنشأوها فی المسجد حتی «لا تقفل بوابته ابدا»، و حتی یکون المصلی و الموئل الفکری فی آن. و الإطار الثانی الموسوم «موسی بن جعفر» یکشف النقاب عن الصفحات الأولی من حیاهٔ سابع الأئمهٔ، منذ أن کان جنینا فی «عزلته الممتصهٔ کل لواعج ابیه، و کل لواعج أمه». و صاحب الأثر هو من القائلین عن حق «بأن الطفل - و هو فی بطن أمه - لابد أنه المصغی - بإذن ذاته الجنینیهٔ - إلی کل دفقهٔ یدفق بها لب أبیه، و إلی کل نأمهٔ تنأم بها حشاشهٔ أمه، و هی کلها التی ستنزل مسجلهٔ - کالحفر - فی لوحهٔ صدره، و سیثغثغ بها لسانه إذ یجدها أمامه فی حقیقتها، بعد أن یهبط إلی الصفحهٔ التی تستدعیه إلی الهبوط!» ثم تکر الأیام، و یسلم الإمام الصادق الأب - قبل رحیل تسبب به السلطان - الأمانهٔ للإمام الابن فی خاتمهٔ حوار جال فی التاریخ - علی مراراته - جولته فی الغد المعقود اللواء لذوی العلم، و النصاعهٔ، و المواثیق الوفیهٔ. و للإطار الثالث عنوان هو «الإمام موسی الکاظم»، و مضمون کثرت فیه المعانی الضاربهٔ فی عمق أعماق الأمهٔ. [صفحه ۱۴] أما الامهٔ - یقول «و هی الطینهٔ التی نفخ الله فیها قیمهٔ الإنسان، فهی تلک التی راحت تصغی إلی همس صلاهٔ الإمام الساجد، و تأخذ منها العبرهٔ: بأن الحق هو صلاهٔ المؤمن، و هی رجاء إلی الله فی جلوهٔ النور فی عدسهٔ العین - و تمتین الصدق فی المهجهٔ، و بث الوعی فی خلایا السریرهٔ، و زرع الخلق النظیف فی النفس، و فی کل ما تختلج به الطویهٔ!» و بین الأمهٔ و الرسالهٔ و شائج کان الکاتب قد ألمح إلی بعضها فی الإطار الأول، حین قال عن الرسالهٔ: «... و لکن الإلهام لا یریدها أن تکون کالهیولی - مجرد وهم، و مجرد خیال، بل حقیقهٔ تجسید للفکر فی کیان من تراب - یبقی ترابا إن لم تخفق فیه نجاوی الروح فتجعله إنسانا، تحیا به أمهٔ یخلد بها الله الذی هو القیمهٔ المزروعهٔ فی مهجهٔ الإنسان». و فی هذا الإطار أیضا عرض لوجوه العلاقهٔ بین الإمام المبحر فی العلم من نحو، و خلفاء عباسیین من نحو مقابل، آخرهم هارون‌الرشید الذی، عندما جاهره التقی النقی بالحقیقهٔ، ردها إلیه رطبا مسمومهٔ أودت بحیاته فی الخامسهٔ و الخمسین. و للإطار الرابع المعنون «بعد الغیاب» جولهٔ فی تراث الإمام الفکری - الروحی - الاجتماعی، و أضواء ملقاهٔ علی رسائله، و تأملاته فی العقل، و التوحید، و الایمان بالله، و العلم، و العمل، و مکارم الأخلاق، و سواها... و جولهٔ أخری فی ألقابه و تأثره. و تصویر لأحداث الأیام الثلاثهٔ التی شهدت طرح جثمانه فوق جسر الرصافهٔ فی بغداد، حیث کان «دجلهٔ الخصب» - کما جاء فی الخاتمهٔ - یمر تحت القناطر، بینما الإمام، «دجلهٔ الحق»، ینهمر علی النفوس العطشی بدفقات المکارم. إن فی الکتاب، کما تبدی من عرض خطوطه الکبری، و کما یستبین أکثر و أکثر لدی الغوص علی الدقائق کلها، غنی «موضوعیا ینقل القارىء إلی [صفحه ۱۵] ولیمهٔ بسطت فیها طوالع الهدی، و ألوان الفکر، و عبر التاریخ، و سیر الصادقین، و آمال التواقین إلی الأنقی، و الأبقی، و الأکثر صلاحا و خیرا. و لا غرابهٔ فی ان تتدفق الحقائق و الخواطر، لدی الطارقین بابا کالباب الذی طرقه الاستاذ سلیمان کتانی، تدفق الینبوع الذی لا یبخل بذاته لیروی العطاش، و یوسع دائرهٔ الجمال. ذلک أن شجرهٔ الإسلام، هی من العمق، و البعد، و الظل الظلیل، - و قل الضوء البهی - ما یجعل الکلام علی أی فرع من فروعها کلاما» کثیر الزهر ثم کثیر الثمر. فکیف إذا کان هذا الفرع طالبیا، أو خطا بیانیا، یتتبع حلقات الأئمهٔ حلقهٔ حلقهٔ، منذ الأول ذی الحکمهٔ الجلی و قبضهٔ الخیر و الکرامهٔ، الفتی / السیف و السیف الناطق نقط الحق... حتی السابع موضوع هذا الکتاب، و هو الصابر علی الظلم، و الکاظم الغیظ فی دخیلهٔ نفسه، برهانا علی التقی، و الکبر، و هدوء النفس، و ذو النفس الزکیهٔ. و باب الحوائج، علی ما جاء فی بعض ألقابه المعالجهٔ فی الکتاب... و انتهاء إلی آخر السلسلهٔ الطاهرهٔ، الحاملهٔ أثقال الظالمین، و المعانیهٔ من أسی ما بعده أسی، و المصممهٔ علی الوصول إلی منتهی ما ینشده المؤمنون من أشواق، بفعل تحویل حجارهٔ المأساهٔ إلی صخرهٔ تبنی علیها قلاع الحقیقهٔ. و فی عودهٔ إلی صاحب الأثر، العزیز الاستاذ سلیمان، و لأقل «الخال سلیمان» کما أنادیه فی الغالب لأن قرابتنا هی من جههٔ الأمومهٔ - علما بأن القرابهٔ الأصلیهٔ فیما بیننا هی من جههٔ الانحیاز إلی الحقیقهٔ -... فی عودهٔ إلیه، أنوه بطائفهٔ من المیزات رافقت مرامیه الفکریهٔ، و نمطه الاسلوبی، و منهجه الکتابی. من ذلک أنه بات ممن یرکن الیهم فی مثل هذا اللون من ألوان التألیف [صفحه ۱۶] الطوافهٔ فی التاریخ الاسلامی، و فی سیر أهل البیت و مسارهم. و ما ذلک إلا لأنه فتح صفحهٔ بهیهٔ من صفحات ذلک التاریخ الثر عبر کتابه الأول الذی

سماه «الإمام على بن أبى‌طالب - نبراس و متراس»، فانطلق من القفزة الأولى، ثم كرت السبحة على المماثل أو المنافس أو المكمل من العطاءات الأخرى. و من ذلك أنه لم يكتف باستنطاق الأحداث لإعادة صوغها صوغا «حياديا»، أو باهتا، بل سكب فى أعراقها من تطلعاته الفكرية، و حملها قسطا من همومه الاجتماعية و الانسانية تجلى بشكل لافت فى نظراته إلى الأمة التى ينبغى أن تدفع «من هيضة سفلى إلى رتبة فضلى»، و البانية ذاتها «ببيكار أبجدى»، و التى هى الإمامة «و الأم الحانية الصدر على جميع أبنائها»، و الجزيرة العربية «المتفاعلة مع كل امتداداتها إلى كل جوار». و من ذلك أنه واجد لديه عناقا مثاليا بين مقتضى العقل، و مقتضى الوجدان، من سطور البداية حتى سطور النهاية فى الكتاب. و إنها بالفعل لميزة لافتة، أن ينقل إليك الكاتب أفكاره فيستهويك منه رجحان عقلى، كما تستهويك اندفاعات وجدان تجعل الوليمة العقلية المبسوطة أشد جاذبية و أطيب مذاقا. و من ذلك، أخيرا، أن له فى عالم الاساليب الأدبية نسيجا خاصا، مزهرا بالبيان، معمقا بالتأمل، نبضا بالحركة و الحياة. و ما أكرم هذا الاثر، سواء اشتق النعت من كرامة الإمام الذى زينه باسمه، أو من كرم الكاتب الذى جعل الكلام دفاقا عن عمق و حق، احتفاء و وفاء، و مشاركة فى تكريم الخط الموسوى المبارك بين خطوط الإمامة، و فى رحاب الأمة. غالب غانم [صفحه ۱۷]

كلمة صغيرة

إنها إليك الآن أيها القارىء العزيز سيرة الإمام! خذها بعينك، و لبك، و رجاحة أصغريك - سر بها - على مهل - من يثرب - حيث لفظته أمه الحميدة - حميدة - الى بغداد التى احتضنت جثمانه الشريف معروضا - ثلاثة أيام - فوق جسر الرصافة. ستحمله الجماهير على أكتافها، و على رأسهم سيد بغداد - هارون‌الرشيد - حيث يوارونه الثرى فى مقابر قريش... هنا يكون لك أيها القارىء اللبيب أن تكتشف: أن المسجى هو عظيم آخر ليس له أن يواريه التراب. أكثر من أن تلفه - بكل أوشحة المجد - أفاق السحاب. الدعوة: إنها الموجهة من مؤسسة الإمام الحسين فى بيروت إلى مطلق قلم يتسنى له تلوين الحروف بسيرة الإمام السابع موسى الكاظم، على أن يكون [صفحه ۱۸] القول - فى معناه المبيت - تبيانا عن حقيقة الإمامة التى هى - فى اثنى عشريتها - وحدة تكاملية، ليس لها من غاية سوى رزم الأمة بالتمرس الطويل، و بكل ما هو حق، و علم، و خير عميم. شكرا للمؤسسة الحسينية تنقل إلينا أشواقها - و ها انى واحد من المدعوين إلى غمار الكلمة. أتمنى أن يوالينى صدق، و عزم، و جلوة رؤيا؛ فالإمام الكاظم - يا لهفتنا عليه - لم يظهره إلا الصدق، و العزم، و جلوة الرؤيا - و كلها ميزاته... يا لسوء حظ الأمة، لو أنها انغمرت بهذى الميزات، لما كان لها أن تترك هارون‌الرشيد يستبد بموساها! و لبقى لها - حتى اليوم - موساها الغامرها بالمسرات!!!. و لتتقبلنى المؤسسة الكريمة - عبر الأمة، بمن فيها الإمام - متمنيا لها تحقيق المسرات. سليمان كتانى [صفحه ۱۹]

كلمة التمهيد: أيها الإمام المقهور الشعاع

بادىء ذى بدء أقول: عليك السلام أيها الإمام، ثم ارجوك أن تستمع إلى: لقد أحببت الدخول إليك من دون أن أقرع الباب، لأنى لم أرك يوما من أيام عمرك المكدود، أقفلت بوجه الغير لوحة باب؛ من هنا كان لى أن أفهم أن بيتك المقصود، لا- يجوز أن تحجبه عنا السدود، و لا أن تحجمه الحدود. و لكنى الآن - و بعد لأى من السنين - وجدت نفسى أمام باب بيتك بالذات أيها الإمام، و هاتف من صدى الحق يحفزنى للدخول... فقلت فى ظنى: و هل يجوز الدخول من دون قرعة باب توقظ الإمام من سبات طوله اكثر من ألف عام؟!! عفوك أيها الإمام... و قرعت الباب الذى لم يكن جائزا أن يقرع... و من فرط دهشتى الخالية من نباهة الذات، وجدتنى - وجها لوجه - واقفا أمامك، و فى عينيك يقظة واسعة - يشير إلى اتساعها - تقول: بأنك حتى الآن لم تذق طعم الوسن! و تأكد لى أيها الإمام - و أنا استرجعك إلى خاطرى من خلف طيات [صفحه ۲۰] السنين - بأن ما نذرت له عمرك، هو الباقى لك فى ممرات السنين، و هكذا ربطت ذاتك بالموارد ذاتها التى تعيش بها و تحيا، و بها تستمر و تخلد كل مجتمعات الإنسان. انا لا أظن -

ابدا - أن الإنسان يعيش و يحيا بغير انسانية لا تحققها له إلا مجتمعيته؛ و انت - ايها الإمام المندى - ما ضننت بنور شع من ناظريك، إلا و أقمته ضوءا لانارة عتمات الدرب الذى تمشى عليه اقدام الأمة، و هى - بحق - كل المجتمع الذى هو هيكل الأمة. و الأمة؟ انها وحدها التى اشتق منها النبى الكريم مهمة الأمامة، و حددها باثنى عشريتها المرهونة بمتانة التأسيس، و التركيز، و الانطلاق؛ و ها أنت الآن أيها الإمام، سابع مضىء فيها... و لا اقصدك «بالسابع» رقما حسابيا قائما بذاته، بل وحدة اجتماعية انضمامية فى مخطط واحد يكر، لا يجد وحدويته إلا بالتصاق الأمة بالمجتمع... و الأمة أو المجتمع - رغم الملايين المتنامية من افراده - هو واحد مفرد، لا يعززه إلا الالتصاق النامى بذريرات الطحين، إلى رغيف واحد، ما طيبه خبزا إلا التصاق الخمير بالطحين. ما أسعدنى الآن أراك أيها الإمام - و قد استعدتك من غيبوبات السنين - تسكب عمرك كله فى خدمة المخطط المرسوم فى غار حراء، من اجل التنقل بالأمة، من واقع بدوى جاهلى، كبلها بانحطاطات ما افترق كثيرا - فيها - انسانها عن الحيوان، إلى واقع آخر، سيتدرج رويدا رويدا إلى بحبوحة حضارية، يركزها العلم، و الدين المفسر بالوعى الروحى المنور بالصدق، و الخلق الكريم، و الاستقامات المركزة على المفاهيم الإنسانية المؤمنة بحقيقة المجتمع، و هو ابن جغرافية، ارضية، واضحة الحدود، ياخذ منها [صفحه ۲۱] أود عمره، و كينونة وجوده، و ليس له إلا فوقها سبب راحته و معنى استمراره و خلوده. تلك هى القيم التى رحت تشتهر بها أيام الإمام، و أنت تتشهى ترسيخها فى الأمة، حتى بها تتمكن من متانة البلوغ... و لقد بدا لى انها لم تكن شحيحة فى مداميكك، و انها - وحدها - قد وسعت باب بيتك، و جعلته مفسوحا من غير حدود. من هنا - بالذات - رحت اسأل الأيام عنك... و لست أعنى بالأيام غير السجلات التى تحفظ فى غرابيلها رزمة الأخبار. و لكن الأيام كلها، لم يكذب، و لا واحد منها، أى خبر عنك، فكل واحد من غرابيلها أجمع على أن المواهب كلها قد نلتها: صدقا، و عمقا، و ألوان نصاعة: فانت الذكى الذكى، آمنت بالرسالة، و ما مشيت إلا بها، و آمنت بالمجتمع، و ما نذرت عمرك إلا لتركيزه على الأسس السليمة التى ستنهض به إلى عمران، و آمنت بالحق، و شددت باعيك بمطلق بطولة، دفاعا عنه. حتى و لو ابتلعتك بطون السجون... عجبا - رحت أردد فى تطوافى المتأمل - و لم أتأخر - حتى فى هذه اللحظة الخاشعة - عن أن أطرق بابك حتى تطل على أيها الإمام، فأطرح عليك سؤالى المبطن بما يشبه آهات الحزن الباكى على الاطلال، و كنت أوجس فى ظنى، أن الاطلال ما أضاعها غير البكاء على الأطلال!!! و طرحت السؤال العالق منذ أكثر من الف سنة فى شعاب البال: لماذا أيها الإمام، و أنت فى تمام الصدق، و تمام العزم، و تمام التعبير عن توق اصيل يدفع الأمة من هيضة سفلى إلى رتبة فضلى - يبهو بها عنق المثال؟! اجل أيها الإمام، و انت متين القصد، و عزيز المثال... لماذا لم تستجب فى تحقيق نجاواك، و كان لك - بدلا عن ضعف المنال - ضعف الانخزال!!! [صفحه ۲۲] يا للجزاء: تلونه السجون بغياهبها! و تنديه الأفاعى بهذاك الزعاف!!! لم تجبنى أيها الإمام الماثل أمامى كما الرمح المصقول و الباقى - وحده - فى طرف الميدان... و اكتفيت بان رمقتنى بعينين، فيهما من لؤلؤ الدمع رجاء آخر. على أن أفسره، و أستجلى منه الجواب! فهمت أيها السيد - من صمتك الحزين، و من تلفلفك بلحظات الاصطبار، و من ماهيات تقبلك و طآت الهزيمة، - أن الانتظار - وحده - هو الموصل الأمة إلى اهدافها المهتزة برجاء الانتظار!!! و ما هو الانتظار؟ و لكنه هو ذاته الذى آمن به جداك الإمامان العظيمان: الإمام زين‌العابدين، و الإمام محمد الباقر،... ليكون مع ابيك الإمام جعفر، خطا مفسرا بجامعة علمية؛ تنشر القراءة، و الكتابة، و الثقافة، و ديباجة العلم، و روعة التدوين... سيكون للأمة رويدا رويدا - ما يقيتها، و ينميها، و يلونها: بالوعى و التثقف، و الادراك... و رويدا رويدا - أيضا - ستكون لها يقظات بينات تعلمها كيف تفتح عينيها، و اذنيها، و كيف تسدد قدميها على الدروب المزدانة بالحق، و النبل، و الكرم المزهى... إنها الامة - ساعتتلك - يوضح لها الوعى المصيب: اهدافها الحياتية، و انها ذاتها - هذه الأهداف - هى التى يكبلها الجهل باغلاله السود، و لن يخففها منه إلا مجال يحمله - رويدا رويدا - الانتظار!!!. و فهمت أيها السيد: أن الأمة كلها - بماضيها البائسين، الأموى و العباسى، و بحاضرها الآن، و هو لا يزال ملقوطا بذاتية التشريد - انما هى لا تزال حتى الآن فى الانتظار... اما الانتظار - بحد ذاته - فهو ان نعى نحن [نحن الأمة] ما تعنى أنت أيها الإمام من صوابية الانتظار. [صفحه ۲۵]

مع الجذور

الانتظار

لقد أخذ الإمام موسى عن سيرة الأمين محمد ما ركزه فى حقيقة الانتظار - من هنا سنراه صبورا، و متحملا كل أذى رشقه به الحكام، و بصبر قل نظيره. و لست أنت - أيها الإمام الكاظم - من رسم خطوط الانتظار، بل انه - بالتأكيد - جدك الأمين محمد، و بين يديه قافلة مرزومة بالطيب، كانت تشد رحلها الاشواق الغنية باللواعج، فى تفتيشها عن كل ما يسمو بالنفس من مجال وضيع و رتيب، إلى فضاء فسيح و قشيب، فيه تنفسح المعانى و تعذوذب، و بها تزهو الأحلام و تستطيب. و ما كانت أشواق الأمين محمد الا من هذا الصنف الذكى الذى استهوته الثرية خديجة، فأرخت عليه أثقال قافلتها المحملة بالمسك و العنبر، و بكل ما تنتجه الرمال اليابسة من بصيلات الحنظل. و لكن الأمين محمد، ما كانت له غدوة إلى الشام تحمل الخفيف الخفيف من اريج العبير، إلا لتكون له - بالمقابل - أوبة تحمل الرائع الرائع من أشواق الضمير. هنالك على الخط محطة أولى كان يستريح فيها امين القافلة قبل الوصول إلى مفاسح الشام، و ما كان التوقف فيها للراحة و الاستجمام، اكثر [صفحه ۲۶] مما كان للاستعلام و الاستتمام. أما الراهب بحيرا، فكان كثير الترحيب برجل، ما كان يلقى السلام إلا بعد أن يأخذ السلام، و هكذا كانت عملية الترحيب المستجاب و المستجيب، سلاما يعانق سلاما مفتوحا على رجاء، كما هو الفضاء على سماء... أما المحطة الثانية، فكانت تحصل فى انحاء المدينة، و فى أية زواية ظليلة يتخبأ فيها سجل مطل على اخبار امة، بها فيها شوق، و أزهرت فيه حضارة... دائما هو التاريخ - بكل احداثه الماضية، و بكل سجلاته الوافية - هو معرض كلام، و بحث، و اشواق ضمير، و لقد اولع كثيرا بالتاريخ الأمين محمد، المتعدد الرحلات على ظهر القافلة، اما ولوعه بهذا المقدار، فلأن رحلات الاقدمين من اجداده الأبعدين، شديدة الشبه برحلاته هذه، من يثرب إلى الشام: يأتى بما تنتجه الرمول، و يعود بما تنتجه الحقول، و لكن انتاج الرمول - و ان يكن ثمينا، فهو الشحيح، بينما الحقول تدفق منها فيوض الثمر. و رحلاته إلى الشام - و لو كانت تتكرر مرتين او ثلاثا كل عام - أين منها رحلات الجدود، فى القصى القصى من ماضيات العصور: لقد حصلت موجات اثر موجات، مع السومريين الأوائل، ثم - من غير حصر و من غير ترقيم - مع الأكاديين، و الكلدانيين، و الاموبين، و الاراميين، و الاشوريين، و الكنعانيين - الفينيقيين... من منهم ما ترك الجزيرة الام، بعد ان عبر الصحارى، و اكتشف حولها الأرض الممتدة الحقول، فأقام فيها، و تبنته كأنها الآم... و من ألف إلى الف إلى ألف من حلقات السنين، تحتم الوجود المبرى من دفوق الشمس و ميازيب السحب، و انبرت حضارات عبقرية الصبح، و مشرقة الافق... و ها هى الابجديات، و رص المداميك، و نهوض [صفحه ۲۷] القلاع، و امتداد القصور، و انشداد الالواح فى صدور السفن، تمشى بها الرياح فى عرض البحر، تذلل الموج العتى فيه خفقة المجذاف... انها كلها انشداد فوق الأرض التى انجذبت اليها قوافل المهاجرين من رمول الجزيرة التى اصبحت تعرف كيف تستخرج الطيب الثمين العطر من الأكمام الحنظلية، و تخزنه فى قوارير مختومة باصابع الفلين، لتعبىء بها سيدة فى يثرب - اسمها خديجة - قافلة لها أنيقة، سلمت قيادتها لأنيق آخر، ليس له اسم إلا الأمين محمد... انه الآن ينزح من يثرب إلى الشام، و يؤوب و فى جعبته احمال اخرى، راح يفتق - فى خلواته - أختامها، و ألغازها، و مراميها - و راح - أيضا - يشدد فى استيعابها، ليجمع منها ما يرده إلى أرض امه الجزيرة، فتبهو بأبنائها النازلين فيها، كما بها من قبل اخوانهم و قد نزحوا عنها - موجة اثر موجة - فى أموسهم الأولى، الى حيث تأقلموا و جمعوا من لحمتهم بالأرض، و الماء، و الهواء، مدنيات انسانية باهرة، سكبوا عليها من فضاءات السماء مواهب حافلة بالحب. و الكرم، و الآيات البينات... و لو لم تكن - هكذا - صادقة، لما أزهرت، و أثمرت، و أنجبت حضارات سبقوا بها منجزات الأرض بكل ما تجمع فوقها من مجتمعات. و اختلى الأمين محمد فى غار حراء - و كل افاويه الجمال تعبق فى أنفاسه - يدرسها، و يحللها، و يفكر فى نشرها على كل الجزيرة التى هى امه اليوم، و امه غدا، و امه - بنوع خاص - مع اخوانه الذين نزحوا، حاملين معهم عطر الأرض التى تركوها، و ما دروا ان رموسهم بالذات لا تزال حتى الآن تتطيب بها... و لقد هال الأمين محمد، و هو مختل فى الغار - ان

الأمـة التى فـاضت من صـحاريها فى القـديم من الزمـان، و امتـدت إلى أفـاريز الجوار، فضـمها [صـفحه ۲۸] الجوار بـأبلغ مما يتشـهاه الانضمام، و مما تتمناه جذوة النار، و هى ذاتها التى توصلت إلى انشاء حضارات توجتها الأبجدية بالفخار... فلماذا - هذه الأمة بالذات - تنكبت عن جادتها، و نست أنها كانت الأولى فى حبكـة الحرف، و فى فتلـة المغزال، و فى بريـة الازميل فى وجنة التمثال... و نسـت انها كانت الأولى فى روعـة المضـمار... و انها كانت الأولى التى و حـدت اقطارها فى مجتمع واحـد... فإذا هى امـة متينـة الجـدار: مع الأـراميين، و الاشوريين، و الكنعانيين الـذين زينوا الصـفحات بالحرف، و القلاع بالقناطر، و السـفن بالمجـذاف، و القصور بالمـدماك الأـنيق، و الإنسـان بالجمـال المهـذب بالصـدق و التقوى، و هما ظل الله فى مضـمر الإنسان... اجل، لقـد هال الأمين محمـد، كون امته الممتـدة من الجزيرة إلى كـل مـا حولهـا من جوار، قـد انشأت حضارات أنيقات المـدار... ثم يلفها البوار، و يفسـخها المسار - فتنسـى ذاتها، و تنسـى ما كان لها من فخار!!! و طال الاختلاء فى الغار، و انحصر استنتاج المختلى: بأن كل رحى تدور على ذاتها، تتفتت إذ ما يخرج بها - مدارها - عن نقطة المدار... و لو أن الله - سبحانه فى تركيز مشيئاته - أراد تفتيت كرة الأرض - لأزاحها بوصة واحدة عن نقطـة مـدارها لتتحول - فى نفخـة الريـح - هباء منثورا!!! و كـذلك الأمـة - امـة الأمين محمـد - لقـد تمثلها تهجر صـحاريها البدوية، لتتجمع فى الحقول المؤهلـة بحقيقـة الانتاج - و لما طاب لها الانتاج، و زادته طيبا فوحات العبير، جمعها الصدق ذاته إلى خوان مطهر، فانشأت حضارة حسـدتها عليها أمم الأرض. و ها هى الأمـة ذاتها، تجف و ريقاتها الخضـراء، و تذبل ثمارها الحمراء، لأنها - من دون شك - قـد منعت عن جـذورها ماء سـلسبيلا، و اسـتبدلته بماء عكر... و معنى السـلسبيل: صـفاء فى الجهـد، و تركيز فى [صـفحه ۲۹] الوعى، و وصول بالفهم إلى الحقيقة الناصعة التى يبتنى بها مجتمع الإنسان، و هى - هذه الحقيقة بالذات - لا ينورها، و لا يزكيها، و لا يرونقها، إلا الطهر فى المسـلك، و الجدية فى البناء، و الاسـتقامة فى الأخلاق، و الصدق فى الايمان... و كلها ركائز، تملكت فهمها - بعمق - تلك الأمـة، فبنت ذاتها ببيكار أبجدى، ما سددته إلا التقوى المنورة بالله - مصدر الفضائل - و ليست تسـتفيم إلا بها مجتمعة الإنسان. أما معنى الماء العكر، فهو - بغير جـدال - سـلوك آخر، كأنه - من البطر - انحراف عن الجادة العفيفـة التى تأبى أن تخالطها شعرة من دنس... و لاـ شـك ان البطر قـد دق بالامـة منقـاره الكـاذب، فتحول سـلسبيلها الصـافى إلى عكر عـاهر... و ما أن سـقت من جـذورها، تى تهرأت تلك الجـذور، ثم تلك الجذوع، ثم تلك الثمار، و لم يبق من المثال - مع الوقت الطويل - الا طيف من غبار!!! مـا من شـك أن الأمين محمـد - و هو المختلى الاختلاء الطويل أو الصادق، و البليغ فى الغار - قـد ألم بكل هـذه التحاليل، يجـد امام عينيـه الغـارقتين فى لجـج الهم - امته - و قـد فـاضت بهـا الغنـائم. و دلت اليهـا الميـاسم، فـإذا هى - فقـط - لتتـذكر الغنـائم، و لتتغنى بالميـاسم!!! امـا ان تعود إلى مبـادرة الحق، و إعادة المياسم إلى حركيـة الانباض... فتلك - لعمر المجـد - اطروحـة لا ترتجف بها إلا عزيمـة و مضـاء، لا يجعلها تومض إلا المجـد الآتى من مجتنيات العقل، و الروح، و مـدات البصـيرة. و ما من شك -أيضا - أن الأمين محمد تدثر فى الغار، بورق الغار، و راح يسـتنزل المجد من شـقوق سـقوف الغار، و هى الموصولة بميازيب السـحب... سيكون له من المجد المهل من الأبعاد الرهيفة، ما يجدل به آيات بينات، بانتظار ان يزنر بها خصر كل انسان يمشى على دروب الأمة... [صفحه ۳۰] و عندما تشتد الخصور بمتانة الزنانير، تعى الأمة انها ماشية على الدرب الذى سيوصلها - خطوة خطوة - الى استعادة ما ضيعته خطواتها الاثيمـة على جوانب الطريق، فهوى مسـيرها فى غيهب لن ينجيهـا من دهاليزه إلا صواب آخر يردها - حتما - إلى ايمانها الخلوق، و به مشت بالأمس حضاراتها الوسـيعة، و بالزيغان عنه فقدت قوتها العفيف، و جاعت إلى كل ما يسمى حقا و هدى! و ما طالت خلوة الغار خمسا و عشـرين حجة، إلا لأن الجهد المتين قد امتصها مصة مصة، و لما استوفى الجهد مضامينه، خرج من الغار، ليس فقط امينا - بل رسولاـ - و مـا أن اسـتوعبته شـغاف الروح حتى صـفقت له جوانحها، و آمنت به - نبيا - اما الأمـة، فهى التى تململت تحت الـدثار، و راحت يلملمها الانتظار، حتى تتم لها اليقظة، و يغشاها وعى يخطو بها إلى انتصار! [صفحه ۳۱]

الرسول

و من اطلاع الإمام موسى على جنى الرسول فى غار حراء. طيلة خمس و عشرين سنة بدون انقطاع، تركزت مفاهيمه لكل الأبعاد الفكرية و الرسالية التى لا يحققها إلا التصبر و الانتظار!!! لقد طال الانتظار فى هدأة الغار الى خمس و عشرين سنة، و لقد حسبناه طويلا - للوهلة الأولى - من دون أن نقيس، لا طول و لا حجم البعد المنقد من الجهد الطويل فى تحليل الأمة، و فى كيفية استرجاعها من وضعها الآنى الهزيل إلى ردحها الماضى الأصيل - و كانت النتيجة تمعنا بكل الأسباب التى أوقعت الأمة فى الخيبة - أما الأسباب فهى المختصرة و المحصورة فى انحياد الأمة عن حقيقة الصراط - اما الصراط فهو - أولا و اخرا - ايمان بالله العزيز، فى اعتباره احاطة بكل الفضائل، و من أجلها بهاء: الصدق، و روعة الاستقامات... فالعفة ردن منها، و الحق ردفها الوزان - اما العدل، فسحاب منهمر من المقلة العليا، و فيها كل الحب، و كل الاحاطة، و كل المنعة، و كل الوفاء... ان الله - جل شأنه - هو المحسوب مطلا علينا من عمق الأعالى المفسرة بكل نعم السموات... و من دونه - تعبدا و ايمانا - لا ضابط لنا، فى مجتمع انسانى زاه بالمكرمات، و لا وحدة تجمعنا، و لا صفاء يجلونا و لا أى من صراط. و انكب الرجل المديد الفكر، و المتسع العباب، ينشىء للأمة، بل للأمم كلها فوق الأرض - دستورا مقدودا من سماء تغطى الأمة، - بل الارض كلها - بالرجاء. [صفحه ۳۲] و كان الدستور ملموما بقرآن مكتوب بحروف الأرض، لا لتقرأه الأمة و تيبس فيه، بل من اجل ان تحيا و تنتظم به، مجموعة من شرودها الجاهلى، إلى وحدتها المرصعة بالوعى، و الفهم، و الإدراك... و عندئذ يكون لها - منه - حبل البقاء مجدولا كحبل الشمس فى نشر الضياء... و لم يتأخر الأمين محمد - عندما بلغ به الاختلاء إلى تمام الاستيعاب - لحظة واحدة عن الخروج من الغار، و فى عبه رسالة، هى من مجهود عمره فى البحث و الغوص، و التنقيب... ما أظن الرسول البهى - و هو الحامل الآن ابهى رسالة - إلا المستعجل النزول إلى الساحة الكبرى، فى مهمة ابلاغ الأمة - كل البنود الرسالية - القرآنية - الروحية - الحياتية... و من شأنها كلها بناء الإنسان، من أجل أن يكون - و لو بالتدريج - عضوا صالحا فى بناء امة يمكنها استعادة ماضيها الذى عبرت به عن جدارة فى الحياة التى هى حقيقة غاية الله - عز و شأنه - فى زرع الحياة فى مهجة الأرض، لينطق بها الإنسان، و يبقى ينطق بها بعيدا عن الزوغان! و ما اظنها - ابدا - قليلة مهمة الرسول، و لقد بقى طويلا فى الغار حتى ترتبت له حروفها... اما ان يقرأها للامة، و أن يشرحها لها، ليجعلها تعيها، و تفهمها، و تعيشها... فإن الانتظار الطويل سيلبث أطول من عمره، و حتى أطول بكثير من اعمار الذين سيلقى على كواهلهم تواصل الرعد الذى لا يجوز ان يصمت... و ان بناء أمة النبى - و هى المتلكئة منذ دهر طويل - انما هو بحاجة قصوى إلى صدق النبى، و إلى ابعاد مراميه... و ما اعز الصبر الذى انتهجه - بنوع مركز - الإمام الكاظم، حتى يتم الوعى المحتاج إلى طويل الانتظار، و حتى يتم فهم الرسول العظيم فى كل مبانيه و كل معانيه. [صفحه ۳۳]

بنوطالب

و درس الإمام موسى - مليا - أسباب تعلق الرسول بعلى و رأى أن الصدق و رجاحة المواهب فى على هى التى أغدقت عليه حبا و تقديرا، ما خص الرسول - بهما - أحدا من الناس... و انكب الإمام موسى على جده على، ينهل من صدقه، و من معين فضائله، على غير ارتواء!!! بكل اقتناع أؤكد على أن النبى العظيم محمد، ما استبدت به - مطلقا - أية عصبية ضيقة الذيل، خص بها أهليه و ذويه... فليكن له أن محض زوجه الأمينة خديجة، حبا مشبوكا باسلاك نجية، و هى - من دون ريب - تستحقها: فهى من أحب الناس إليه، و من أوفاهم صدقا و حدبا، و لأول مرة - إذ وقعت منها عين عليه - حسبته الطيف الوحيد المتجلى عليها من خلف أغلفة الغمام، فاندغمت به كما يندغم النور بعدسة العين... و كانت، بعينه هو، لا بعينها هى، ترى الكون - كله - بهجة نور. و ليكن له - أيضا - أن محض ربيبه الفتى عليا، حبا، و عطفا، و تقديرا، ما استوفى منه مثلها أحد من الناس... لقد كان الفتى على - فى حدس النبى - من أبلغ الناس لبا، و عقلا، و فهما، و احساسا... و من أنبههم عينا، و غوصا، و صدقا، و ادراكا... لقد ربى فى كنف البيت، و فى كنف الرسالة المشرئبة من سقوف الغار، كانه ظل الشجرة: يخضر إذ تخضر. و يبرعم إذ تبرعم... اما إذا دقت بها منجل غدر - فهو الزند الوحيد الذى يقصف المنجل!!! [صفحه ۳۴] و بعد ثلاثمئة شهر، خرج النبى من الغار، و فى عبه رسالة أطول من الف دهر... فما هى هذى

الرسالة؟ و كيف هو مبناها؟ و ما هو معناها؟ و من هو المرسل لها؟ و إلى من هى المرسلة؟ لم يكن فى البرج غير واحد يراقب تموجات الأثير كيف كانت تتحومل، و تتهافت نازلة من كوة مشغوفة فى سقف الغار، و لم يكن أحد فى الغار يتلقفها إلى وسيع جنانه، غير هذا المسمى محمد... انه المتأمل الوحيد الغارق فى لجة ذاته: [لقد كان المسافر الوحيد المتنقل، بقافلة خديجة، من يثرب إلى الشام، و من الشام إلى الوكر فى يثرب... لقد وزع - وحده - الطيب فى الشام، و حمل - وحده - الطيب الآخر الآتى به من الشام، لا- ليوزعه - فقط - على يثرب، بل على كل الرمول اليابسة التى تعيش فيها الجزيرة العربية، و هى أم مكة، و أم يثرب، و ام الهجرات اليعربية الغارقة فى خضم التاريخ، و لكنها الخارجة - أيضا - من الخضم المغبر، إلى تأسيس حضارات شهدت لها أبجدياتها الناصعة الطالعة من صدور بنى كنعان، ثم طواها الزيغان، فانقلبت حطاما انساها انها كانت، و انها ضيعت كل ما كان]. جميع هذه التأملات كانت تتخايل فى بال الأمين محمد، و هو فى عب الغار، يسترجعها بالدرس و التحليل، ليستخرج منها كل بند من بنود الرسالة... أما الفتى الصامد فى برج المراقبة... فمن يكون غير على، فى تعلقه المتلازم بابن عمه النبى؟ و لا النبى - بالذات - كان يطيق ابتعادا عن على، و لقد اعتبره طاقة منه، مشقوقة عنه، و لابد من أن تجمعه إليه حقيقة التلازم. [صفحه ۳۵] و كان التلازم فى مدرجه الحاصل باشتراك الفتى بخلوات الغار: مشاهدة و إصغاء لكل خفيف كانت تعتز به جنبات الغار - و هكذا كان للفتى - وحده - ان يرى، و ان يسمع، و ان يدرك مبنى الرسالة، و معنى الرسالة، و من هو المرسل، و من هى - بالتالى - المرسلة اليها... و لم تكن الرسالة فى صفحة أو صفحتين، لتقرأ بدقيقة أو بدقيقتين... فليكن لنا أن نفهم أنها من الغار أوسع من الغار، فهى من الفوق... كانها الالهام، و لكن الالهام لا- يريدها أن تكون كالهيولى - مجرد وهم، و مجرد خيال، بل حقيقة تجسيد للفكر فى كيان من تراب - يبقى ترابا إن لم تخفق فيه نجاوى الروح فتجعله انسانا، تحيا به امة يخلد بها الله الذى هو القيمة المزروعة فى مهجة الإنسان. تلك هى الرسالة التى استنزلها التأمل من مصدر الالهام، و سورها بدستور قرآنى يقى انسانية الإنسان من أى زوغان - و اراد ان يبلغها - هذى الرسالة - لبنى قومه، حتى بها يتيمموا و يتمكنوا من تهذيب شامل واحد، يلمهم إلى خوان - من الصدق - واحد... و هكذا - دون أن يدروا - و مع طول الوقت، و مع طول المران، سيتوصلون إلى تحقيق امة تستعيد اليها مجدا حادقا، كان لها أن تمتعت به فى سالف الزمان! لقد كان يعرف الفتى على، أن كل هذا هو جوهر الرسالة، و هو من مضمون الرسالة، و من معنى الرسالة، و أن الرسالة بالذات ليست موجهة - بالتخصيص - إلا إلى الأمة - امة النبى العظيم و هى المشلولة اليوم، و لكنها الناهضة - غدا - من كبواتها، لتكون - يوما بعد يوم - فى خطها الصاعد إلى تحقيق الطموح الذى حوشته لها خطوات الثلاثمئة شهر فى جوف الغار! نعود إلى النبى العظيم خارجا من غار، مفتشا عمن يسانده فى إتمام [صفحه ۳۶] المسار... و المسار طويل، يتطلب طول المجال، و صدق المجال، و لن تحظى الأمة بأى منال، إن لم تتركز - منذ الخطوة الأولى - على عزم أكيد، و صبر مديد، و جلد فى الانتظار، و لن يكون المنال بعد أن يقرأ القرآن آية آية، كأنه حكاية، بل بعد أن يصغى إليه ينثر، ثم يشعر به ينقش، لا فى الآذان، بل فى الأذهان، ثم يستمر به التبيان، من فرد إلى فرد، حتى تعم الأمة كلها حقيقة الفهم، و روعات البيان. أما النبى الكريم المولع بامته و لوعا لا حدود له، فانه لم يجد فى المضمار إلا عليا - وحده - يلبى النار بجذوة النار؛ فهفا عليه كانه السيف ملقوطا بغمده، لا لأنه طالبى تتنفس فيه رغوة الدم، بل لأنه الندرة الهابطة من شهوة الحق. و ليست إلا له قيمومة على رسالة تحيى امة، و امة تخلد رسالة... ألا فليكن على أول إمام، معصوم عن خطأ، و ليتسلم زمام الرسالة المختصة بالأمة، من جيل إلى جيل، حتى و لو دخلت المسافة إلى ألف سنة... و ليكن من صلبه - لهذه المسافة - طوق إمامى يبلغ الاثنى عشر. من أجل أن تبقى مسافة متواصلة الربط و الشد - لأن المجال الطويل يمتن المران، و يوسع آفاق الهداية، - و الأمة - و قد ضاق منها المران، و ضاقت عليها آفاق الهداية، انما هى اليوم باشد الحاجة إلى ما يردها إلى ضبط الزمام! اما الطالبية - أردف النبى الجليل يفسر - و ان تكن شعارى فى اعتزازى بدوحات الجدود، غير انى أحسبها حجرا من حجارات المداميك المشدودة بها قلعة الأمة، و لن يكون هذا الحجر متينا إلا بمتانة كل الحجارات المتكاملة بها رصفة الأمة... و هكذا كان اهتمام النبى بتشديد أزر على فى تولى الزمام، لا تعزيزا لبنى طالب، و انتقاصا من بنى خزاعة، أو بنى اميه، أو بنى سليم و مخزوم... بل تشديا للأواصر

- كل الأواصر - و لم يكن التخصيص [صفحه ۳۷] برجل معين، إلا- لأنه الرجل الموهوب و هو - وحده - الآن يتمكن من ضبط الأواصر، و نقل الرسالة بجميع ابعادها الطالعة من سرية الغار، إلى الأمة الغافية، و التى - بنوع خاص - لابد من أن تكون على مثل هذا الانتظار! و بعد جولات و جولات فى ساحات الصراع و الاصطراع،... آمنت الجزيره حتى فى لا وعيها المزعج - بالنبى الحامل اليها كتابا... لقد بهرت به، لأنه ضخم - كما يبدو - و ان لم تعرف كيف تقرأه!!! و لكنها صدقته. لأنه شعرت بأن فى عزم حامله صدقا - و شوقا - و جهدا مبلولا بدم. [صفحه ۳۹]

الإمامة

و أعطى الإمام موسى العمق كله فى دراسة الإمامة فى كل مضامينها التى ادعتها الخلافة - و اصبحت الدراسة هذه فرعا من معارف الإمام موسى، و لقد ألم بها!!! و الإمامة: و لقد افترضها النبى الجليل و ابتغاها، و أوصى بها قبل ان يمم جنان ربه - انما هى منه و له فى كل مبانيها و معانيها، و لقد جعلها تمارس تحت عينيه، و امام مجالات تبصره، من دون أن يزيح عليا من تحت ابطه، مشيرا إليه بانه هو الوحيد الثمين الذى يخلفه و يتولى القيام على تأدية الرسالة النفيسة من بعده - و ليس القصد فى القول [من بعده] ليعنى أن عليا - بالذات - لم يكن من وهج الرسالة، و لم تكن - هى - من وهجه. من هنا كان النبى الحريص على مجتناه الأبدى، حاضر الذهن، و بليغ الاهتمام برسالة تبنى الأمة و تحضرها، من ليل له قمر يغيب، إلى يوم لا تغيب الشمس عنه... و من هنا - بالتمام - كان النبى العليم يهفو على فتاه النجيب، و يلملمه بكل نجم كان يستضىء به أفق الغار، و يكحله بكل ضوء كان يتلقط به خارج الغار. و ابتدأ نهج الرسول بتشديد و تسديد لب الفتى بحقيقة الممارسة، و ها هو تحت عين النبى - يمشى الطريق و فى يمناه حسام، و فى شوقه كل الضرام: يبشر بالكلمة الحق، و بالعزم الذى هو شعاع من منار... انها الممارسات التى ارادها النبى متحفزة بكل ما فيها من و ثبات. [صفحه ۴۰] حتى إذا ما غاب، راح إلى ربه مطمئنا، من أن الذى يخلفه قد تقوى بالصواب، و هو الصادق الأمين الذى لا ريب فيه باستمطار السحاب على الأرض اليباب. و الإمامة - بدورها - لا يجوز ان نمل من اعادة تفسيرها: مبنى، و معنى، و قصدا مستطابا، حتى يكون لها - فى الذهن - فهم مطلق و مرسخ فى الألباب... انها امامة مشتقة من أم، و هكذا تكون فى التمثيل أبلغ من خلافة، لأنها أم الرسالة التى هى - بكل مبانيها و معانيها - إحاطة بالمجتمع الذى هو، بكل مقدراته الماضية، و الحاضرة، و المستقبلية، الجزيرة العربية المتمددة فوق صحارى الرمال، و المتفاعلة مع كل امتداداتها إلى كل جوار، بحيث تمت للكل - عبر التاريخ السحيق - عمليات الأنصهار، و عمليات التداخل و التبادل و التمازج، من اجل تحقيق المصير، و تصويب المسار... انها الأمة الوسيعة فى مجالاتها المتلازمة بفاعليات المدار، رآها النبى الواسع العين، بحاجة إلى ضوابط لابد من الالتزام بها حتى تستقيم امورها فى الحد الحياتى، الذى لا- يجوز ان يكون غير متين الجدار... و لقد رأيناه - فعلا- - كيف راح ينسق تمتين الجدار، و ها هو الآن ينزل إلى الساحة العريضة يمتن الأمة، ليكون لها السهر الطويل على تمتين الجدار. و لكن الخلافة ما أرادت ان ترى ارتزام الجدار إلا بعينها السياسية التى هى - بزعمها الآخر - تتمكن من تمتين الجدر، و فعلا اشتدت الخلافة إلى الساحة، بحوار غير ذياك الحوار، و شطبت الإمامة من خط المدار، و ها هى تنهض فى الشام سعيدة الخطوات - و إن زائفة - بينما راحت الامامة فى يثرب - و ان خائفة - تركز ذاتها فى لطوات مقهورة بالعذاب، و الاضطهاد، و الدم المسفوك، ليبقى لها - فقط - من ايجابية الصراع، تثبيت ما رسمته لها مخططات النبى العظيم فى ايلائها - وحدها كامامة - خط ابلاغ الأمة حيثيات [صفحه ۴۱] الرسالة بكل ما فيها من صدق، و حق، و طهر، و توضيب استقامة، لا لأن تقرأ، بل لأن تشرح، و لأن تعاش فى مداها الطويل و لا لأن تحسب رسالة مخطوطة، بل لأن تعتبر امة مضبوطة بكل ما سنتجه من ايجابيات ناتجة منها فى مسيراتها الطويلة المتكاملة بالعلم، و الفهم، و الضمير المولع بالفضائل التى هى عين الله فى بنية الإنسان، و بنية مجتمع الإنسان. لا يظن أحد ان الإمامة قد ضاعت عما خطط لها النبى العظيم، بل انها التزمت به التزاما قاسيا و ان لم تتمكن فى لطواتها المقهورة من شرح الرسالة بكل ما تتوخاه الرسالة... اما الأمة بدورها، فهى التى خسرت سرعة الوصول إلى فهم و

وعى، ارادهما لها نبيها الحكيم - لا لعجز فى مداركها، بل لأن القابليات الفكرية و الروحية الكامنة فى خزانات الأمة، ما تمكنت من تنشيطها و تفعيلها تلك الخلافة، بل - بالعكس - عملت على تهميدها بتنشيط الترسبات القبلية البدوية الكامنة فى زوايا النفوس، و هكذا استدعتها الخلافة من مكامنها لمؤازرتها فى دحر الإمامة التى لا تعرف معنى السياسة المحققة المجد و المسرة فوق الأرض. اما القرآن الكريم الذى لا تعرف ان تقرأه و تشرحه إلا الإمامة، فان الخلافة الممثلة الآن بالوليد، راحت هكذا تلحنه و تغنيه: إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب خرقنى الوليد ليس القصد من التلميحات المريبة هذه، تجميع الشنار، و رميه فى وجوه بنى‌امية، لأنهم ابتدعوا خلافة يخلفون بها النبى فى خدمة الأمة، و خدمة مصلحة المسلمين - بينما القصد كله محصور فى ابلاغ الأمة كلها بأن كل شنار فى سياسة الأمة، و توضيب شئونها الحياتية المصيرية، لا تعانى منه إلا الأمة ذاتها، بكل ما فيها من فصائل أو انتماءات تردها إلى بطون أو قبائل... و هاهم الزعماء من بنى‌امية، يتزعمون خلافة يبتدعونها، أشد [صفحه ۴۲] غيرة من غيرة النبى ذاته على ذاته أو على الإسلام!!! لا، و أيم الحق - ليس ذلك منهم محبة بالاسلام، أو غيره قوية عليه!!! بل تشديدا على سياسة تملكهم - كامويين - زعامة الأمة، من دون أى حساب لطالبين، أو خزرجيين، أو - مثلا - خزاعيين!!! متغافلين عن كل مرمى من مرامى جامع المسلمين، فى توحيد كل قبائل الأمة، و كل اسيادها البارزين، فى حزمة واحدة، تنشد بالأمة، و تهتدى بهدى المسلمين! تلك هى خطيئة بنى‌امية: فى ترفعهم الزعامى إلى السيادة على كل ما أراد توحيده نبى المسلمين... و لكنهم ما فهموا أن الخلافة لن تكون لهم، و لا لسواهم، فى أى حين... بل لعلى، و قد جعله النبى الكريم يمارسها تحت عينيه، و قبل ان يغيب... و لقد مارسها على - و لقد شاهدته يمارسها كل يثرب، بكل من فيها من امويين... فلماذا لم يدركوا أن الإمامية هى ذاتها الخلافة التى سيدعونها - هم ذواتهم - الأمويون! و لو أن المتلمسين خلافة الرسول، كان لهم ولوج امين إلى ذمة المخلوف، لما كان لهم ان يقرأوا الكلمة، و يفتتوا منها الحروف!!! و الكلمة بكل حروفها، هى الرسالة، و الرسالة، بكل ما فيها من أبعاد، انما هى الأمة التى ارادها النبى العزيز الجهاد: كريمة كالحق الصريح، و ملمومة ينورها السداد - فلا حقد و لا بغض، و لا كذب و جهل وعى و رياء، بل وحدة فى المساواة، نظيفة الأبوة، و الأمومة، و عزيزة الاخاء... و هكذا الأمة - من يوم إلى يوم - يطول بها العمر، و يسخو لها الرجاء، و فى كل واحة من واحاتها، تتبلل الأرض بانداء السماء! من أوحى إلى الأمويين ان يتلمسوا خلافة و هى خالية من مثل هذا السخاء؟! أم انهم، هم وحدهم، يستنزلون السخاء على امة لا تجد إلا بهم هذا الرجاء؟!! [صفحه ۴۳] سامح الله بنى‌امية، يشقون الأمة إلى ابعاض، و يعللونها بالرجاء... يرفضون الإمامة لأنها بلا رجاء، و يتلمسون الخلافة لأنها كل النبى، و كل الرجاء... ثم ينتبهون إلى انهم ضلوا ضلالا مبينا إذ آمنوا بكتاب إسمه القرآن، فأوعزوا إلى خليفة منهم، يمثل النبى، و يمثل القران، و هو عليم، و مقتدر، و فهيم... فتناول القرآن بدفتيه - و خرقه تخريقا... لا لأنه وعد وسيع البعد... بل لأنه خسر الأمة كل وحدتها. و كل رجائها فى السخاء!!! ألا بئست سياسة بلا عين و لا أذن و لا عهد: لملمت التراب و جردته من السحاب... و حطمت القوس حتى لا تنبض بالنبال، و ادعت انها السهم، و الخيط، فى شدة الزنار، و انها الضوء الهابط من قطب المنار... و ساء قصدها، من دون ان ترى و مضة القصد فى نبى عظيم أمطرته النعمة صفحة الأرض، فراح يوضب أمة مشفوعة بقرآن، سيكون لها - فى ردح من الزمان - عين و شفة و لسان، يتمجد بها الله فى كينونة الإنسان. و لا بنوأمية... لن تطول بهم سياسات الجفاء و سياسات العياء!!! سيكون لهم - أيضا - يوم الوفاء، و يوم المعاد إلى لقاء، و إلى صفاء... انهم جزء عريض من الأمة... و سيكونون منها فى دعم الرجاء... و تحقيق السخاء... و سيكون لهم - ذاته - القرآن الكريم الدفتين، و المتسع الآفاق - فى تنوير اللقاء، و تنوير البقاء. [صفحه ۴۵]

الإمام زين‌العابدين

انها الدراسة التى أنشأها الإمام موسى بجده زين‌العابدين و هى تتناول الامة عند ما يتملكها الوعى بعد انتشار العلم فيها - و ابتدا العلم مع الامام الباقر. إنه على الأصغر، فلنكن معه و هو فى الثالثة و العشرين من عمره لقد كان فى قافلة ابيه الحسين، المنسل من يثرب إلى

مكـة، لاعـداد تقرير يقابل به يزيـد الـذى يطلب – بالحال – مبايعة الحسـين له، ثم بعد المبايعة يسـحب الدم من وريده. لم يكن الفتى الملقوط باسـهال عنيف، ليبتعد لحظة عن أبيه الذى يحبه حتى الوله، و كذلك الحسين، فانه كان يمحض فتاه عناية مخصوصة، لا لأنه مريض حتى يشـفى، أو لأنه المعـدود الوحيد لتقبل الإمامة، بل لأنه منذ عهد طفولته، حتى هذه الساعات الحرجة من اليوم الحاضـر، لا يزال يكتشف فيه نوعيـة من شـفافية و هـدوء، و ذكاء، سـتجعله – حتما – وليا من الأولياء، و وصـيا شبيها بجـده على الـذى خصه النبى العظيم بـأعز وصـية. من يثرب إلى مكـة – و من مكـة إلى كربلاء – تم للفتى المتين الشوق، و الرهيف البهـاء – استيعاب أبيه، بكل ما يرمى اليه من مقاصد و أبعاد... لقد دارت أمامه كل الأبحاث، و كل الدراسات، و كل الاسـتطلاعات، و كل الشـئون المتعلقة بالأمة، و بيزيد، و بكل حكم قد تفيد منه الأمة أو لا تفيد. لقد تبين للفتى – بكل جلاء – أن للأمة وحدها كان المجال فى [صفحه ۴۶] البحث، و الـدرس، و أبوه فى مكـة يبحث، و يـدرس كيفيـة النجاة من يزيـد الذى لا يريد – فقط – حذف وجوده من قدر الأمة، بل امتصاص كل حيويات الأمـة، و جعلها ترقص فى زنـدقاته، و إباحياته الصبيانيـة – القبلية – السـفيانية، حتى لا نخصـها بالأموية.... لقد حاول أبوه الحسين – بـالبحث – جـذب الأمـة كلها إلى صـدره... لا ربعها، و لا نصـفها، بل كلها، لأنه لا يريـدها – أبـدا – مفروطـة إلى أرباع أو أبعاض!!! و لهـذا مشـى الطريق الطويل بين مكـة و كربلاء – حتى تراه الأمـة كلها ماشـيا بثورة تنجيها من يزيد، و من أمثال العديد من يزيد... و لكن الأمة لم تمده ببطولة كالبطولة التى بقيت له وحده على طول الطريق، الا بعض زهيد من أبعاض الأمة... و لأنهم أبعاض لا ـ يؤلفون الكـل، المرصوص، الفـاهم، و المقتـدر – ردهم إلى بيوتهم سـالمين من هـدر دمـائهم، لتبقى بانتظاره – وحـدها – كربلاء تمتص وريـدا له، يعلم الأمة كيف يكون بذل الدم، رفضا لأى ذل يخسـر النفس حقها فى مجالات النبل و إشـراقات الإباء. و لقد بكى أباه – على الأصـغر – بدمع مرير و سـخى – لم تشـهد عين – قط – سخاء بمثل نفاسته... و لكنه – و قد تسلم الإمامة ليبذلها سخاء على الأمـة – أوقف الـدمع عن جريانه، لتصـفو عينه، بالنظر، إلى كل ما تحتاجه أمـة ابيه التى بـذل لها مهجته، و امـة جده على التى قدم لها نهج‌البلاغة مسـقيا بدمه الطاهر المقدس، و امة جده الأعظم، و هو النبى المقدم للأمة سورا و آيات – ستجد فيها – هى الأمة – ما يقيها من مهاوى الـذل، و ما يفتق فيها الوعى و الادراك و هما الخبيئتان الكامنتان فى خزائن روحها، و لن تسـتنجد إلا بهما فى اليوم الآتى، فتكون لها دوحات الجهاد، فى تحقيق البقاء، المرجو لها فى صـدر الوجود! و لكن الجهاد قـد ابتـدأ عريضا جدا مع جده الإمام على! و لم يحقق إلا [صفحه ۴۷] استشـهاد على!!! و لقد قام وسـيعا – أيضا – مع عمه الحسن! و لم يحقق إلا كوبا من عسل، دست فيه زوجة عمه جعدة بنت الأشعث، نقطة سم، فتحت للحسن فوهة اللحد!!! و لقد اشتدت للجهاد عنق ابيه الحسين، لتحقيق البقاء المرجو للأمة! و لكن عنق ابيه كانت المقطوعـة من حدود الكتفين!!! فاين هو اليوم الآتى بالرجاء الثمين؟!! كل ذلك كان يدور فى خلد الإمام الصـغير و هو ساجد يصـلى فى بستانه العامر بخمسمئة نخلة فى يثرب... و لكنه لم يكمل صلاته المبلولة بالدمع!!! بل انتفض به عزم جديد راح يمشـى به فى البسـتان، من نخلة إلى نخلة، و هو يردد فى ذاته: – و لكن اليوم الآياتى لم يصل بعد!... و لم يبدأ – حتى – بعد... ولو انه قـد وصـل... لمـا كـان قـد قتـل – لا ـ جـدى على! و لا ـ عمى الحسن! و لا ـ الحسـين البطـل البطـل!!! لما كان قـد وصل إلى الأمامـة: لا ابن‌الصديق! و لا ابن‌الخطاب! و لا ابن‌عفان! و لا ابن‌سـفيان و لا هذا اليزيد المتربع فى كفة الميزان!!! بالله عليك يا حق! الا قل لى: من قتل العلى؟! هل هو ابن‌ملجم؟ و من سمم كوب الحسن؟! هل هى ابنة الأشعث؟! [صفحه ۴۸] و من حز رأس الحسين؟! هل هو – فعلا – يزيـد بن معاويـة؟! و من عصـى النبى كأنه صـدر لا ضـلع له؟ هل هم بنوحرب فى لفتـة العربان؟! و من ترفض الإماميـة كانها شوكة الحنظـل؟! هـل هو بنوسـفيان من قبائـل الرعيـان؟! لا ـ – يا واقع الحق!!! ان الأمـة كلها – فى واقع حالها – تناولها الـذنب... و ليس لأنها واسـعة المدار... أو لأنها – بشـكل آخر – ترفض اتساع المدار... بل لأنها – بكلمة واحدة الاختصار – جاهلة – لأعنى بواضح القول: لا علم يوسـعها إلى وعى!!! و لا ثقافـة تلملمها إلى ادراك!!! فهى الجاهلـة: من دون مدرسة... و من دون قيم.... و من دون كتاب!!! و لن يكون الوعى من عنجهياتها – بل من تسـلسل المعارف! و لن يكون الادراك من جاهلياتها – بل فى تمرسها بافعال الصواب! و العلم – وحـده – هو المسـطر الكتاب. و الممارسـة الطويلة الاهداب هى التى تمحو الجاهلية من الأذهان. و تسـتبدلها بالصواب! و ترك الإمام

بستانه متجها إلى بوابة الدار، و قبل أن يفتحها، وجد فتاه الصغير المدعو بالباقر، و هو فى الرابعة من عمره - كانه بالانتظار - فتناوله بكلتا يديه إلى صدره!... و نادى فاطمة ابنة عمه الحسن - و هى زوجه التى [صفحه ۴۹] انتقاها له أبوه الحسين و زوجه بها منذ خمس سنين... قال لها: لا تفتقدى فتاك بعد الآن، سيكون معى دائما فى المسجد. و لن تقفل ابدا بوابة المسجد... - و انى ابشرك يا فاطمة. فالمسجد اليوم - و من هذا اليوم - هو المدرسة. و غدا - انشاء الله - هو الجامعة. و ابنك الباقر هو أول تلميذ. ليكون - فى اليوم الآتى - أول استاذ فى الجامعة. و اول من أنتدبه لجمع الكتب كلها من اقاصى الأرض. و درسها، و تعليمها فى جامعة يثرب... حتى يختفى الجهل من رقعة الأمة... و يعم الوعى و الادراك - فى طالع الأيام - كل فرد من أفراد الأمة... و كل حاكم من حكامها. حتى و لو كان اسمه - يزيد! فلا يعود يقتل الحسين! بل يحييه و يعيده من الرميم إلى تسطير الرقيم. و تزيينه: بالعلم، و الفهم و النبل الذى هو: حقيقة الوعى و حقيقة الإدراك [صفحه ۵۱]

الإمام الباقر

انه خامس الأئمة بالعدد المتسلسل، و لكنه النازل - فى حسابى - ثانيا فى العقد المختص ببناء الأمة، على أساس ركين لا تتمكن من زعزعته عوادى الدهر... و الثانى يعنى انه الإمام الابن الذى خلف أباه الإمام زين‌العابدين الطالع من حزن كربلائى، ما كاد يفجر دم ابيه الحسين، حتى فجر فيه - هو بالذات - مواهب انبلجت من مداركه، و أكدت له: أن الخنجر، الصدىء الذى حز رأس ابيه، هو ذاته الملفوف به صدر الأمة الهاجعة فى أخاديد الليل!!! ان الجريمة الشنعاء - و قد حصلت فى كربلاء - تشهد أن الجهل جعلها تحصل!!! و متى كانت الجريمة غير بنت الهزيمة، هزيمة العقل الذى لا ينوره العلم فيمنعه من ارتكاب الجريمة؟!! و الجريمة؟ أليست هى ذاتها الهمجية التى غرق فيها يزيد؟!!! و الجيش الذى جمعه يزيد؟ أليس هو الأمة فى قبولها المنحنى أمام عنجهيات يزيد، و لم يمكنها إلا أن تخضع لأوامر يزيد، فى تمكينه من ارتكاب الجريمة التى هى محض همجية!!! لقد صم الإمام زين‌العابدين - كما فهمنا منذ لحظات - على محو [صفحه ۵۲] الجهل من ليل الأمة... اجل، الأمة التى ما كاد يهل فى صبحها نجم، ما تلملمت بمثل شعاعه منذ زمن طويل، حتى هبت اليه تطفىء نوره و تخنقه بالعصيان، و تحد من زخم امتداده ضوءا مطلا فوق مشارفها، من يوم يبتدى بعلى، إلى غد لا ينتهى به الزمان!!! فليحذف ابن‌أبى‌طالب، من دوحة المكان - و كذلك فليلحق به الحسنان!!! اما الليل الطويل، فهو الذى تقر - فيه - عين الزمان! أى شىء، من كل هذا، لم يدركه الإمام زين‌العابدين فى تأمله الصاحى، و راح يرسم له عزما على محوه - جهلا - يعرقل الأمة عن أى بلوغ؟!! العلم - وحده - إذ يشمل الأمة، و لو بعد وقت طويل، يحرر الأمة من ارتكاب الجريمة!!! و هكذا رأيناه يفتح بوابة المسجد مدرسة ستصبح جامعة علمية فى يومها المقبل... اما ابنه الباقر، فهو المحضر للتفتيش عن كل كتاب و لو كان فى طرف الأرض، لا لتتزين به رفوف المكتبة فى جامعة يثرب، بل ليدرسه الفتى النجيب، و لينقله على الطلاب: علما، و نورا، و هديا. فلنتعرف عليه هذا الباقر، و لنصفه الوصفتين: الجسدية و الروحية، حتى نراه فى هذا الجسد، بالذات - و هو القصير القامة، و غير البدين، و غير المديد الساعدين، و غير العريض الجبين... حلت به و فيه روح عبقرية، جعلت قامته أطول من رمح، و ساعديه كانهما جدلة قنب، و جبينه واسعا كأفق، و عينه الصغيرة الصغيرة، كانها عدسة مجهر، تلملم الأبعاد من خلف البصائر، و من تحت الوهاد، لتنشرها ضوءا تستضىء بها ألباب العباد. ألا يكفيه فخرا هذا الفتى الخارج من لوعة جده الحسين؟ لقد عاش فى حجر جده الحسين اربع سنين، قبل ان يغيب جده المغوار فى عب الشهادة! إنه - بالذات - هذا الفتى الضيق العين، ثقب بلاس المخيم فى كربلاء، [صفحه ۵۳] و شاهد، من الثقب الصغير بعينه الصغيرة، جده الأكبر من الجريمة، و الهزيمة، يتمدد قتيلا، ثم مقطوع الرأس، فى مرابع كربلاء!!! لم يعتلج بأكثر من رمى ذاته إلى الساحة الممتلئة بنزف الجراح!!! و بقى صامتا منذ ذلك الحين، إلى حين آخر، همزه فيه ابوه زين‌العابدين، إلى التفتيش عن كتاب و قرطاس، يكتب بهما و عليهما اسم جده الحسين، و اسم الأمة التى لم تتعلم كيف تنجى الحسين من فخوخ الجريمة!!! و لن يخفى الجريمة إلا الكتاب و القرطاس، و اثناهما، قد اقتنصهما جهد الباقر إلى الجامعة و ها هو يفتق

عنهما كل غلاف مبهم، و ينشرهما تدريسا و تفهيما، حتى يكون للامة فى يومها الطالع، نور ساطع، أو حس مرهف، يقززها من طعم و ريح الجريمة!!! و يكفى الفتى فخرا - و هو العاشرة من عمره - يجالس جابرا بن عبدالله الانصارى، على مدى سنتين طويلتين، و ياخذ منه، عن جده النبى، كل الاستطلاعات، و كل الامكانات بجعل الأمة واعية، و محققة أمجاد ذاتها... و لن يكون كل ذلك لها إلا بتجهيزها بكل علم، و كل فن، و كل احاطة بجمال... و ان العلم نوعان: علم صغير، و علم كبير... و من اختصاص الصغير بناء الشخصية المفردة، و من اختصاص الكبير بناء الشخصية الكبرى التى هى الأمة، مجموعة كل الأفراد... من دون الاثنين - لا كيان فردى يزهو بذاته، و لا كيان جماعى يطل بالأمة إلى مجد!!! و هكذان اختزن الفتى فى ذاكرته، ما يجعله يلبى: شوق ابيه إلى جامعة تنشر العلم فى الأمة، حتى يغدو العلم ثقافة عامة - و يلبى شوق جده النبى إلى جمع العلوم و بقرها على الأمة حتى يعز بها المصير... و ان الانصارى، بالذات أبلغ جليسه الفتى بان النبى الجليل - بالذات - [صفحه ۵۴] بخ فى اذنه البشرى و هو يقول: - سيكون من نسل الحسين عزوم آخر، يجمع العلوم كلها، و يبقرها على الأمة زادا يوصلها إلى معاد... و قبل ان يغمض الأنصارى عينيه و ينام، كان الفتى محمد، يوشوش أباه فى الجامعة، بحقيقة البشرى فاحتضنه أبوه متهللا و هو يقول له: بعد غد يا ابنى إرحل إلى كل قطر فيه كتاب، و فيه علم، و فيه خبر،... احمله، و جىء به، و خلصه من خواتيمه، و انشره فى الجامعة: تفسيرا، و تفجيرا... و لنعم الفتى - أنت الباقر! و يكفى الفتى فخرا، انه عاش فى ظل امامة ابيه زين‌العابدين، ثلاثين سنة، و هو يفتش عن مصادر العلوم و يحملها إلى الجامعة فى يثرب... و لأول مرة فى تاريخها، عرفت الجزيرة علم الجغرافيا الاتى به الباقر من مصر، مترجما من السريانية، بواسطة الجغرافيا البطليموسية... و لقد سمع هذا الشرح عمر بن عبدالعزيز، فابتهج به، و أمر بتوسيع الجامعة أربعين ألف ذراع تكريما لمجهود محمد الباقر! و يكفى الفتى فخرا انه جمع من مصر، عن طريق الاقباط: علوم الفيزياء و الفلسفة الاغريقية، و علم الهيئة، و علم الكيمياء... مع التاريخ، و الهندسة، و الحساب، و الطب، و الاقتصاد، و مطالع النجوم... و كان يشتغل - على مدى خمسين سنة من عمره - من الفجر حتى النجر - كما يقال... و هو - وحده - يدرس كل هذه المواد العلمية - و لقد ناف عدد تلاميذه على اربعة آلاف، متوافدين إلى الجامعة فى يثرب من كافة انحاء الجزيرة. أما الولاة الذين عاصرهم، و وعدهم من قبله الإمام زين‌العابدين: بانه يترك لهم وحدهم سياسة الحكم، من دون أى تدخل فى امور السياسة، طالبا منهم - بدورهم. ان يحترموا الجامعة التى هى: علم، و ثقافة [صفحه ۵۵] و فهم، و ادراك، و أخلاق... و هكذا لباه، و احترمه شديد الاحترام، عمر بن الحكم بن العاص، و عبدالملك بن مروان - و سليمان بن عبدالملك، و يزيد اخوه، و هشام بن عبدالملك الاخير... اما عمر بن عبدالعزيز، فكان الحاكم الوحيد الذى احترم الجامعة بصدق مجرد، و باخلاص مقتنع: بان العلم الموصوف بالكبير، هو المنجى الأمة من ذل خطير، لا يعلم إلا الله كم هو المجرم! و انتقل الإمام إلى جوار النبى الكريم، ليقرئه السلام، و ليعرض عليه ما تمكن من حصاد متمنيا لابنه الإمام جعفر الصادق بذلا نفيسا آخر، يقذف الأمة إلى بحبوحة أخرى متمادية بالطول و العمق، توسع لها الدرب الموصل إلى وعى يندحر به الجهل الشنيع الذى لا تعشش إلا فيه أوقار الجريمة. [صفحه ۵۷]

الإمام الصادق

انها الدراسة الأخيرة التى قام بها الإمام موسى متهللا بما حققه ابوه الصادق من جهد وسيع يبشر الأمة بانتظار يومها الآتى بانتصار الوعى، و نشر الوية اليقين!!! يا للانتظار كيف يهدهده الكافرون!!! انه الإمام السادس فى الدائرة الإمامية الاثنتى عشرية فى التخطيط النبوى الشريف، ليكون الثالث فى الإمامة الزين عابدينية المركزة على محو الجهل من الأمة، بواسطة العلم الوسيع الموجه، و هكذا رأينا الإمام زين‌العابدين يفتح بوابة المسجد فى يثرب، ليكون المسجد مدرسة - هو الإمام - أول معلم فيها، و بين يديه ابنه الصغير محمد الباقر، كأول تلميذ تربع على طراريحها - ثم ليكون هذا التلميذ أول بحاثة عن مصادر العلوم، و راح - طوال حياته - يجمع لها الكتب العلمية من كافة المصادر، أكانت فى الجوار - كالشام مثلا، أو فى سوريا، أو القاهرة فى مصر، أو جنديسابور فى ايران، ام فى

الاقطار البعيدة، كايطاليا فى أوروبا، أو فى الشرق البعيد - كالصين، و الهند و ما أشبه. و صارت المدرسة جامعة فى أواخر أيام منشئها، بفضل الكتب المستوردة اليها، و هى الوسيعة فى مضامينها: التاريخية، و الجغرافية، و الفيزيائية، و الكيميائية، و الاقتصادية، و العلمية - الطبية - الفكرية، و الفلسفية... و كان - هو ذاته - الجامعها، يدرسها، و يفتق معاليمها، ثم يعمل - وحده - على تدريسها، و ليس معه من معاون، إلا تلميذ واحد هو [صفحه ۵۸] ابنه جعفر، ثم، بعد ان بلغ - جعفر - رشده فى استيعابه مضامين هذه الكتب، انفتل من تلميذ إلى استاذ مع ابيه، يهتم فى معاونته بتلقين الطلاب المتوافيدن إلى الجامعة، و قد أصبح عددهم فى حدود الأربعة آلاف طالب. صحيح ان للإمام زين‌العابدين أولية التأسيس لمدرسة ابتدائية، توسعت إلى جامعة علمية مع ابنه الباقر الموفد إلى كل قطر فيه كتاب، لأغناء الجامعة به، و لكن الحفيد جعفر - بدوره - قد اشترك - باكرا - بعملية التأسيس، مرافقا جده لمدة عشر سنوات، ثم أباه لمدة عشر سنوات أخرى، بحيث كان له مع الاثنين جهد نفيس ضمه اليهما، بمران و اقتباس، جعلاه يقفز قفزات واسعة و سريعة بنقل الجامعة من مستوى عادى، إلى مرتبة علمية غنية، لم يتمتع الشرق بمثلها منذ زمن بعيد... و لكن الجامعة - على عهد ابيه الباقر - ما كان لها، فى ازدهارها المدهش، إلا استاذ واحد يضطلع بكل المهام فيها: من جمع الكتب النفيسة اليها، و تفتيقها من مضامينها، ثم تلقينها للطلاب بما أمكن من الشرح و التفسير... انه - وحده - الباقر، و ان يكن فتاه جعفر قد بدأ نجمه يظهر، مبشرا باستاذ جديد، ستتوسع - به - ردهات الجامعة! و لكن الباقر - ما كاد يطويه الغياب، و يتسلم مكانه ابنه جعفر، حتى رأينا الجامعة - و هى تقطف ثمار الجهد الباقرى - لا يتنقل استاذ واحد فيها، من منبر إلى منبر، حتى يلقى درسا خاصا - مثلا - فى مادة الحساب، أو فى مادة الجغرافيا، أو التاريخ، أو اللغة، أو الفلسفة، أو الفقه، أو علم الاجتماع... [و المواد العلمية كانت قد وصلت و قتذاك، فى الجامعة إلى حدود العشرة] بل اصبح للجامعة فى عهد الإمام جعفر، عشرة اساتذة يعتلون عشرة منابر، للشرح و التفسير، و التلقين المتين، و من أجلهم فى البيان. الإمام جعفر. [صفحه ۵۹] لقد أثمرت كل الجهود الباقرية التى ملأت الجامعة باربعة الاف من الطلاب الذين اختارت منهم الجامعة عشرة أساتذة يتمكنون من اعتلاء منابرها فى التعليم، و لسانهم واحد فى شكر المؤسس العظيم الإمام زين‌العابدين! اتراها الآن - بعد ما يقارب السبعة عقود - قد بدأت تهرول إل اندحار - جحافل الجهل - إلى ليلها المعتم - لتنعم الأمة بصبح جديد يشع عليه نور العلم!!! فليقو التفاؤل مع الإمام... و ها هو إثر غياب ابيه إلى الملأ الأعلى - يوسع الجامعة بفرع ينشئه فى حيرة الكوفة فى العراق، يضم فى جوانبه تسع مئات من الطلاب، ليشتهر من بينهم: هشام بن الحكم، و هشام بن سالم، و مؤمن الطاق، و زرارة بن أعين، و أبان بن تغلب، و النعمان أبوحنيفة، و مالك بن أنس، و سفيان بن عيينة، و سفيان آخر هو الثورى... من دون أن ننسى - أبدا - جابر بن حيان! لقد ملأت رفوف المكتبات - فى ذلك الحين الباقر - مؤلفات زرارة بن أعين - و كذلك كل من أبان بن تغلب، و مؤمن الطاق، و النعمان أبوحنيفة، و مالك بن أنس... أما جابر بن حيان فكان مكتبة كيميائية، بحد ذاته: كتاب فى علم الكيمياء - خمس مئة رسالة تبحث بالحركة العلمية - كتاب عنوانه [علم الميزان] فى معرفة طبائع المعادن، يقول فيه: [النحاس هو فضة تلهت عن ذاتها] و هو - أيضا - يبحث فى تحضير حامض الكبريتيك، أو «زيت الزاج» - و فى تحضير حامض النتريك، و ماء الذهب، و الصودا الكاوية، و كلورور الفضة - و الراديوم... و لقد تمنى عليه الإمام الصادق: أن يجد له قرطاسا لا يحترق. و كان له ما تمنى... [صفحه ۶۰] و مع الإمام جعفر انتهى الشرح الكلامى، و الحفظ فى الذاكرة - و شدد على التسجيل، و التدوين - و هكذا ابتدأ الاعتماد على الكتابة، و ها هى المكتبات راحت تعج بالكتب... و من ابرزها كلها فى هذا العصر - عصر الإمامة المثلثة: [توحيد المفضل] املاء الإمام جعفر على تلميذه المسمى - أيضا - بالمفضل... كأن المفضلين هما مفضل واحد - و يبدو ذلك صحيحا - و كتاب المفضل، انما هو فى البحوث الطبية. و وظائف الاعضاء، و الدورة الدموية، و الجراثيم، و تشريح الإنسان... و هكذا - بنعمة التدوين - خف الاتكال على الشروحات الكلامية، و راحت تحتل مكانها قراءة الكتب. و لقد أحاط الإمام جعفر بكل العلوم الفيزيائية، و التجربية التشريحية و الكيميائية، و الفلسفية الفقهية، و الاجتماعية الإنسانية... و انه - هكذا - فيلسوف، و فقيه، و مشترع، و طبيب، و فيزيائى، و كيميائى، و مؤرخ، و اديب... و حتى نلم به إلماما كاملا، نقول: ولد الصادق على عهد الخليفة الظالم، الوليد بن عبدالملك

بن مروان – و لما مات الوليـد كان عمر جعفر ست عشـرة سـنة... و بعد الوليد جاءت ولاية عمر بن عبدالعزيز، ثم يزيد بن عبدالملك، ثم هشام بن عبـدالملك، ثم الخليفة الوليد بن يزيد الذى خرق القران الكريم و هو يتباهى بالقول: إذا ما جئت ربك يوم حشـر فقل يا رب خرقنى الوليـد...! و بعـد انتقال هذا الوليد بن يزيد إلى مواجهة ربه، جاء دور ابنه يزيد الموصول بأخيه ابراهيم... ثم حذفت الثورة كل الأمويين، بواسـطة العباسيين، باسم السفاح، و من خلفه الداهية منصور الدوانيقى! [صفحه ۶۱] ولد الصادق سنة: ۸ ه، و انتقل إلى جوار ربه سـنة ۱۴۸ ه، و لقـد عـايش الأمويين اثنتين و خميس سـنة. و عـايش بنى‌العبـاس اثنتى عشـرة سـنة: أربعـا للسـفاح، و ثمانى للمنصـور الـدوانيقى الـذى اضـطهد الهاشـميين و زجهـم فى السـجون، و صـادر أمـوال الصـادق، ثـم قتله بـالسم، و لم يرجع الأمـوال المصادرة، إلا المهـدى – بعد وفاة المنصور – الى الإمام موسـى الكاظم. ليت المهدى لم يرجع الى الكاظم – فقط – إرثه من مال أبيه الصادق – و هو الزهيـد – بل إرثه فى إدارة الجامعـة – و هو المـدير!!! لو أن إرثه هـذا قـد طال الى هذه الساعة، لكانت الأمة اليوم فى أوج مجدها من ثقافة تحقق لها العمر المجيد. [صفحه ۶۵]

مع موسى بن جعفر

الإرث

لقد كان فى نهاية الإطار الأول من هذا الكتاب [و الإطار هذا – بكل ما فيه – كان بحثا متسلسلا فى كل الجذور المتركزة عليها الإمامة الواصـلة حتما الى إمامنا الكاظم] وصول الى منصور الدوانيقى يصادر أموال الإمام الصادق، و لم يرجعها إلا الخليفة المهدى، بعد وفاة أبيه الـدوانيقى، إلى ابن الإمام الصادق الإمام موسـى الكاظم، و هو وريثه الوحيد فى خط الإمامة... و لقد تمت الإشارة الى أن الأموال المعـادة، هى الإرث المعـاد الى أصـحابه الإمـاميين، و يـا ليت المعاد – أيضا – كان فى إرجاع إدارة الجامعـة الزينعا بدينيـة إلى إمامة موسـى الكاظم، و هى خط إمامى سيتركز عليه – فى مداه الطويل – تثقيف و تنوير الأمة، فى مجالاتها الطويلة، و إيصالها الى الواحات الأمينـة! ذلـك هو الإرث، و هو المحصور فى الإمامـة المشـدد عليهـا فى تخطيـط الرسول، لتكون امتـدادا إثنى عشـريا، يطول بها الى تحقيق حضارى أكيـد. هى بأشد الحاجة اليه متون الأمة! و احتجز الإرث، و هو جامعة علمية منورة بالوعى و الحق، أكثر مما هو أموال مهـددة بـالعهر و الفسق، و لم يرجعه الى الأمـة، لا مروان هشامى، و لا مهـدى عباسـى، و لا أى من تترى... لتبقى الأمـة نهبا لسياسـيين يبنون [صـفحه ۶۶] على كتفيهـا عروشـا من بهتـان. يمتصـها ضـرعا، و عظما، و إنسانا يتردى فى ذل و هوان!!! هـذا كل ما ورثه الإمام موسـى... و صبرا طويلا ـ على كـل المكـاره، عل الـدهر يطور من مآتيه، و يحول المر إلى لبان، و يرد الحاكم من بهلوان الى إنسان، و الانسـان من ذليـل، الى عزيز، يـأبى الهوان!!! و كثيرا مـا حـاول الإمام زرع الله فى الأذهان، حتى يفيق الحاكم مرتجعا الى وجـدانه... و لكن الوجـدان ذاته أصـبح المهراق، و لا أى من حاكم، أفاق – و بقى الإمام – وحـده – السـهران – يتحمل الـذل، و يتحمل الهوان، و يتحمل الحاكم، و لو كان اسـمه هارون‌الرشيد: يدعى أنه الرشيد، و انه البطل الصنديد!!! و راح الإمام يقنعه بأنه – بعين الله – لن يكون صنديـدا، بل مسـتبدا عنيدا!!! و كان الجواب فتح السـجون المعتمة، لتكون أطول من دهر، و أمر من قهر... و تحملها الإمام بأناة طويلة، معتـبرا أن الصـبر الطويـل يقصـر عمر الـدهر، و يحلى مر القهر، و يعلم الحـاكم أن الرجوع من عى الى وعى هو المحقق للإنسـان قيمة الإنسان؟ تلك هى حقيقـة الإمام الكاظم: صبر طويل و انتظار لا يمل من إمكانيـة تحقيق ما تصـبو اليه مجتمعية الإنسان... أما التحقيق، فهو الرجاء الـذى لا ينقطع الأمل من الحصول عليه. و ذلك هو أمل الأمـة فى الإمامـة التى زرعها الرسول الكريم فى بال الأمة، ليكون بها وصولها الى الرجاء المبتغى! أما موسـى الكاظم، فهو الآن فى عهدة هذا الكتاب، فلنتناوله مليا من قبل أن يولد من أبوين: هما جعفر الصـادق، و حميـدة البربريـة المشتراة بسبعين دينـارا – الى أن يمشـى على أرض الجزيرة إماما صابرا صبرا طويلا على مكاره الـدهر – تحقيقا لأمة لا تزال ضميرا صامتا، لم يفعل بعد فعله الصادق. [صفحه ۶۷]

تمهيد

فإنى أريد أن أبين: أن كل ما جاء الآن فى هذا الكتاب - فى إطاره الأول - كان سردا تبيانيا عن أجداد الإمام موسى الكاظم، ابتداء بالرسول العظيم، و هو الركيزة الأولى فى بنية الإسلام، و انتهاء بالامام جعفر الصادق فى أبوته المنتجة الإمام السابع فى دوحة الإسلام، و هى الممهورة بموسى الكاظم. إلى كل هؤلاء الأجداد المتسلسلين تباعا من أروقة أبهى ما فيها رسالة و نبوة، ينتهى جنين منها لم يولد بعد، سيكون اسمه موسى الكاظم. ان الانتماء - بحد ذاته - هو ارتباط جذرى بحلقات السلسلة التى هى متانة اتصال - وحدة وحدة - و متانة التصاق - نبذة نبذة - لتكون الإمامة - بجوهرها الضمنى - هى حقيقة ذاتية، تربط الأغصان بجذعها، و الجذع بالجذور التى هى متانة الشجرة التى ستتفيأ بها دوحة الإسلام. لست أظن الانتماء إلا و تطبيه عملية التوارث. و هى هنا - هذه العمليات النورانية - مشدودة و مرتبطة بكل المتون المرسخة فى بال النبى العظيم، لصياغة رسالة تعم شعث أمة، و تأتى بها من ليل شحيح الى يوم له [صفحه ۶۸] صبح، و له شمس. و له امتداد فضاء... ان الغاية المتسعة بالبعد، و نبيل القصد، تأبى إلا أن تتزين بأنقى الصفات، و من أجلها: الصدق، و الطهر، و كل جمال خلقى إجتماعى،... و تلك صفات لا- تنهض إلا- بها مجتمعات الإنسان... فلتكن هذى الصفات النبيلة، و هى المتنزلة من سماء، و المرسخة فى البال، هى التى يتنعم بها النبى، و يبدو بها مثالا يتوارثه من بعده الخط المرتبطة به الإمامة، من أول إمام الى آخر إمام. و هكذا فإن خط الأجداد هو الموصل الى هذا الحفيد الذى لم يولد بعد، ذات الصفات المرسخة فى ضمائرهم، ليأخذها - بالإرث - و هى له فى واقع الاستمرار: ان الإمام محمد الباقر، هو الآن فى تمام الاستعداد لمباركة ابنه جعفر، و تحضيره لزواج ستكون منه - حتما - ولادة إمام سابع، سيعرفه الواقع الاجتماعى: باسم موسى الكاظم. [صفحه ۶۹]

مع الامام الكاظم

و فى هذا الصباح الباكر، استدعى الإمام الباقر - إلى ديوانه - واحدا من أخصائه الأوفياء أظنه باسم حسان، و وشوشه بالقول: - هاك هذا الكيس المربوط بأنشوطة خضراء... لقد عبأته بكل ما فى جيبى من دنانير - لم أحصها بالتمام - إخفه تحت عباءتك، و اذهب توا الى سوق النخاسين، و اشتر به أمة - لعل ما فى الكيس هذا يكفى ثمنا لها... سأحرر الجارية هذه، و أهديها لا بنى‌جعفر، و كأنى أراه سيؤخذ بجمال الهدية، فأزوجه بها حلالا ينتظر... أترانى أحلم؟ أم ان الحرية التى سنغمر بها الجارية، هى التى ستكسوها بجمال تبتهج به مهجة جعفر!! و انتشى المكلف حسان بالمهمة، و أخذ الكيس و مشى به كأنه محشو بكل ما فى خلد الإمام من جوهر... ألا يكون فى تحرير جارية من عبودية الذل، مثال من عز لن يكسيهاه كل ما فى الأرض من جوهر!!! و سريعا ما وجد صاحبنا نفسه - و هو المحمول الآن على محفة من الأحلام - فى وسط [صفحه ۷۰] حانوت النخاس الذى فتح له باب الغرفة المحشورة فيها جاريتان لم تباعا بعد... قال النخاس: - أرجو يا سيدى أن تنعم النظر فى هذه الجارية... إنها حيية جدا، و لكن فى عينيها المتورمتين بفيض الدمع، ما يبشر بكثير من صفاء، و من بهاء،... و لكن يا سيدى، لا تساومنى أبدا - أرجوك - سبعون دينارا ثمنها... و لو يقل دينارا واحدا - لا تؤاخذنى - لا شراء يحصل، و لا مجادلة تتم!!! و رأسا مد الرجل يده الى الكيس فى عبه، و ناوله التاجر و هو يقول: - صدقنى، لم أعد دراهمى، عدها أنت، و الناقص منها أدفعه لك من جيبى الثانى. و عد النخاس دنانير الكيس، و لما انتهى تبسم و هو يقول: - أتراك ساومتنى منذ ساعة، و عرفت حدود السعر، فجئتنى به مربوطا بكيس، ليس فيه لا زيادة و لا نقصان... هاك حميدة، إنها لك، عسى عيناها - فى بيتك - تتهللان بالفرح! و لما عاد حسان وجد الامام الباقر واقفا فى الباب و عيناه عالقتان بالجارية الحيية الطرف، و المبتسمة بنوع من الحزن الشفاف، ما كان الإمام يقرأه حتى تهللت أساريره و هو يقول: - قبل أن أرحب بك أقول: أنت محررة حرة، أرجو أن يكون حسان قد أخبرك فى الطريق، ان الاسلام لا- يشترى العبيد، بل يحررهم من عبودية - و الآن، أدخلى يا بنيتى - [صفحه ۷۱] كل الدار، بمن فيها - تقول لك: أدخلى، مع كل الفرح المخبأ فى عينيك، و هو كل ما تختزنين من جمال هابط عليك

من تلك الأظلال المتفيئة بها شغاف روحك. أسمعيني صوتك و أنت تتلفظين باسمك الشفاف. و رأسا تناولت الفتاة يمين الامام و طبعت عليها شفة كأنها كم ورد، ثم قالت بصوت كأنه هزيج مويسقى: - حميدة يا سيدى، بلغة التصغير، و لكنى أرفعه الى كبره: أنا حمداء، بلغة الحمد الكبير لله الذى يضمنى الى إسلام، يمثله الإمام الباقر، فاقبل خضوعى يا سيدى بفرحى البادى فى عينى، ما سكتت حميدة، إلا لتلوى عنقها نحو باب الغرفة التى خرج منها شاب و سيم، لم تتعرف بعد إليه... و لكنه تقدم منها هو يغمرها بنظرات كأنها انشقاق من أفق... حدجها مليا، ثم قال: - لقد سمعتك يا سيدتى، قبل أن رأيتك، و لما رأيتك فهمت ما سمعت... أنت جمال روحى. أبلغ مما أنت فيه من جمال حيى... فما أبهاك تقبلين بى - ليس الآن، بل فى مساء الغد، زوجا لك، تسعدينه أكثر مما يتمكن - هو - من إسعادك... انه نداء روحى إليك، يا درة ليست من معدن أرضى، بل من بيكار سموى. لقد أصغت حميدة، و هى فى إغماضة عين. و لما سكت جعفر، غمرته بناظريها و هى تقول: - لقد سكبك فى بالى سيدى حسان، و نحن فى الطريق. [صفحه ۷۲] و عرفت أن اسمك - يا سيدى - هو جعفر، و انى أسألك: ماذا تقصد بقولك: ليس الآن، بل فى مساء الغد؟ و أجاب جعفر: - ليس الآن... يعنى أنك لم تختبرينى بعد، أما الغد... فيعنى: بعد أن يمعنك الاختبار. و أجابت حميدة: - و لكنك الآن يا سيدى غمرتنى بالفهم، فلماذا الانتظار الى الغد؟... و لكنى، فى هذه اللحظة أقول: أنا غصن صغير فى دوحتك الكبرى... و ما أسعدنى - منذ الآن... أمرح فى ظلك، يا إماما فى ظل إمام. و هكذا تم ارتباط جعفر الصادق، بزواج بحميدة ابنة صالح البربرى، و بسرعة ما أجملها سرعة... لقد اشتريت - أمة - بسبعين دينارا، و لكنها انقلبت لؤلؤة تتزين بمثلها نساء المسلمين. صحيح أن الجمال الذى انغمرت به حميدة، هو أصيل فى روحها، قبل أن يفيض من أساريرها على محياها، و لكن جمالا آخر، هو الذى فتقه فيها، و أخرجه من باطن الى عيان، أو من سكون هاجع فى الطوية، الى حركة تتموج بها العينان، و الشفتان. و الجبين، و حتى كل تأودات البنان... انه الجمال الآخر، و قد غمرها به الامام الباقر بتحريرها من عبدة تجردها من إنسان، و تدعمها بحيوان، الى سيدة حرة، تتعزز فيها قيمة الانسان. و ها هى حميدة - و قد حررها الإمام - تنفتل من درهم حقير اللمعان، الى لؤلؤة تهزأ بالأثمان! و إن زواجها بإمام قد أنعم عليها بأمومة أخرجت من رحمها إماما لا يعيش الآن إلا باسمه الصغير، موسى!!! [صفحه ۷۳]

موسى

يا له هذا الموسى، كأنه حبة حنطة، بقى الشوك و التبن غلافها فى جوف السنبلة، الى أن عركتها الأرجل فوق صفحة البيدر، فعرتها من أغلفة التراب، و أخرجتها صغيرة سمراء... و بقيت صفيرة سمراء، نائمة فى عدل حشروها فيه، و نقلوها به الى رحى فى مطحنة راحت تدور بها و هى تسحقها فى قصد منها أن تلاشيها الى شىء من غبار، و ما درت انها استحالت بها الى ذريرات من طحين هو الرغيف الثمين الذى هو مجال العوافى فى سغب الإنسان! سيكون هذا الموسى الخارج من رحم حميدة صغيرا كحبة القمح، و سيكون له من حبة القبح طباق عليها فى الحجم، و اللون، و كل المميزات... فهو صغير مثلها فى قد يرغبه الاعتدال، و فى سمنة يجملها الاختزال - أما الجسم - فى جميع نبضاته - فحيوية تفتش عنها صلابة الأبدان. فعلا، انه كحبة القمح، و هكذا و صفوه فى قامة ربعاء، و جسم نحيف، و سمرة كأنها سماط الليل، و لحية كثة يهرب منها المشط النحيل... [صفحه ۷۴] و لكن الوصف هذا، و ان يكن ليتناوله و هو فى تمام الرجولة، فإننى لا أبتغيه إلا بعد أن أكون قد تبسطت قليلا بالإشارة الى الجو البيتى العائلى الذى سيولد فيه طفل اسمه موسى... ان الجو هو الملىء بالتأثيرات، بجميع ما فيها من شحنات متنوعة الأشكال و الألوان، و التى هى الى انطباع سيكون محفورا فى سليقة هذا الطفل - و لنقل أيضا بالتمام - هذا الطفل الذى لم يولد بعد، و الذى - بعد أن يولد - سيتكامل عليه الحفر و التنزيل، بالأزاميل ذاتها، و لكن بشكل أو فى، يتلألأ سريعا بكل الملامح التى تتجاوب بفعل الشحنات الواصلة إليها من الجو الذى يكون - هو - قد هبط فيه. و قبل أن يولد موسى، كان الجو الذى سيهبط فيه، قد أصبح مليئا بالشحنات الثرية التى ستغمره بذات هذا الثراء... لقد تحسسناه - هذا الجو - تدخل فيه و عليه حميدة... لقد سمعنا الحوار الذى دار بين الأمة المحررة، و المغتبطة بتحررها، الى

درجة صبغت روحها، و وجهها بفرح كأنه هبوط من علاء... انه الحوار الذى دار بين الإمام الباقر و حميدة... و هو الحوار الآخر الذى دار بين الوسيم جعفر و حميدة... و سريعا ما انقلب الحديث الصغير الى رباط عاطفى، زواجى. راح يتنعم به الطرفان. هكذا نرى أن الجو الذى سيهبط فيه الطفل موسى، قد امتلأ بالجمال الصادق، قبل أن ينزل الطفل نطفة فى الرحم،... و بعد أن تم العلوق، و راحت - رويدا رويدا - تنمو به اللحظات السعيدة الى جنين، كان الجو كله يتعبأ بموجات دافئة، تنتعش بها جميع عضلات الجسم فى حميدة، و هى التى - بعد عدة أشهر - سينورها حنان الأم!!! أليست كل هذه التدفقات المشتعلة بذاتها، هى المشتغلة بها نطفة عالقة فى رحم، تنمو الى جنين، سيهبط طفلا تقر به عين أب. و عين أم؟!.. و كل هذى اللواعج؟ أليست لها التأثيرات فى تكوين الجنين، قبل أن يهبط الى الحضن النابض بالحب، [صفحه ۷۵] و الشوق. و روعات الحنين؟!! فلنكتف من هذى اللواعج، بأنها كانت بساطا دافئا لولادة ميسرة بحقيقة الفرح، و سلامة التكوين، و اندماجية الشوق، و كلها مويجات صادقة، تنعم بها الجنين، و هو فى عزلته الممتعة بكل لواعج أبيه، و كل لواعج أمه... و انى لمن القائلين بأن الطفل - و هو فى بطن أمه - لابد من أنه المصغى - بإذن ذاته الجنينية - الى كل دفقة يدفق بها لب أبيه، والى كل نأمة تنأم بها حشاشة أمه، و هى كلها التى ستنزل مسجلة - كالحفر - فى لوحة صدره، و سيثغثغ بها لسانه إذ يجدها أمامه فى حقيقتها، بعد أن يهبط الى الصفحة التى تستدعيه الى الهبوط! و بعد أن هبط الطفل موسى الى القاعة التى يتنفس فيها أبواه - جعفر و حميدة - تلقفه الجو ذاته الملىء بذات اللواعج، و لكنه الآن قد أصبح يرى، و قد أصبح يسمع، و لابد من أن المرئى و المسموع، قد أصبح لهما وعى آخر، و سريعا ما راح الوعى البادى، ينحفر انحفارا متينا فى لوحات السريرة!!! كل ما راح الطفل يراه و يسمعه. هو حب الصادق، ملىء بذاته، كان يجهر به أب و أم، جمعتهما الحياة الى مأرب واحد، قوامه صدق، و عفاف، و مبتغاه زرع السماء فى حقول الأرض، حتى تنبت الأرض رخاء يدغمها بسماء! و كان التوضيح من جعفر: ان الأرض هى أرض الأمة، فى مقصد جده النبى الأعظم، سورها بقرآن يرفعها الى جنان، هى أمنيته فى جمع أمة على الخط الموصلها الى جنان!!! و كثيرا ما كان يسمع - موسى - و هو يأخذ بشفتيه ضرع أمه قبل أن ينام، حوارا بين أبويه - و كان يشعر من روح الحوار، ان الكلام يتناول اسمه - موسى - و هى الكلمة التى كان يناديانه بها، و هو ابن‌شهرين، و كان يرد اليهما المناداة، بابتسامة سمراء... و هنا - قد سمع من شفة أبيه - اسمه - و هو آخذ ضرع أمه - توقف عن الرضاع، ليصغى الى شفتى أبيه المتكلمتين [صفحه ۷۶] عنه - هو موسى - بالذات... و لا أظنه - هذا الموسى - إلا أدرك معنى الكلام - فراح يثغثغ، و أبواه يصغيان اليه بفرح صبيانى... و بقى يثغثغ متهللا- حتى غفا و نام! من هنا أن الجو الذى كان يلف الطفل - فى شهوره الأولى - كان جميلا و بهيا. و انعكس الجمال و البهاء، جمالا- و بهاء فى غريزته التى هى جمال انعكاس، و بهاء انعكاس... و لا غرو - فإن المعكوس هو - دائما - فى الصفيحة المنقوشة عليها ذاتية الصوت الناطق بذاتية الصدى!!! لم يكن الجو الذى غلف الطفل موسى، الا عابقا بوشوشات عذبة، كل ما ينضح منها، حب و ولاء، و تبادل آراء، فيها من الروح صفاء الروح، و فيها من الفكر تعليم، و ثقافات، و اهتمامات بالأمة، و بحقيقة الإمامة، و استعدادات حثيثة لمحو الجهل: بالعلم، و بترسيخ الوعى فى الأذهان... و كل ذلك، إنما هو المسؤولية الكبرى، يضطلع بها خط الإمامة، و لو بصبر طويل يحقق الرجاء بعد تحمل العناء، حتى و لو طال العناء، لا لدهر واحد، بل لعدة دهور يطول بها الانتظار المؤمن بجدوى الانتظار!!! لم يكن حديث البيت - و لا- مرة - إلا و كوكبه الإمامة، - و لم تذكر الإمامة، و لا فى أية صدفة، إلا و يكون الطفل موسى قد انتشله أبوه جعفر الى ما بين ذراعيه، و راح يداعبه، و يقرأ فى عينيه ملامح عبقرية تربعه فى دوحة الإمامة... أما الطفل - أكان ابن ثلاث، أو أربع من السنين - فإنه كان المنتشى بوشوشات أبيه، و على محياه الندى تسرح انعكسات بهية تشير الى فهم باكر جدا، يجعله مدركا كل ما ينتثر حوله من حديث أو حوار... من هنا كان الاقتناع بأن الجو الذى عاش فيه الطفل موسى، كان مشبعا بالحوافز الحافزة فى الذهن حفرها المستعجل فى تنمية المواهب و ترسيخها فى الطوية، و هكذا، و عمر الطفل أربع سنين - كان أبوه يشهد له: بأنه طاقة [صفحه ۷۷] إدراكية، لا يمكن أن يتمتع بمثلها ابن عشر سنين... و بأنه - بذات الوقت، لا يسأل عن معضلة - لا يفسرها إلا بلاغة و علم، و عمق تفكير - إلا و نراه يفسرها بسرعة، و يجلوها من مخابئها... و ها أن الامام جعفر يصرح أمام بعض من

جلسائه، بأن المعارف كلها التى يحوزها ابنه موسى، إنما هى الهامية لدنية، لم يشرحها له أى كتاب، و لم يسبغها عليه أى مدرب... و تناسى الامام جعفر أن ابنه موسى كان فى غمر من الإيحاء و هو فى رحم أمه حميدة تسعة أشهر، و بقى فى غمر آخر، لا وزن له، و لا حجم، بعد هبوطه الى الساحة، فغمرته الساحة بفيوض كأنها انهمار السحاب... أما استيعاب الفتن فى زخمه المستجيب!!! فتلك هى الطاقة العبقرية - لا شك ان الفتى موسى يتحلى بها... فليلفلفها الامام جعفر، بالحب و الإعجاب - و ليصفها - بعد ذاك، باللدنية. [صفحه ۷۹]

فى الطريق

بعد خمس سنين، ترك الفتى موسى حضن أمه حميدة، و التحق بالجامعة التى أسسها جده الأول الإمام زين‌العابدين، و ملأها بالكتب العزيزة جده الثانى الامام محمد الباقر، و نقلها الى الرحب الفسيح أبوه العلامة الإمام جعفر، و جعلها جامعة تفيض بالمعارف، الكنوز الفكرية و الروحية... و ها هى تغص بأكثر من أربعة آلاف طالب، و بأكثر من عشرة أساتذة يتوسعون بشرح موادها العلمية، و الفلسفية، و الاجتماعية... و ها هى الأمة قد ازدانت موائدها بالمؤلفات النفيسة، و كلها نازلة فى كتب تتوسع الأذهان بقراءتها، مع العلم الأكيد، أن جميع الذين ألفوها هم خريجو الجامعة بالذات - الجامعة الزينعابدينية التى يوسعها الآن - بغزارة علمه و جهده - الإمام جعفر الصادق، و لقد اتسع هذا الكتاب، فى خاتمة إطاره الأول، بنبذة تلميحية عنه، فلنرجع اليها إذا أحوجنا الأمر. أجل، لقد التحق الفتى موسى بالجامعة التى يعالج أبوه الإمام شؤونها الوسيعة، و تربع فوق طراريحها اللاصقة بأرض المسجد فى يثرب، و راح يجيد العب من مناهلها المقروءة و المشروحة، بإصغاءات طويلة [صفحه ۸۰] و عميقة، و باستقراءات وسيعة فى مداها المتجاوب مع مدى أبيه الإمام الذى بقى - خمسة عشر عاما - الى جانب فتاه المصغى الى كل همسة، فيها علم، و فكر، و روح... حتى إذا ما أغمض عينيه اللتين أطفأتهما نقطة سم - تكرم ببخها فى حدقتيهما ذلك الهمجى منصور الدوانيقى - كان الفتى موسى قد أضحى عجينة مكتملة الاختمار، تؤهله - بحق بهيج - لأن يكون إماما يلبس عباءة أبيه، فى المشوار فوق الطريق الذى لا يزال معميا بالغبار!!! [صفحه ۸۱]

و فى الجامعة

دخل الفتى موسى الجامعة و هو ابن خمس سنين، و لم يكن يرنو اليها أكثر مما كانت - هى - ترنو إليه، لا لتوسع عينيه - فقط - بالعلم، بل لتأخذ منهما بريقا، هى بحاجة اليه كل عين تفتش عن علم، و لا يمكن أن يصير لها فهما، ما لم تتوهج - تلك العين - بمثله بريقا نابعا من فطرة تشح بالصفاء الأصيل... و كأن الصفاء الأصيل هو ذاته الذكاء المطل على النفس من معدنه الأصيل، ليكون - هو ذاته - العقل و الروح، و الوشاح الذى تغزله الثريا، و تنسجه قميصا تكسو به صدر حبيبها الانسان! و راح الفتى - و قميصه من غزل الثريا - يرافق أباه المرتدى قميصا - هى ذاتها الثريا قد نسجته له... و لقد جنى كثيرا من الرفقة التى طالت عشرين سنة: خمسا منها، فى البيت و هو طفل، و خمس عشرة فى الجامعة! و هنا، فى الجامعة، شاهد المعارف كلها تومى إليه بأناملها المشعة من كل كتاب، و كل صفحة، مخطوطة بريشة و فكر... و شاهد الجهد مدفوقا من مهجة أبيه، و من فوق جبينه الآتى من خلف الأفق، و تحسس العلماء جميعهم، من فوق منابرهم الشبيهة بالنواقيس، يشرحون كل الدروس، و المطولات، [صفحه ۸۲] و المبهمات، و الطلاب - بإصغاء الشوق - يأخذونها كأنها أرغفة خبز و أباريق ماء: يسدون بها سغبا، و يشبعون بها عطشا!!! و استطلع الفتى كل ما فى الجامعة المصبوبة فيها كل جهود أبيه، و كل ما جنته الجامعة من إنتاجات فكرية، و علمية، و روحية - و تعرف الى منتجيها، و كلهم - كما علمنا - هو خريجو الجامعة، و قد اتصل بهم الفتى موسى، و غاص فى قراءاتهم، فردا فردا: لقد جالس زرارة بن أعين، و قرأ مليا كل ما يجول فى عينيه من طيبة و صفاء. و أمعن بإعجاب الى أبان بن تغلب، و الآخر المدعو بمؤمن الطاق... و لم يترك النعمان بن حنيفة إلا و صافحه بيد، و باحثه فى كل آرائه المبدئية حول الوجود و إبداعية الإنسان. و لم يقل إعجابه بمالك بن أنس، و هو يتمنى له مزيدا من

العطاء!!! أما الذى استوقفه بشوق بالغ الأهمية، فهو جابر بن حيان، و قد وجده مكتبة علمية قائمة بذاتها، و من أبهاها كتابه المخصوص بعلم الكيمياء، و قد اتبعه بملحق يحتوى على خمسمئة رسالة تبحث جميعها بالحركة العلمية: أى ان الكيمياء هى لولب المعارف و المعادلات، فى حركاتها الإبداعية - ليكون له - هذا العظيم الحيانى - كتاب فى موسوعية العلم، عنوانه: علم الميزان، و كل مركزاته على معرفة طبائع المعادن: كالنحاس - مثلا - انه فى نظرية ابن‌حيان، [فضة تلهت عن ذاتها]. و هكذا راح ابن‌حيان يصرف كل اهتماماته فى التحضير الكيميائى الذى يتلاعب بجزئيات الفيزياء اليابسة، و يحركها الى حياة... من هنا كان تحضيره للحامض الكبريتيك، أو زيت الزاج، و لحامض النتريك، و ماء الذهب، و الصودا الكاوية، و كلورور الفضة، و الراديوم،... و كان له طموح آخر يرمى الى تحويل الفضة الى ذهب!!! ألم يخترع ابن‌حيان - استجابة للإمام الصادق - قرطاسا لا يحترق - و كان للإمام ما تمناه؟! [صفحه ۸۳] كل هذه الاستطلاعات التى كان يستطلعها الفتى موسى، و هو على مقاعد الدرس. كانت جزءا من المعارف التى راحت تتوسع بها معلوماته... و كان أبوه الإمام يوجهه - بقصد الى تلمسها حاصلة كضوء من معارف تستنير بها الأمة المحتاجة الى الضوء المديد، حتى تختفى من حولها عتمات الجهل، و الذل، و السياسات الخاطئة - و لقد أدرك الفتى - بحدسه المصيب - قصد أبيه، و أدرك - بالتالى - أن الجامعة العلمية، إنما هى تمنى الإمامة الزينعابدينية، بغاية تثقيف الأمة، و تخليصها - رويدا رويدا - من عتماتها المضنية... و ان عليه أن يستأنف - فى غد - كل الجهود الامامية، و يعمم الجامعات فى كل بقعة من بقاع الأمة المسترعاة الى دوام الوعى المطلق. على مدى عشر و خمس سنين، و قبل ان يغيب الى مداه المستريح - كان أبوه الإمام الصادق، مفتاح خزائن - خزانة خزانة يفتحها أمام لبه، لا ليأخذ منها شبعا و ثراء، بل ليعرف كيف يغطيها - بشبع منه - إذا كانت، هى، آتية من شبع كاذب!! أو ليبذل لها الثراء من فيض ثرائه، إذا كان لها الثراء محتاجا الى مصدر صادق!!! إن كل هذه الخزائن التى كان الأب الصادق يفتحها أمام ناظرى فتاه النجيب. لم تكن غير أحداث و اجهت الأمة التى جاءها نبى بلسان رسول، يمحضها ولاء تستأثر به، و قرآنا تجد فيه ما يقوم خطواتها فوق الدروب... و لكن الأحداث هذه، إنما كانت محصورة جميعها بالفترة الممتلئة بوجود الرسول، و بالفترة الأخرى التى هى - الآن - بعد غياب الرسول. و الآن، يعنى الجامعة فى يثرب، و فيها فتى أسمر، اسمه موسى، و هو بين يدى أبيه الإمام الذى لم يرحل بعد. صحيح ان الإمام جعفر لم يرحل بعد - فهو بشفتيه يتكلم - و صحيح - أيضا - أن الفتى يصغى و لم يتسلم إمامة بعد... أما الحديث الملقى فى الأذن المشتاقة، فهو شامل فى معانيه، و موجه فى مبانيه، و شديد الوضوح [صفحه ۸۴] فى توضيب المقاصد؛ أما المقاصد، فهى فى جعل الفتى موسى فى حضور ملم و مشع بواقع الإمامة التى تيسرت له منذ أن كان عمره خمس سنين، و التى سيكون مقودها فى يمينه، بعد أن يغمض عينيه من يتولاها! و جعل الفتى فى حضور شامل لاستقبال الإمامة، فلأن الإمامة، فى معناها الشامل، تعنى الأمة، و الاهتمام بها اهتماما ملما بكل شؤونها المادية و الروحية على السواء؛ و هكذا فهى اطلاع متكامل الغايات، و متين الصفات، و وسيع المدارك؛ لتكون الإمامة - بدورها - علما، و فكرا، و اختبارا ممرسا بالمران، و وقوفا أمام المعضلات، و تحملا لها بصبر و طول أناة!!! و هذا كله ما جعل الإمام الصادق حاضر الذهن أمام فتاه المتنامى - بين يديه - بأعز الصفات و الهبات، لتكون الإمامة - له - واسعة و جليلة، بكل أبعادها، فى لملمة أمة، ما أضناها إلا أبناؤها المتلهون عنها بإثارة الحزازات، و المشاحنات... من أجل الوصول الى منبر سياسى، تجنى منه كل فئة - أو بالأحرى - كل قبيلة من عديد قبائلها - زعامة كاذبة، و ثراء كاذبا أيضا، على حساب أمة، لا يجوز أن يكون إلا لها صدق النفوذ، و صدق الثراء، و صدق توزيع المغانم، بقسط نبيل و عادل، سطرته فى القرآن الكريم منازل الآيات. مجمل الأحاديث التى استوعبتها أذن الفتى موسى، كان يدور حول المشاحنات السياسية المتداولة بين فئة لا ترضى بإمامة عينها الرسول الكريم، و بين الإمامة المدافعة عن صراط ما عينه إلا الرسول... و هكذا ابتدأت الأحداث التى زعزعت الأمة منذ العهد الأول، الى العهد الحاضر... لتكون الإمامة هى المضطهدة، و الخلافة - إذا صح التعبير - هى الباغية، أما الأمة، فهى المنتظرة نعمة الوعى، و نعمة الفكاك!!! لم يكن الحديث الاخبارى إلا تثبيتا لواقع حزين، قام بتظهيره خط [صفحه ۸۵] أموى، فظع تفظيعا جائرا بالخط الإمامى على مدى طال أكثر من مئة سنة، ثم ولى مدحورا و مخذولا أمام خط عباسى لا يزال ضاربا بنابه و ظفره،

مع السفاح و المنصور الدوانيقى، و المهدى، و الهادى، و الآخر المزدهى بذاته - هارون‌الرشيد!!! أما الخط الإمامى - الهاشمى - الطالبى - العلوى، المدافع عن حقوقه المشروعة، و المحسوبة - بنظره - حقوق الأمة، فإنه لم ينل من لمس الأفاعى إلا لدغة لدغ بها الدوانيقى عنق الإمام الصادق، فخر فى الساحة قتيلا!!! [صفحه ۸۷]

و أيضا قبل الرحيل

و قبل أن يرحل الإمام الصادق لملاقاة ربه بعد أشهر، استدعى إليه ابنه موسى، و كان يدور بعمره حول العشرين، و قد أضحى يعاونه - كأستاذ - فى إدارة شؤون الجامعة، قال له: - لست أظنك الآن إلا المتوسع بجميع ما أنت منتدب اليه فى تولى الإمامة، و السير بها، بحكمة، و صبر، و حسن روية - و إنى على ثقة تامة بك، بعد أن أحطتك بكل المعلومات المتعلقة بالأمة و الإمامة... و بكل الأحداث التى واجهت الأمة، و اعترضت الإمامة، منذ أن غاب الرسول الحبيب، الى هذه الساعة!!! و انى الآن أكيد أيضا من أن معارفك الوسيعة هى التى ستبرز بك فى الساحات، بعد أن تجللت بوقار آخر، يوفر لك احترام الغير لك، حتى و لو كان هو ذاته منصور الدوانيقى! - و منصور الدوانيقى؟ و ان كان لى أن تحسبت منه بصبر، و حكمة، و احتراز، مما نجانى من كيده، و غدره، حتى [صفحه ۸۸] هذه الساعة... و لكنى أرانى - و ان نجوت حتى الآن - لست بناج غدا، أو بعد غد، و لن يكون لنا جميعا - لا نحن الهاشميون، الطالبيون - العلويون - و لا الأمة - و نحن بلسانها المتكلمون - أن ننجو من غدر و لؤم توارثه العباسيون عن أسلافهم المناكيد - الأمويين - إلا بتحمل رزين، و حكمة أرزن، و روية مشبعة بالعقل، و العلم، و التحسب، و انتظار - و لو طال أكثر مما نترقب - حتى يذوب الجهل من الأمة، و يتم لها زجر المتعسفين... و عندئذ، يغير الله أمرا كان مفعولا!!! توقف الإمام قليلا عن البث الحزين، ثم عاد الى توجيه الكلام الى ابنه موسى الذى لا يزال مطرقا يصغى، فهزه - قليلا - بكتفيه، ثم أردف يقول: - اسمعنى أيضا يا ابنى الإمام؛ إن الأمة التى أرادنا نبى الإسلام أن نكون - بحق - أولياءها، و أمناءها -... تطلبنا دائما الى يقظة حليمة نسير بها الى نجدتها، و تخليصها من الأورام... و لكن - بحكمة: و روية، و اتزان... حتى لا تهدر، لا طاقاتها، و لا دماؤها الثمينة، و لا أحلامها المنسكبة عليها من سور القرآن!!! من هنا سررت بك إحاطة علمية، و فكرية. و خلقية... لتكون - أنت - اليقظة الحكيمة و الفهيمة التى تتطلبها مصلحة الأمة... و من هنا رأيتك مصغيا الى كل شأن من الشؤون الخاصة المرتبطة بالأمة، منذ أن غاب الرسول عنها حتى الآن... لقد أخبرتك مطولا عن عهد بنى‌أمية... انك لم تره بعينك... بل سمعت عنه بأذنك. [صفحه ۸۹] منذ أن كان عمرك أربع سنين، الى أن بلغت الآن السابعة و العشرين... والله أعلم كم ستستمر بك المعاناة فى تحمله حينما تعانى منه، أنت، و الأمة، و الجامعة بالذات، و هى التى أنشئت لتخليص الأمة من جهل يرمى الأمة كلها فى ذل يحررها فيه تعسف السياسات!!! احفظ هذا الموجز، و وسع به يقظة بإمكانك أن تعالج بها استمرار الملمات!!! [صفحه ۹۱]

الموجز

و ابتدأ الإمام الصادق بالحديث الموجه الى الإمام موسى الذى لم يبدأ بعد بممارسة إمامته - قال الإمام الأب: - سيكون لك بعد الانتهاء من سرد هذا الموجز أن تحاورنى بما تريد، أما الآن فلنبدأ بالثورة على الأمويين: كيف تململت بها الأمة - و أقصد كيف تململنا بها نحن لمصلحة الأمة حذفا للأمويين من الساحة! لقد كان عمرك يا ابنى أربع سنين، عند ابتداء الثورة. أما الأسباب التى حركت الثورة، فلأختصرها - قليلا - هكذا: كان الأمويون - دائما - يفرضون سب أهل البيت و إبعادهم عن مناصب الدولة، و قتل أهل العترة إذا اقتضى الأمر - من على الى الحسن، الى الحسين... و جريمة كربلاء تشهد ليزيد بفظاعة الجريمة!!! و مروان هشام بن عبدالملك، قد فظع بقتل زيد بن على بن الحسين. و حز رأسه. و أمر زواره بأن يطأ كل واحد منهم رأسه!!! و أمر بصلب جسمه [صفحه ۹۲] طويلا فى الشمس، ثم أمر بحرقة و ذر رماده فى الهواء!!! و كذلك مثل الأمويون بيحيى بن زيد... هذه هى بعض

مكنونات الثورة التى أحاطت بحكم الأمويين! و لقد حرك الثورة هذه نزاع بين اليمانية و النزارية، و انضمت اليمانية الى العباسيين، و نشط هذا الانضمام العلويون بواسطة واحد منا، هو عبدالله بن الحسن... و هكذا اهتمت الثورات، أو فلنقل الحركات المحلية بالدعوة لأهل البيت، و كان يتظاهر بذلك منصور الدوانيقى... و اشتدت ضلوع الثورة فى خراسان... و عقد مؤتمر الأبواء بواسطة الهاشميين، و حضره كل من إبراهيم الإمام، أو السفاح، و المنصور... و صالح بن على، و عبدالله بن الحسن، و محمد و إبراهيم اللذين قتلهما المنصور! و فى مؤتمر الأبواء، دل المنصور الى عبدالله بن الحسن، بأنه هو الذى ستكون له الإمامة... و عندئذ تمت له البيعة فى الأبواء... و لكن العباسيين لم يفوا لا بالوعد، و لا بالعهد! و انتخب إبراهيم الإمام، عميد العباسيين، أبامسلم الخراسانى و أوصاه بقتل العصاة، إنجاحا للثورة! و كانت النتيجة ستماية ألف قتيل من رجالات الأمة، و أصلاب العرب!!! و توجه أبومسلم الى خراسان التى رحبت به... و هكذا تكونت الثورة الأولى بجيوش بنى‌العباس... و ضعف شأن مروان بن محمد الجعدى، آخر [صفحه ۹۳] خليفة أموى، ثم قتله السفاح فى معركة الزاب فى الموصل! كان عمرك يا ابنى موسى خمس سنوات، عندما قتل آخر خليفة أموى - مروان بن محمد الجعدى - و ساعتئذ انتهى الحكم الأموى!!! و لكنه، بدل أن ينتقل الى الامام عبدالله بن الحسن، انتقل الى العباسيين الكذابين، باسم إبراهيم الإمام السفاح، سنة ۱۲۴، و دام حكمه ست سنوات عجاف... و صرت أنت - لما مات - فى الحادية عشرة من عمرك... أما الأمويون - على عهد السفاح - فتشتتوا شذر مذر، بعد أن استلم الحكم المنصور الدوانيقى، أخو السفاح عبدالله بن الحسن... و لا- ابنه الأول محمد، ذوالنفس الزكية، و لا- ابنه الثانى إبراهيم، و كلهم فظع بهم المنصور المتولى الحكم! و مثلما كان السفاح يموه على العلويين من دون أن يصدقوه، راح المنصور يتابع التمويه عليهم، من دون أن يصدقوه - بتاتا -... و هكذا حرك محمد ذوالنفس الزكية، ثورة على المنصور، باءت بالفشل. و بقتل محمد ذى‌النفس الزكية!!! و جاء دور الأخ إبراهيم بن عبدالله بن الحسن، فى تحريك ثورة انتقامية لأبيه و لأخيه... و لقد تعبأت بالقوة الشعبية الملبية فى البصرة، و الأهواز، و فارس، و أصبح الفوز على قاب قوسين أو أدنى... و لكن إبراهيم بن عبدالله بن الحسن - و هو على رأس الثائرين فى الكوفة - أصيب بسهم [صفحه ۹۴] فى حلقه أراده قتيلا!!! فصفا الجو للمنصور، و أكمل فتكه بالعلويين!!! هنا توقف الامام الصادق قليلا- يستريح من عناء السرد، ثم ليستأنفه بنبذة ثانية فيها كثير من الإتزان، أما الإمام الصغير، فانه راح الى اتزان آخر، و الى صفاء آخر - أيضا - يلفلفه ببلاغة التصبر، و بلاغة الانتظار... و استأنف الإمام الصادق حديثه البحث: - و الآن يا ابنى، لقد جاء دورى أنا فى مقابلة الأحداث، و ها إنى أقول: لم أخدع بشىء مما تمثل أمام عينى من أحداث... لقد وعيت تماما سريرة السفاح، و كل سرائر بنى‌العباس... لقد كانوا يعدون - فقط - و لا يفون لا بوعد و لا بعهد! أما الثورة التى قام بها قريبنا و نسيبنا عبدالله بن الحسن، و إبناه محمد و إبراهيم... فإنى الوحيد الذى كنت مطلعا على كل مسبباتها، و جميع حيثياتها السلبية و الإيجابية سواء بسواء!!! لقد اتصل بى الإمام عبدالله، مع إبنيه محمد و إبراهيم، طالبين منى المؤازرة، و لكنى، بصدق و لوعة أجبتهم: بأن أمور الأمة تحتاج الى كثير من درس، و تعمق، لا- الى أى من حماس و تسرع يرميان الأمة فى المزالق التى تبعثرها، و تبعدها عن حقيقة المنال... و بكلمة مختصرة، قلت لهم: لم يأت الأمر بعد!!! و ان محمدا و إبراهيم - أثناهما - هما المقتولان إذا استبد بهما مثل هذا التسرع، و مثل هذا الحماس!!! و لكنهم - يا لقلة التبصر! حسبوا قولى حسدا منهم، و ليس عطفا عليهم، و بالتالى ليس غيرة على الأمة [صفحه ۹۵] التى لا يجوز - مطلقا - أن تستهين بمصيرها، لا سيما و ان جبروت العباسيين، و بطشهم، هما المالأن الساحات، و أن لا رادع لهم من عقل، و حكمة و اتزان، يوقفهم عن الغدر، و الكيد بكل من يقف فى وجههم و منعهم من الطغيان!!! - هذا كل ما رغبت أن أوصله إليك... فهل من حوار تريد أن تسمعنيه، و أنا الآن المصغى إليك؟ [صفحه ۹۷]

الحوار

و رأسا سجد الإمام الصغير أمام الإمام الكبير متناولا يده يطبع عليها قبلة احترام، و هو يقول: - أنا لا أرانى مريدا حوارا أنت بالذات

مكنتنى به، بل أريد إسماعك صوتى الذى أخذت منك كل نبرة من نبراته - و هى صدق منك، و بعد، و عمق، و اعتماد رويۀ... فاسمح لى أسمعك - بصوتى - حقيقۀ صوتك، و بشفتى حفيف لسانك فى أذن نفسى، و التى هى صدى روحك فى نقش وجدانى، و ها أنى أقول: لقد وعيت قصدك فى كل ما رسمت - فأنت تريد أن تفهمنى: أن الأمۀ كلها هى إطارنا فى وجودنا فوق الأرض - و هى كذلك... لقد كانت إطار جدنا النبى، و لا نزال - مثله - نعتبرها إطارنا فى كل ما نسعى إليه، و لا يجوز إلا أن نرعاها بحماس و رويۀ، و لا بتسرع، من دون تحقيق يقومه الدرس: لقد سطا على هذه الأمۀ بنوأميۀ، لا لأنهم ليسوا منها، بل [صفحه ۹۸] لأنهم منها فى الصميم... و لكنهم قد حجموها بسياسات قبليۀ تجبى لهم - وحدهم - دون سواهم من القبائل، كل النفوذ، و الثروات، و المغانم... و لأنهم لم يتفهموا أن الأمۀ مجموعۀ أفراد و قبائل، و أن مصلحۀ الكل غير مصلحۀ البعض - سترتد عليهم كل الأمۀ، و تحطمهم سياسۀ خاطئۀ خلت سبيلها القويم!!! - و لكن الثورۀ التى قام بها قسم آخر من الأمۀ - و هم العلويون المستنجدون بالسفاح و المنصور - كان لهم تحقيق مصيب، أوصلهم الى محو الريب الذى وقع فيه بنوأميۀ! و لكن الأسلوب الذى اتبعه بنوالعباس، و بدلا من أن يكون الأجدى، انقلب الى الأردأ، راحوا به كما مشى به بنوأميۀ، الى استغلال قبلى ذاتى، سيهزل الأمۀ، و يفقدها وحدتها الشاملۀ المرصوصۀ بكل أفرادها، و قبائلها،... و سيوصلها - حتما - هذا الخطأ السياسى الفادح، الى ثورۀ أخرى لا تنجح، و لم يجمع مقوماتها الفاعلۀ و عى جديد تنتجه الأمۀ من حقيقۀ علمها و معارفها، و خبراتها الضمنيۀ المستيقظۀ من واقعها الحياتى، التجريبى النابع منها - بالذات - و من أيامها الطاعۀ من حقيقۀ معاناتها السلبيۀ، و التى ستصبح إيجابيۀ، رويدا رويدا، تحت تأثير الوعى الآتى اليها من ضفائر العلم الذى سيثقفها، و يهديها الى سواء السبيل! و بدأت الثورۀ - فعلا - بجميع حيثياتها، مع العم عبدالله بن الحسن و ولديه محمد و إبراهيم... و هنا كان لك - يا أبى‌الإمام - أن تسدى النصح للزعماء الثلاثۀ: بأن يؤمنوا بثورۀ [صفحه ۹۹] تتمكن من محق، لا بنى‌أميۀ بالذات،... و لا - أيضا - من محق بنى‌العباس،... بل من محق كل قبليۀ تدعى أن لها - وحدها - حق سيادۀ الأمۀ، و جمع كل ما تنتجه الأمۀ فى صناديقها الخاصۀ بها، و اعتبار كل القبائل و سواها، عبدانا، يجمعون الولاء، و الخضوع، لها و ليس للأمۀ جمعاء، و هى كل القبائل، و كل الأفراد - بذات الحريۀ، و ذات السؤدد، و ذات الكرامۀ! أجل يا أبى، لقد أسديت النصح للعم عبدالله، بأن يؤمن بثورۀ فاعلۀ، و لا بإعلانها غير فاعلۀ، بحيث يجب - حتى تكون فاعلۀ - أن تحاط بتحضير واسع الدرس، و علم بجميع الأسباب التى تفشلها، و بالتالى تعيينها أسبابا أكيدۀ لابد من التغلب عليها، حتى يتم - لمطلق ثورۀ - نجاح مرتجى! لم ينشىء العم عبدالله درسا ملما بجميع الأسباب التى جعلت بطش العباسيين فاعلا لا يقاوم! و لو أنه - فعلا - أنشأ الدرس هذا، لكان اكتفى بما قدمت له - يا سيدى - من نصح يوسع له جيوب الحكمۀ، و التصبر، و الإتزان... أو - بمعنى آخر - يوفر له وقفۀ بطوليۀ، يرغب - هو - أن يتحلى بها، تطالب الحاكم بأن يكون صادقا فى سياسۀ الأمۀ، بحيث لا يكون له إلا أن يفتخر بها، أكثر مما يجعلها - هى - أن تفتخر به... لأنها أنشأته وليا لأمۀ تفانى فى إعزازها نبى الإسلام!!! أليس فى القول هذا - يا أبى - موالاۀ لحاكم بطاش أصبح مفروضا، و نحاول نحن أن نخفف من رعونۀ بطشه؟!! [صفحه ۱۰۰] هنالك أسباب عديدۀ، لم يكن للعم عبدالله أيۀ مكنۀ، من الوصول الى درسها، و لكننا، فى هذه الخلوۀ المباركۀ، لابد من التلميح عنها، و هى لا تزال قائمۀ فى وجه أيۀ ثورۀ تتطلبها الأمۀ فى عمليۀ إصلاح شؤونها العامۀ. و هى تعود إلى أجيال عديدۀ، حرمتها من لم شملها. و تثبيت وجودها... و لقد استلفتت انتباه النبى العظيم، فاختلى خمسا و عشرين سنۀ فى غار حراء، لدرسها أسبابا موجبۀ لهذيان لا يجوز إلا أن يزول من صفحات غدها!! و استنزل لها سور القرآن الكريم، لتذوب على مهل موجۀ الهذيان! و لقد حاول الإمام على مساندۀ الآيات، بنهج بلاغى يحاول - مع الأيام - تنوير أذهان الأمۀ، و تخليص صدغيها من وطأۀ الأورام!!! و الأسباب العديدۀ؟ لابد لها من كلمۀ وحيدۀ تختصرها، و ننير لها عقول و أذهان الأمۀ... و على مهل - قد يطول قرونا - يمحى الجهل فى تعتيمه البصائر! و تتحد القبائل كلها فى انضمام، هاشمى - أموى - عباسى - خزاعى... لا أثر فيه إلا لموجۀ عالیۀ واحدۀ، هى الأمۀ، بلا زيغان و لا هذيان!!! أما الكلمۀ التى ستنزل فى السمع، و اللب، و الوجدان. فهى [الوعى] الذى قامت تسدد به خطوات الأمۀ، الإمامۀ المثلثۀ و المكتملۀ: بزين‌العابدين، و محمد الباقر، و جعفر الصادق... انها منذ أكثر من سبعين سنۀ، تزرع العلم

لينمو - رويدا رويدا - و يغطى كل المساجد المنتشرة فى [صفحه ۱۰۱] مدن الأمة... و ها هو الوعى سيبث ذاته المشعة، من شفة الى شفة، و من مدينة الى مدينة، و من صحراء الى جوار عامر بمنهج الذات... و هكذا، حثيثا حثيثا - و لو كان بين الحثيث و الحثيث - ألف أو ألفان من خطوات الزمان - ينتشر الوعى، و ينهزم الجهل. و تصمد جامعة صادقة بجعفرها، يحاول الآن أن يخرسه خلف جدرانها - فرد هزيل الوعى اسمه: منصور الدوانيقى!!! لم يصمت طويلا الإمام الصغير، و رأسا استأنف البث: - ليس فى قولى هذا يا أبى الإمام، إعلان ثورة على حاكم، - و إن يكن اسمه منصور الدوانيقى - لم يمرسه الوعى بعد، لا بصدق الحكم، و لا باستقامات النفس، فى بناء أمة طالعة من غيبوبة الذهن!!! أما الذين استدعوه الى الساحة العتيقة، فهم ذواتهم الذين فاتتهم نعمة الدرس الذى هو وعئ عام، تفتش به الأمة ذاتها عن فتاها المتمكن من قيادتها الى تلك الجنان! أقول ذلك أمامك يا أبى، لأعنى أن الحاكم المستدعى الى استلام الزمام، هو الأحوج - من أى سواه - الى ثقافة عامة واعية، تستنير بها مضامين نفسه، و يسير بها وعيا مسؤولا عن أمة لا يلملمها إلا الحق، و الصدق، و ذلك الإخلاص... و انى أرى الجامعة العلمية التى كفكفتها أنت فى يثرب، هى المنوط بها - مع طالع الأيام - بث الوعى، عن طريق العلوم كلها، و إيصالها حتى الى الرعيان، أو بالأحرى، الى سدرة الحكام!!! [صفحه ۱۰۲] لن يكون لى، يا أبى، أن أخبىء نفسى بثورة أتفلها بوجه منصور الدوانيقى، لأنه لم يحترمنى كإنسان و لم يحترم الأمة كموئل، و حسن زمام،... و سيكون لى، من ضمن حدودى كإمام، أن أبدى النصح لهذا الحاكم - بالذات - بأن ينور ذاته بوعى لا تستقيم إلا به سريرة الحكام... و بقدر ما يرعوى، يتم فأل الأمة. و لعل الارعواء يكون جزءا من وعى، تنتظره قوافل الأيام! هنالك حكام جاءتهم الطبيعة من مكارم الذات، كأن الوعى فيهم نابت من جذور السليقة، فبارك الله للأمة بأمثالهم، يرثون الطيبة من معدنها الأصيل، و هكذا يا أبى، لا نذكر بالخير إلا عمر بن عبدالعزيز، يدخل المسجد و يصغى الى جدى الإمام زين‌العابدين، و هو يشرح الدرس، فيؤخذ بقيمة الجهد، و يدرك الأبعاد الرامية الى تثقيف الأمة، و تثقيف الحكام، بوعى ينقل الأمة، و ينقل الحكام الى سوية لائقة بقيمة الأمة، و قيمة الإنسان... و ها هو عمر بن عبدالعزيز، يأمر بتوسيع المسجد أربعين ألف ذراعا، لا لتوسيع المسجد للسجود، و للصلاة، بل لتوسيع المدى المستحيل - رويدا رويدا - الى علم، و إلى فكر، والى وعى آخر، تتلون به: لا سريرة الأمة. بل - و أيضا - مدارك الحكام... الى أن يتسع هذا المدى المفتوح أمام البصائر، تكون قد ذابت الثورات الصغيرة، و هى الحقيرة بحد ذاتها، بإحلالها حاكما ملأ الساحة - بجهله - كفرا، و بطشا، [صفحه ۱۰۳] و مجونا... ليحل محله ضب آخر، ليس له - من الجهد - إلا ذات القماشة، و عين المسيرة!!! أجل يا أبى، عندما يشمل الأمة وعى نبيه... تنجلى الأهداف. و تتوضع المقاصد، لتكون الثورة الكبيرة الفاهمة من تحقيق الأمة الكبيرة الواعية، فى رفضها أيا لا يوجهه الوعى الى إدارة السفينة... و الأمة الكبيرة هى التى يوسعها العلم، و حقيقة الوعى... لا القبلية التى تشرذمها الفتلات الجاهلية الأمية!!! أما حكام اليوم - فإنهم نتاج ثورة صغيرة - و ان يكن بعض منا - نحن - قد اجتهد فى تنقيحها الواقع - حتما - فى الفشل!!! و ما علينا نحن - أيضا - إلا أن نقابلها بكثير من الصمت... أو فلنقل - بالرضوخ -... أو فلنقل - أيضا - بالنصح، حتى نغير - ما أمكن - من مسارها و مضارها!!! لأن ابدالها بغيرها - لو تم له الوصول - لن يأتى إلا بمثلها [لسوء طالع الأمة التى لم تتمتع بعد بحقيقة وعيها المطلوب]. - أما الحاكم الذى أراد العم عبدالله خذفه، فهو المقتدر - فى سبيلة الاقتداء - و هو الذى أصبح متمكنا من حذف نصف الأمة، قبل أن يتمكن النصف الثانى من حذفه!!! أم أن نلاين هذا الحاكم - ما أمكن - و أن نحاول إطلاق، ما أمكن - أيضا - فدم الأمة الذى نريد أن نحقنه، هو الذى يفرض علينا الملاينة هذه، و ذلك الإصلاح المفترض. - على كل حال يا أبى... لن يكون لنا أن نكيد الحاكم، لأنه يكيدنا، بل أن نقابله بالغفران، و بالنصح - ما أمكن - فهو منا، و من الأمة التى تتحمل - وحدها - الضيم!!! أما [صفحه ۱۰۴] التصبر و الانتظار، فهما لنا فى المجال الطويل فى حقيقة الالتزام، و لقد أبنت يا أبى أن وعى الأمة لن يتم، إلا رويدا رويدا، مع طول التصبر. و طول الإنتظار!!! كأن الإمام الصغير قد اكتفى بتقديم قسط وفير مما عليه أن يقوم به من حضرة أبيه، لإقناعه بأنه سيقفو خطاه عندما يتسلم منه الزمام. أما الإمام جعفر، فإنه المصغى بكثير من الرضى الى حديث ابنه موسى... و قبل أن يوجه إليه كلمة الشكر، مع كلمة المباركة، سمع ضجة أمام البيت، ثم قرعة على الباب، فهب موسى و فتح

المصراع، و وجد أمامه - واقفا كالشبح - عامل المنصور فى يثرب، و رأسا دخل بابتسامة عريضة، و هو يقول للإمام جعفر: - أحمل إليك يا سيدى الإمام، من الخليفة المنصور، معضلة، ما تمكن الخليفة من حلها، و هو يرجوك القدوم إليه، ليسمع منك - حلها - بإذنه... أظنك أمانة فى عنقى... أحرسك، و أوصلك الى سيدى المنصور، حلال معاضل... و أجاب الإمام، ببسمة عريضة أخرى، و هو يقول: - و هل بإمكان جعفر غير تلبية المنصور؟!! فهيا بنا فى الحال الى حضرة المنصور. و التفت صوب ابنه موسى و هو - أيضا - يورى: - انتظرنى الى غد، أو الى بعد غد... سأعود إليك... و لكن... حلال معاضل!!! أما الإمام الصغير، فإنه بقى فى صمت رهيب، و هو غارق فى تحليل المعضلة!!! [صفحه ۱۰۵]

المعضلة

لقد شد المنصور القافلة من بغداد، و وجهها نحو يثرب، و معها رسالة منه الى عميله فى يثرب، يأمره فيها بأن يأتى - توا - الى جعفر الصادق، و يبلغه وجوب حضوره الى بغداد، على متن القافلة المرسلة خصيصا اليه، من دون أن يسمح له - حتى - بتغيير هندامه... لقد اعتاد الإمام جعفر على مثل هذه الأوامر المستعجلة التى - غالبا - ما كان يوجهها اليه أميرالمؤمنين منصور الدوانيقى... لهذا نهض الإمام سريعا الى التلبية!!! و كذلك إمامنا الصغير موسى، فإنه لم يفاجأ بسرعة الأوامر التى كان غالبا ما يلجأ اليها أخو السفاح، من دون أن يسمح بأية مماهلة... و كثيرا ما كانت مقابلته تحصل كأنها حوملة تسبق الإعصار، ثم تتلاشى كأنها غمامة صيف ليس فيها قطرة من مطر! و لكنه - هذه المرة - أوجس الإمام الصغير خيفة من شىء و هو يقول فى ذاته: أخاف أن تكون البداية هذه سحابة ناشفة، و فى ذيلها زوبعة... و قاك الله يا أبى من زوابع الفجار!!! و سكت موسى، و فى يقينه صبر الى غد يصلى، و فى طول الصلاة آمال يباركها الانتظار! [صفحه ۱۰۶] و ما تكون المعضلة؟ راح يحسب الامام... و كيف يراها المصور بلا حل، حتى يأتى الإمام جعفر، و بصدفة يمحوها؟!. و لكنك يا دوانيقى - كما يبدو من هزيز الأمس - لا ترتاح من و ميض المعضلة، إلا بحذف المعضلة من تحت عينيك!!! تلك هى المعضلة، تتمثل تحت عينيك بحذف الصادق يطالبك [بفدك] ليست لك... انه خطأك الطويل يا منصور، بدأ به - قبلك - أبوبكر الصديق... بدأ به صغيرا، و لم يلحظ أنه صار كبيرا عندما وصل اليك... بدأ به عندما حذف قطعة الأرض - فدك - من إرث فاطمة، ليجعلها إرث الجهاد... و رضيت فاطمة، و كل امتطى مثلها حلبات الجهاد، بإرث راحت تتمدد به ساحات الجهاد... لقد اتسعت حدود فدك، عندما يمنوها بالجهاد... لقد كانت عدة شجيرات من نخيل، و بعض تراب من رمل و غبار، و ملكا حقيرا فى الحجاز لبعض من يهود، خانوا الأرض، و خانوا الله، و النبى، و كذبوا على مصداقية الإنسان.. و لكنهم، إذ نقلوها ملكا الى تصرف النبى، صبغها النبى بجهاد الإسلام. و أراد أبوبكر المسلم، أن لا تذوق طعم ثمارها شفة فاطمة بنت نبى الإسلام. بل كل شفة، من شفاه المسلمين!!! و صح عداء أبى‌بكر لفاطمة، و لعلى، أول من قاد الجهاد، و ساند النبى فى تركيز الإسلام... و مشى الإسلام، كما مشى به القرآن، و اتسع الإسلام، و اتسع الجهاد، و اتسعت الأرض، و من ضمنها فدك، حتى ذابت فدك خيطا على المغزل الذى تألفت و توسعت به حبكة النور... و ها نحن اليوم نسأل - بعد مئة و خمسين سنة - أين هى فدك؟ أو إرث فاطمة من فدك؟ و كم هى مساحة أرض فدك؟ و كم هو ثمن فدك؟؟؟ و ها انى أنا المسمى الصغير من بين الأئمة الذين أوصى إليهم نبى الإسلام بإدارة الأمة، كما أوصى لابنته فاطمة بنحلة فدك... أجل، إنى أسأل نفسى: ما هى مساحة فدك؟ و كم هو ثمنها - و قد غدت انضمامية الى رقعة [صفحه ۱۰۷] الإسلام - و لكن الجواب الذى يرن فى حنايا الطوية، ما تمكنت - أنا موسى - إلا أن أصوغه هكذا: - تبدأ حدود فدك، من فدك بالذات، الى عدن، الى سمرقند، الى إفريقيا، الى سيف البحر مما يلى الجزر و أرمينيا. انها - بالفعل - حدود الأمة التى غطاها الإسلام - و غطى معها مفاسح أخرى من رقاع الأرض، أكان فى الشرق، أم كان فى الغرب - ليكون الاسلام دينا توحيديا، تنادى به المآذن. مثلما تتخشع به نواقيس الكنائس، مثلما تتهامس به جوامع الحكماء. أقول ذلك لأعنى، كما أضحت سيدتنا فاطمة تعى: بأن المطالبة كانت بإرث صغير و أضحت بإرث كبير، لا يقدر أن يمتلكه فرد ان لم يكن فى رباطه الاجتماعى الموصوف

بوحدوية الأمة!!! أجل، أيها المنصور - اننا نطالب، نحن الإماميين، بإرجاع فدك الينا، لا لنأكلها رطبا، و لا لأن نبيعها ترابا... بل لأن نعززها بجهاد مستمر، يدعم إسلامها، و يوسعها فدكا يوازيها ثمن من الأثمان... أما المنادات بإرجاعها إلينا - فلأن نبيا عظيما قد انبلج منا، و نجاها من يهودية، كذابة، و وسعها بالأمة، لتحرير الأمة... و استنزل للأمة كل الضوابط التي تحميها من مطبات الهبوط! تلك هي الأمة التي استرجعها الى صدره نبي الإسلام، و سلمناها إرثا أسميناه فدكا مربوطا بعقد الأمان - و استمطر علينا من السماء عهدا بأن نحافظ على العقد من غدرات الزمان... و لكن أبابكر الصديق - و لا نزال نتمناه صديقا - سحب العهد من [صفحه ۱۰۸] يميننا الى شماله، و سد بأصابع كفه اليمنى: عينيه، و أذنيه، و ملعب لسانه... حتى لا يرى، و لا يسمع بنود الوصية، و حتى لا يتكلم عن مضمونها... أما النبي الذي غفا غفوته المثلى... فلينم قرير العين - راح يقول الصديق في سره - لأن من يخلفه، سيكون الأوعى في تخليص الإرث من هفوات لا يجوز أن تحصل: أكانت إدارية، أم كانت عقارية... أما الأمة، فستتناولها سياسات الجهاد... أما فدك؟ فلن تبتلعها زوجة على، بل كل ساحات الجهاد!!! هنالك الإمام الصادق - و ان يكن له حق المطالبة بإرجاع فدك اليه - منك أيها المنصور، و من السفاح، و من كافة ملوك بنيأمية، و حتى من عثمان بن عفان، و من الخطاب، و بالتخصيص من أبيبكر الصديق - فإنه لم يفعل ذلك أسوة بأبيه الباقر، و جده زينالعابدين... لا لأنكم نحرتم الأمة - بعد النبي - غلية، و غدرا. و اختلاسا... بل لأنكم ارتكبتم الجريمة بجهلكم: ما هو الحق، و العدل، و النبل، في سياسات الحكم، و كيفية إدارة الأمة، و ضبطها في منهجية رسمتها عبقرية، جهادية، رسالية، نبوية... اتصفت بها أمة الإسلام... أجل، أيها المنصور، ان أبي الإمام جعفر الصادق، لم يطالبكم بإرجاع فدك الى نصابها المتسع بها: من جنان عدن، الى سيف البحر... بل راح الى تنوير أذهانكم بوعي مستنير بذاته، يحققه العلم النابع، أيضا - من حقيقة ذاته... و بعد ذلك تدركون: أن فدكا هي الأمة الملبية شوق النبي، و ان العناية الصادقة التي تسوسونها بها، هي التي ترفعكم - بها - الى سماك - لستم الآن بعالمين كم هو مقداره في دنيا الشمم!!! منذ سبعين سنة أيها المنصور، و الجامعة العلمية في يثرب، تقبل جبين عمر بن عبدالعزيز، لأنه احترمها، و وسع مدارجها بأكثر من أربعين [صفحه ۱۰۹] ألف ذراع، حتى تزيد مقدرتها العلمية في تثقيف الأمة، و تنوير عين الحكام. و منذ أكثر من عشر سنين - أيضا - و الإمام الصادق، يقبل يمينك أنت أيها المنصور، أو يا أميرالمؤمنين، حتى لا تهدم حجرا واحدا من عتبة البنيان!!! و لكن المعضلة التي تحاول - أنت - حلها... هي التي تعشش في عتمة روحك، بأن تهدم العتبة، و السقف، و الجدران، على رأس الصادق - تحسبا منك - بأن تحذفه قبل أن يطالبك - بعد غد - بإرجاع فدك إليه... و عندئذ - أي معنى لك راعيا قشيب العصا؛ بين الرعيان!!! لقد بقي الإمام الصغير، طيلة شهرين - يتلمظ هذه الأفكار، و يزيدها درسا و تمعينا... و أخيرا جاءه علم بأن القافلة، بقيادة عامل المنصور في يثرب - تصل بعد يومين... و بعد يومين - بالتمام - ترجل الإمام على عتبة الدار. و قفلت القافلة راجعة الى بغداد... أما الإمام، فما كاد يلملم فتاه الأسمر، الى بين ذراعيه - حتى رجاه بنقله الى فراشه، لأن طول الطريق يهدم حيله - و لأن ألما في أمعائه يقرع خاصرتيه بما لا يطاق!!! لقد قرأ الإمام الصغير في عيني أبيه الكبير، - قبل أن ينام - حروفا مكتوبة بلون فاقع أصفر، و بلون أحمر فاقد اللمعان... و أدرك أن المعضلة قد حلها عامل المنصور، و هو راجع مع أبيه الى يثرب. و أن سما مقشوبا بالطعام، و قد تذوقه الإمام، قبل أن يصل الى فراشه و ينام!!! [صفحه ۱۱۱]

الإمام موسى الكاظم

الكاظم

و لف الإمام موسى جسد أبيه الراقد، بقميص و عمامة كان يرتديهما جده الإمام زينالعابدين... و حملوه الى البقيع حيث واروه الثرى قرب آبائه العظام... و لما رجع الى البيت، كان هول الصدمة يغلفه بصمت رهيب، لا دمع فيه، بل سكون غائر في عينين شبه مغمضتين، ينبجس منهما شجى آخر، لا اسم له غير الخشوع!!! أما زواره الكثر - و قد توافدوا يعودونه للعزاء - فإنهم رهبوا المجال في صمته، و

حجزوا الدمع فی مآقیهم المرتهنة بمثل هذا الخشوع!!! من جملة الذین زاروه للعزاء - شیخ وقور مخفی تحت جعادات وجهه - دخل علی الإمام - و توا توجه إلیه، و قبل یده، و هو یقول: - أکمل مسیرة أبیک - إذا تمکنت. و هذا کل العزاء، و کل الثراء. و طول البقاء!!! [صفحه ۱۱۴] ثم انسحب... اما الامام، فانه بدا، کأنه ابتسم، أو کأنه اکتأب... و لکن.... لا ابتسم، و لا اکتأب... بل انه التهب بنحیب ضمنی جعله یلحق بالشیخ، لیحتجزه فی مخبأ سری من حنوة لبة، فیکاشفه بسریرة نفسه، ساعة تزدحم علیه رزایا الدهر... و ما أشدها الآن وطأة علیه، غیبة أبیه الصادق فی نقطة سم: صغیرة صغیرة کأنها حبة سمسم!!! و ابتدأت - منذ هذه اللحظة - مناجاة الکاظم - علی أن لا ینتهی من الارتسام بها حتی الیوم!!! [صفحه ۱۱۵]

مناجاة الکاظم

أما المناجاة الآن، فإنها هکذا ارتسمت، و هو یرتمی فی عب الشیخ، و آهة فی صدره تقول: - لقد ترکتک یا سیدی تقبل یدی، من دون أن أحنو - أنا - الی جثو یقبل قدمیک! لقد عرفتک یا سیدی: من غیمومة الدهر فی محجریک، و من إلتفاف الحقب بفودیک... فأنت تمثیل الأمة، عابرة خطوها الطویل و العریض فی فیافیها المضرجة بکل مآتیها الخارجة من رمل الی خصب، و من خصب الی غبار أنساها طعم جناها... یا للرجوع الیائس! کیف یرد الشبعانین الی لوعات المجاعة!!! ما لنا و الرجوع کثیرا الی الوراء یا سیدی، و أنت تعرف کیف حققت الأمة - فی ذلک الحین الغابر - إقبالها علی انتاج ثمین أشبعها، ثم إدبارها عنه، فأجاعها!!! إن فی التاریخ إضبارات لم تغب عنک قراءتها: لا مع الجدود من [صفحه ۱۱۶] بنی آدم، و بنی آشور، و بنی کنعان... و لا مع السبی المتدهور - زحفا - الی الوراء، مما أرجع الأمة الی امتصاص الرمل، و الاکتفاء بما یسد البلغة!!! إنه شأننا الحاضر یا سیدی، و قد حدث جدیدا تحت أعیننا، تلقط به رجل آخر، أنبتته الأمة - من حرفها الجائع - حتی یؤلف لها مائدة جدیدة یملأها خبزا و قدیدا... انه القرآن یا سیدی - تنزله من الخیر العلوی رسول و نبی، فنادی الأمة بالذات، و راح یعلمها کیف تعید الی حیاضها ما یردها الی خبز، و الی بلغة! و لکنی أعرض أمامک الآن یا سیدی - و أنت تمثل الأمة بکل أفراحها، و کل أحزانها - کیف أن الأمة الغرثی، أقبلت علی رسولها، تأخذ من روحه زاد طریقها، شبعا لها، من یوم الی یوم، و من جیل الی جیل... ألم تعتنقه، کأنه ضوء الطریق، و نور الهدایة؟! ألم ترها - فی غدیر خم - کیف رکزت تحت عینیه إسلامها الذی سیغطی - غدا - کل الشرق! و أیضا - فی غدیر خم - ألم تر، بعینک الصغری، هذا الرسول رافعا باع علی فی الهواء، و هو یقول: - إنه ابن أبی طالب - نسیبی و حبیبی - و یا ما أحبکم تتقبلونه مدی العمر، ولیا علی إسلام، لکم، سیبقی مشرقا بکم أبد الدهر!!! و هتفت الأمة کلها - فی ذلک الحین - باسم علی إماما تتبارک به مهجتها؟!! [صفحه ۱۱۷] و أغمض الرسول عینیه و نام... و لم تنم عین أخری تلفلفت بالاسلام، و مزقت حرف الذمام!!! یا للعین الأخری!!! من تکون هذه العین الأخری، أیها الشیخ الوقور؟ هل هی عین الأمة التی رأیناها تملأ الساحة کلها فی غدیر خم؟!! أم انها عین الحقد! تزورت بالاسلام - فقط - إشارة انضمام!!! و راحت الی انفصام یوصلها الی کرسی السیادة!!! تلک هی الأمة یا سیدی الوقور... انها محض براءات بقیت لها من معدنها الأصیل، من دون أن تدری کیف تتخلص من دناءات یرقص بها البهلوانیون... و البراءة یا سیدی، و ان تکن بحد ذاتها جمیلة - غیر أنها - مع استمراریة الوقت - تغدو سذاجة یتلاعب بها هذا النوع من البهلوانیین الذین هم - بکثیر من الوضوح - طغمة الحاکمین المتسیسین علی الأمة. و المتلفظین بسذاجاتها، کمصدر وحید لملء صنادیقهم بالجاه و الثراء... و قصورهم المليئة بإغراءات المجون، تکذب لها الأبالسة علی بسطاء الروح، من دون أن یروا کیف تکون النجاة من وهم الطلاسم! و عصی البهلوانیون الرسول العظیم، و کلفوا ابن ملجم بحذف ابن أبی طالب من الدوحة الکبری... و حذف ابن أبی طالب - بحد ذاته - من مجتمع الأمة! أ لیس هو التجدیف علی القیمة المثلی التی تتفرد بها شخصیة علی بن أبی طالب، و یعز علی غیره من الناس أن یتلقط بمثلها: عمقا، و طیبة، و أصالة جوهر!!! أین هو علی فی کفة المیزان؟ یحذفه بهلوان!!! [صفحه ۱۱۸] و لا تدری الأمة کم هی خسارتها من الدر، و اللؤلؤ، و المرجان!!! و لقد توالت علیها الخسائر، من دون أن یکون لها رقم حسابی کان لها أن حفظته فی سالف

الزمـان... ونست الآـن أن ترقم به حجم خسارتهـا: بـالحسن، أو بالحسـين!!! يا ضـيم جـدى زين‌العابـدين... يتحمل وحـده ثقل الضـيم بالحسـين، من دون أن تـدرى الأمـة... انها هدرت - هى - دم الحسـين!!! و أدرك جدى الزين، أن لا أحد من الثقلين: لا الإنس، و لا الجن، يتمكن من محو السذاجـة من مقلة الأمة، إلا فاعل واحد، هو العلم الكبير، لا العلم الصـغير... و هب الى بوابة المسـجد، يشـرعها لتلقيـن العلـم... و هـا هـو يحمـل ابنـه البـاقر جهـد التفـتيش عن كـل كتـاب، فى أى قطر كـان، فيجىء به الى الجامعـة المفتوحـة على مصـراعيها، و يلقنه الأمة علما كبيرا موسوعا: فيه الحساب، و فيه الأدب، و فيه الفلسفة، و الفقه، و التاريخ، و الجغرافيات... و فيه الفيزياء و الجزئيـات و الكليـات: من الكيمياء أم المعادلات... ثم يأتى ابنه الإمام الصادق، فيتناول المعارف كلها الى الرحب المطل على مـدى العبقريات... انه العبقرى الهابط على الأمة بألف هلال تمحو عتمة ليل الأمة، و تمحو سذاجاتها العالقة فى خيوط الذهن!!! اسـمعنى مليا أيهـا الشـيخ الوقور... أليس عـارا - أيضـا - أن يبقر بطن جعفر الصادق بنقطـة سم؟!! كيف يسـمح - لنفسه - حاكم بهلوانى الفطرة، و سعـدانى الرقصات، فيمـد كفيه الى عنق عالم، يدير جامعة تهذب أمة و تمحو منها السذاجات... فيخنقه، و يمتص وريده، كأنه دجاجة فى قنه - يـذبحها متى شاء، و يبقيها إذا شاء!!! و الأمـة؟ يا سـيد الرجاء... من غيرها يرغم حاكما و يصـده عن ارتكاب الموبقات!!! من غيرها يوصله حاكما الى ساحات الرهان، ان لم يكن أمينا على تسديد الرهان... [صفحه ۱۱۹] و لكن الأمة - يا للتعاسات - لم يكتمل وعى لها بعـد، تجلو به مغزلها، و المكوك الـذى تبسط عليه فتلـة الخيط، لتنسـج ثوبا جديـدا تلبسه فى ليلـة العيـد!!! لقد شد لها جدى الأول، خشـبة النول، و قـدم لها جـدى الثانى فتلـة المغزل... و لكن القميص الـذى نسـجته أنامل الجهـد! مرغته بالـدم همجية الحقد، و تركت الجسم فى عريه المخزى!!! و غاب دهر، و جاء دهر!!! و كان للإمامـة المثلثـة عزم جديد بإنشاء جامعة تكون منارة تنير الليل من عتمـاته السود،... ليكون لهـا - من جاهـل دوانيقى، تحطيم المنـارة على رأس من أشـعل النار على رأس المنارة!!! و ها هو الصادق من خلف السـتارة يقول للمنصور: أنت وحش، لاـ تليق بـك: لاـ مهـامس النور و لاـ ملاقـط الحضـارة!!! لو أنهـا الأمـة، تسـمع الآن هـدرة الصـادق!!! أتراهـا تهب و تحطم العرش على رأس أميرالمـؤمنين، و تسـد منخريه بوسـادته الـديباج؟!! واهـا عليهـا من أميرالمـؤمنين - بالذات - يحطم الجامعة على رأس الصادق، ليبقى الجهل و سادة الأمة، تغفو عليها... و إذ تحاول أن تسـتفيق، يهمزها بسياطه، حتى لا تسـتفيق!!! و أنت أيها الشيخ الوقور... أتتمنى لى أن أكمل السير على خط مشاه أبى قبلى؟ و هل يكون لى غير هذا المبتغى؟... و لكن الجلف الـذى حطم الجامعـة على رأس أبى، سـيحطمها على رأسـى ان أعـدت لها البناء!!! فكيف تريدنى أفعل؟!! أأسـتدعى الأمة الى المساندة! و لكنك ترى يا سـيدى أن اكتمال الوعى لم يستجب بعد! كما و إن استبسار الهمم - من غير حينونتها - يضرج الأمة بالدم، و يعيدها الى نقطة الصفر!!! لا... لن أفعل ذلك،... صونا لعظام الأمة من عملية السحن!!! [صفحه ۱۲۰] فالمنصور، و خطه الأعسر - هو المتملك الساحات، بهمجية بطشه، و لا صـيانة الأمة، و لا رعايتها - واردتان فى انتصاب ميزانه!!! اسـمعنى أيها الشيخ - اسمعنى، بكل ما فى عينى من غيظ... و من قهر و كظم!!! سأصبر طويلا، و أنا متحمل ثقل القـذى من منصور الـدوانيقى... و من جميع من سينتسـلون من فقراته! عـل الصبر الطويـل، و هو الملفلف بـالكظم الطويـل، يساعـدنى فى توفير الدرايـة للأمـة، حتى تعبر - بنوع من سـلام، و من بعض طمأنينة - من حالات تعسفية، الى حالات أخرى، ينقشع فيها أمل... و ينفرج فيها رجاء... و إننا [يا سيدى الملىء بالرجاء] نسجد، و نصلى لله - عز شأنه - حتى يصوننا - و الأمة من كل بلاء!!! [صفحه ۱۲۱]

خط الكاظم

اشارة

بـاكرا جـدا تعين الخط الأساسـى العام لنهـج الإمام الكاظم فى تعهـد الإمامـة و وقايتها - ما أمكن - من الأخطار المحيقـة بها فى عهد عباسـى، يميزه اللؤم، و الغـدر، و اغتلاس الـذمام! ان تعهـد الإمامـة - و هى فى مقصـده العام، الأمـة - لأمر جليل فى مثل هـذا الظرف

الرهيب، و كذلك فإن وقايتها من رهصة الاعصار فى تقلبها من شدق سفاح الى بلعوم تمساح، لأمر مخيف أيضا، لا تتمكن منه إلا درايهٔ حكيمهٔ، فى ظل من تحمل، و تصبر، و توسيع أناهٔ! ان الحوارات و الدراسات التى كان ينشئها الفتى موسى مع أبيه الصادق، تشير الى انتظام الخط العام الذى سيركز الآن عليه نهجه فى إدارهٔ إمامته، و العبور بها - بين النقط - لعل الحكمهٔ، و الدرايهٔ، و الاتزان، تخلص الأمهٔ من وابل تهدد به حوملهٔ الإعصار! لقد استمعنا الى كل ذلك فى دراسات الأمس، و قد تناولت - كلها - وطأهٔ العصرين: العصر الأموى الذى انقصف، و العصر العباسى الذى اتصف بالقهر و الغدر، و الفتك!!! و جاءت الحكمهٔ تقضى بأن لابد من تصبر و تحمل، و تقشف... و من ملاينهٔ و مداراهٔ، ان لم تمنعا الإنفجار تخففان من جرفه، الى أن يغير الله من أمر كان مفعولا!!! [صفحه ۱۲۲] و لكن الملاينهٔ التى انجر بها الصادق الى معاطفهٔ المنصور، لم تحرز أكثر من نقطهٔ سم! وسعت عين ابنه موسى بالدمع المستحيل الى كظم، و الى صبر، و الى ملاينهٔ مبطنهٔ بسجود يحسبه المنصور - سجودا له - و هو فى باطنه، كما فى ظاهره - على السواء - سجود لله - عز شأنه - فى تخشع المؤمن أمام الإرادهٔ السرمديهٔ التى ستسحق الظالمين المستهينين بالعباد، فى تحميلهم وزر أياديهم المعجونهٔ بزفت و كبريت الجحيم الذى فيه سيوأدون!!! لقد تعين خط الإمام الباكى على أبيه بدمع الرجاء! لقد عينه بالتقوى التى هى سجود، و صلاهٔ - و التى هى، بذات الوقت - دين الأمهٔ، و دين الحق، و العدل، و الآيات، لا دين الظلم، و الفتك. و التعدى على الحريات و الكرامات!!! أتراه سيرعوى المنصور، و يصمت به الخجل، أو تقريع الضمير!!! و تراه - أيضا - تستفيق به إنسانيهٔ لم يبق له منها سوى ظل ذنب من أذناب القرورد!!! أنا لا أظن الإمام موسى الكاظم إلا فنانا موهوبا و مأخوذا برهبهٔ فنه، أكان فى سجوده الطويل المستحيل الى خشوع بارع القسمات، أم فى صلواته المديدهٔ، كأنها سلالم تعرفه من أرض الى سموات!!! لقد بدا له - بعد انخطاف أبيه من أمام عينيه - أن يعرض ذاته كلها - لا فى زاويهٔ بيته و حسب، بل فى طول و عرض الساحات - ساجدا طويلا، و مصليا مديدا لله المتقبل السجدات و الصلوات... و ما ذلك إلا لغرضين أساسيين و بهيين: أولا: لتراه الأمهٔ - و هو وليها المؤمن - كيف تكون التقوى، خضوعا صادقا لله، و إيمانا به، و تلبيهٔ لدعوهٔ النبى الكريم أمته الى واحهٔ [صفحه ۱۲۳] الإسلام الذى هو خلق كريم فى تهذيب النفوس و فى إبعادها عن الموبقات... و ليكون الإسلام - بحد ذاته - تماديا بالمكرمات... و هل تبنى - مطلق أمهٔ - إلا بالمكرمات؟!! و ثانيا: ليراه الحاكم ساجدا، و مصليا، و مستمطرا رحمهٔ الله على العباد، و غفرانا للمسيئين الخارجين عن ذمهٔ الحق، و روعات السداد!!! هكذا قصد الإمام أن يقوم بدوره القيادى تجاه الأمهٔ، فى عمليهٔ مباشرهٔ تتداور خلفها توريات تنام فيها تنديدات بالحاكم المنتدب لسياسهٔ الناس، بالحق، و العدل و الصواب... و إن تفتهم هذه المكرمات، فبئس المصير مصير الجاحدين الخائنين!!! لم يكن أسلوب الإمام فرضا يميله الدين، أقل مما كان رأيا يمليه العقل المستجدى نعمهٔ اليقين... و ما كان العقل - و لا مرهٔ فى علم الاجتماع - غير متوسل الى الدين بأن يبقى - أبدا - ضابطا مجتمعات الانسان فى المحارم التقيهٔ الصائنهٔ من الزيغان!!! و صدق القول: لا تبنى أمهٔ غير الفضائل!!! و لا تهدمها إلا الرذائل!!! و من أرذلها إطلاقا: الفسق، و الكذب، و الظلم الخارج من رجمهٔ الشيطان!!! و لكن الامام - لسوء طالع الأمهٔ - لم يكن بمقدوره إشعال نار يكب فيها كل هذا الهشيم من العهر، و الظلم و الطغيان، مرجئا ذلك الى تمكن الأمهٔ من وعى يباركها، و ينهض بها من استسلام حزين، الى استجمام متين يعلم الحاكم قراءهٔ حروف الحق، و العدل، و الطهر فى الأشواق البانيهٔ عظمهٔ الإنسان فى مجتمع الإنسان. كل ما كان فى مقدور الإمام، فى تلك الساعهٔ الهزيلهٔ النبضات، عزم متين صحيح، بقى مستمرا فى بنيته الروحيهٔ المنتقلهٔ اليه عبر الجذور المتينهٔ [صفحه ۱۲۴] و الممتدهٔ من النبى الكريم و فتاه الآخر المعزز الاسم بعلى - الى أبيه جعفر الحامل الصدق، و العلم، و النور... أما أجره الباقى له فى مثواه المضىء... فنقطهٔ سم ما قدر أن ينفحه بها فى زوادهٔ الخلود، إلا بطل صنديد، لا اسم له فى النصر، إلا المنصور! صحيح، لم يتمكن الإمام موسى الكاظم من جمع سلاح ينازل به بنى‌العباس إلا رمحا أسيلا من معدن التقوى، له حدان طيبا الرهافهٔ: رهافهٔ الصلاهٔ، و رهافهٔ السجود!!! لا يجوز أن نحسب أن المنصور - بالذات - و هو الخداع، و البطاش، و الكذاب، لم يستهب رمح الإمام موسى الذى نزل به الى ساحات الصراع... انه رمح التقوى، سجد به أمام المنصور، و صلى به أمام الناس... أما المنصور، فإنه تسلى به، على خشيهٔ من ربه، جعلته يحجم عن ضرب عنق ساجد أمام خالق جبار يتمكن - وحده - من

خطف الأنفاس و الأبصار... لقد ارعوى هذا الرعديد، أمام مهابة يتجلى بها تقى، أمام حقير يدعى - زورا - أنه جبار و قهار و هو أحقر مجرم علمه الكفر امتهان الله فى أشرف طينة زينها الله بحيوية الإنسان!!! أما الأمة، و هى الطينة التى نفخ الله فيها قيمة الانسان، فهى تلك التى راحت تصغى الى همس صلاة الامام الساجد، و تأخذ منها العبرة: بأن الحق هو صلاة المؤمن، و هى رجاء الى الله فى جلوة النور فى عدسة العين... و تمتين الصدق فى المهجة، و بث الوعى فى خلايا السريرة، و زرع الخلق النظيف فى النفس، و فى كل ما تختلج به الطوية!!! لم يسجد عبثا الإمام موسى، و ليس عبثا - أيضا - أن يصلى... فالأمة كلها، بما فيها فاجر اسمه المنصور، بحاجة الى صلاة تستدعيها الى وعى مؤمن، تجلو به طاقاتها الروحية، الإنسانية، الاجتماعية. [صفحه ۱۲۵]

مع المنصور

اشاره

ان الفسحة التى قضاها المنصور فى الحكم - و هى عشرون سنة فى التمام - تقسم الى فاصلين، كل واحد منهما يتألف من عشر سنين: ألا فلنرافقه قليلا فيها - و فى كل فاصل - على حدة - لنرى كيف كان هذا الأمير المؤمنين ينهج فى حكمه، و كيف كان هذا النهج - بالذات - تعبيرا عن نفسية لا تليق أبدا بحاكم يدعى بأنه خليفة نبى المسلمين.

الفاصل (۱)

ليس علينا أن نعيد سرد الأحداث التى حصلت فى العشر سنوات الأول فى عهد المنصور - فلقد جئنا عليها باللمح المختصر، تاركين للتاريخ التوسع بسردها... و لكننا هنا نقصد ابداء العرض، ليكون موجها الى المنصور هكذا: - إننا نفترض أنك حاكم شرعى، و أن الأمة كلها بين يديك... و أن عليك - وحدك - تدبير أمرها، بالحكمة، و الروية، و العدل، و القسطاس! كما تنص الآيات فى قرآنها المنزل عليها و لها... و ها هو المدعو عبدالله بن [صفحه ۱۲۶] الحسن، ينهض بوجهك، و لا يقبل بك متوليا شؤون المسلمين!!! و رأسا، بدل أن تحكامه بإمعان و روية، حذفته من الوجود!!! و هكذا صنعت مع ابنيه: محمد ذى‌النفس الزكية، و إبراهيم الثائر الآخر!!! و بدلا من أن تتلقط بهما - بمهارة و دراية، و تحاكمهما بإمعان و روية، و محبة... نكلت بهما، و حذفتهما من الوجود!!! و هكذا مضيت الى ترويع جميع الناس، لا لتأمين الأمة و صيانتها، بل حتى لا يروع الناس حكمك... و ما كان الناس فى نظرك، غير العلويين بالتخصيص، من دون أن تمهد لهم: حبا و معروفا، تفيض بهما مهجة الاسلام!!! - فليكن لنا أن نفترض - أن لك الحق المطلق فى الدفاع عن عرض يهدده رعاع القوم بالعصيان، و ان العاصين ما نالوا إلا ما جنت لهم أياديهم الآثمة... فليكن لك أن تدعى ما تشاء، و أنت فى كرسيك السيد!!! و لكن؟ كيف تغطى تصرفك الأسود، مع رجل فريد من نوعه، لا يجوز أن تمتد اليه يد! و اسمه جعفر الصادق: رهن عمره كله، مع أبيه الباقر، و جده زين‌العابدين - على طول سبعين من السنين - فى خدمة العلم، و خدمة جامعة علمية خاصة، لم تحقق الأمة مثيلا لها فى سالف عهدها الطويل!!! و ها هى المعارف كلها تكر أمام ناظريك، بأكثر من أربعة آلاف طالب، هم انتاجها حتى الآن: بالتفكير، و التأليف، و الابداع فى الفلسفة، و الفيزياء، و الكيمياء، و الطبابة [صفحه ۱۲۷] و الهندسات، و التاريخ، و كل أنواع الجغرافيات!!! كيف تمتد يدك اليه، بنقطة سم!!! و هو الآتى إليك - و إلى الأمة التى تدعى أنت تريوضها بخفق النعال - بدرياق يشفيك من كل السموم!!! أنا لا أظن الآن إلا المنصور قد صمت أمام الافتراض المقدم اليه، و انى أقدم الدليل فى تقديم الفاصل الثانى الذى نعرضه الآن:

الفاصل (۲)

و انحذف الامام جعفر الصادق ملبيا حكم الاعدام الذى تفله تفلا عليه هذا المنصور الذى لم يدر أنه رفع الصادق الى ما فوق رأسه المزحوم بالكفر و الهرطقة - ليبقى - هو المنصور - فى الدائرة المبهمة... بينما انتقل الإمام الصادق الى اللوحة الأخرى، و هى المطرزة بأسماء العباقرة الخالدين من أبناء البشر!!! و حمل الامام موسى اللوحة ذاتها، و قد انحدرت اليه من خلف الغمام، و علقها فوق دوحة رأسه - بالتمام - و راح يسجد لها فى الساحة الكبرى على مدى عشر سنين، لا لتراها - فقط - و تصغى اليها الأمة كلها - بل ليراها - بالتأكيد - و يصغى اليها، بهمسها الصادح، منصور يدعى بأنه عريض الباع فى دوحة المسلمين، و هو العريض التنكيل بأفواج المؤمنين!!! هنالك حقائق، إما أن تسمع منطوقة فى العراء، و إما أن تؤخذ مهموسة فى الخفاء - و إن أبلغ ما كان يبثه الامام موسى، فى سجوده و صلواته، هو الهمس المبطن بتقريع الحاكم الفاسق و الظالم، و كأن هذا التقريع هو تهديد، بأن الله الذى هو - حق، و عدل، و جبروت - لابد من أن يقتص من الفاسقين الظالمين، و ينيلهم جزاء ما فعلت أياديهم السوداء... أما [صفحه ۱۲۸] المنصور - و إن يكن خاليا من ضمير يحلل و يزجر، فإن الموبقات - و هى المتماثلة كالقناطر تحت ناظريه المختلجين بالزور و الإثم - فانها هى ذاتها التى كانت تطوقه بالرعب النائم فى طوية نفسه!!! يا للمنخر الأفطس، تتعلق به بعوضة فترميه - معضوضا - الى الأرض!!! و ارتعب المنصور من آثامه التترى التى كبها على العلويين كبا، و ما أبلغها إثما، و زورا، و كفرا، نقطة سم زجها زجا فى وريد الإمام جعفر الصادق!!! و ها هى الصلوات و السجدات، يصليها، و يسجد بها الامام موسى بن جعفر، مستجيرا برب الخلق أن يذيق من سم أباه، سما أبديا منقوعا له فى قعر الجحيم!!! أجل - كان المنصور يصغى الى التأوهات الدعائية، يصبها الإمام موسى على رأسه، من دون أن يذكر اسمه أمام الله الذى يعرف كل الأسماء، و كل الطوايا، و كل الذنوب... أما ان لا يخاف المنصور؟ و إن لم يكن له العقل الذى يخاف، فانه خاف من مغبة الإثم، و لم يرتكب إثما مع الإمام موسى، و لم يمد اليه يدا من زور... مع أن الإمام موسى جافى المنصور. و لم يرد أن يراه مارا تحت عينيه، و لم ينقطع عن رشقه بالصلوات المسترحمة الله على آثام شنعاء، قد لا يرحمها الله!!! و لكن الله - عزوجل - هو أرحم الراحمين!!! بعد شر سنوات - بعد مقتل أبيه بنقطة سم - مات المنصور، و بقى الامام موسى يسجد و يصلى - لأن نسل الظالمين سيمتد الى: المهدى، و الهادى، و هارون‌الرشيد. [صفحه ۱۲۹]

مع المهدى

لم يجر الامام موسى مع المهدى إلا حوارا واحدا - طيلة عمره - و لو لم تكن لهذا الحوار أهمية تذكر، لما كان لهذا الكتاب تعرف الى أمير من أمراء المجون وصلت اليه عدال من المال، و الجواهر، و الذهب، لا يضبطها رقم من أرقام الحساب، جمعها رجل بطاش اسمه منصور الدوانيقى، لم يصرف منها درهما واحدا، بالنسبة الى بخله، و بطشه، و حرصه، جمعها كلها، من عهد أخيه السفاح، و من عهده فى الحكم الظالم، و قد طال أكثر من عشرين سنة، و لم يخص منها أحدا سوى ابنه المهدى، فراح هذا اليها يبذرها يمينا و شمالا، فى عمليات من البذخ المسرف بالخلاعة و المجون!!! هنالك أموال مقتورة جمعها الامام جعفر الصادق، ليساعد بها الفقراء و المعوزين من أبناء الأمة الذين هم تحت رعايته الإمامية، و ارتأى المنصور - و هو صاحب العرض و الطول - مصادرة هذه الأموال المقتورة، و ضمها الى عداله التى انتقلت الى ابنه المهدى... و لكن المهدى، و هو الغريق فى لججج الثراء - طاب له استدعاء الامام موسى، ليرد اليه المال الذى صادره أبوه، و لم يرجعه اليه بعد... لقد كان المهدى مزهوا بنفسه، و هو يتكرم [صفحه ۱۳۰] بإرجاع مال الى من لم يجسر على المطالبة به... و لبى الامام موسى دعوة الأمير، و ابتدأ الحوار: المهدى: أهلا بالامام موسى... هل تدرى لماذا استدعيتك؟ الإمام: أنا بين يديك يا أميرالمؤمنين - فما هى الحاجة؟ المهدى: ليست الحاجة لى... انها لك... عساها تشرح بالك! قال المهدى ذلك، و قدم له ظرفا مختوما و هو يقول: - أظن المال الذى صادره أبى‌المنصور من أبيك الصادق. هو بكامله، و المضاعف فى هذا الظرف... و إذا وجدته لا يكفى، فأنا بين يديك فى تسديد ما تطلب. تناول الامام الظرف، و أجاف بنبرة فيها كثير من التهذيب، مع وفير من الاهتمام:- أنت كريم يا سيدى - بحد ذاتك - لأنك ترد ما عليك من دون أن تطالب!... و أجاب المهدى

بنوع من تعجب: - و لكن... يبدو انك تطالب... و لن تسوءنى المطالبة... فاجعل لها رقما إذا أردت. الإمام: ليس لى الآن أن أطالب... و لما كنت آخذ هذه الظرف... لو أن ما فيه هو لى... انه - يا سيدى - لبعض الفقراء... سأوزعه عليهم... علهم يخففون به بعض حاجة... و تعجب المهدى من رجاحة وزن الامام، و اعتدل فى مقعده الى جدية اخرى و هو يقول: [صفحه ۱۳۱] - يبدو لى - أيضا - أن كل ما يتضمنه هذا الظرف لا يفى بما لك علينا من دين!!! و اعلم أنك لن تبرح هذه القاعة، ان لم تعين لى حقيقة مقصدك! و أرجو أن لا تعذبنى بالمداورة... فابدأ إذا شئت... و بعد تفكير مسؤول أجاب الإمام: - أرجو أن تكون رحب الصدر معى، من دون أن تأخذ كلامى الى سوء لا أقصده فى كل ما أراه بعينى، من دون أن تتبصر به - أنت بعينك... أتعدنى بذلك حتى أبدأ؟ و رأسا أجاب المهدى: - أعدك، فلا تتخوف منى - و ابدأ. رمقه الامام بعين وادعة، و لكنها بعيدة المغزى... و طرح السؤال التمهيدى: - أتسمع يا سيدى بقطعة أرض اسمها فدك؟ و بعد تأمل طال قليلا ايجاب: - انها فى الحجاز... أليست هى التى تنازل عنها اليهود، و نحلوها لجدنا الرسول؟... الامام: انها بالذات - ألم تصر ملكا للرسول؟ و اكتفى المهدى باختصار الجواب: - فليكن!!! و أدرك الإمام ان فى الجواب المبتور، بعض استفهام، و بعض تبرم، و لكنه بقى فى تمادى السؤال: - هل بإمكانك تعيين ثمنها؟ [صفحه ۱۳۲] و على ذات الوتيرة أجاب المهدى: - لك أنت أن تعينه، فأقول لك: قدقت. و أجاب الإمام: - لا أحسبنى أضبط قيمة الثمن... و لكنى أكتفى الآن بتعيين الحدود... فهل تتمكن أيها السيد من تعيين هذه الحدود؟!! و بتأفف ظاهر أجاب المهدى قائلا: - حددها أنت اذا تعرف!!! و بثقة العارف أجاب الإمام: - و اننى أعرف... حد منها... جبل أحد... و حد منها... عريش مصر... و حد منها... سيف البحر... و حد منها... دومة الجندل... و انفتل المهدى نحو الامام... و بجدية صارمة أجاب: و لكنها حدود أمة الإسلام!!! لا حدود تربة فى الحجاز!!! ماذا تقصد؟!! و بكل هدوء، و كل روية، أجاب الإمام: - أقصد: أن قرية صغيرة فى الحجاز، تحتوى على خمسماية نخلة، أصبحت ملك جدنا، نبى الإسلام، [صفحه ۱۳۳] و رسول أمة الإسلام... و لقد ضمها جهاد الرسول الى أرض الأمة التى هى أمة الاسلام... فأصبحت حدودها حدود الأمة بالذات... و ها أننا نطالب الآن بفدك التى هى إرثنا من جدنا... فردوها إلينا، كما تردون الآن مالا صادره من أبى أبوك المنصور!!! و بقى المهدى على ذات الوتيرة من التأفف و التعجب و تابع السؤال: - و ماذا تبغى فى ردها اليكم - و هى الآن بين أيدينا؟!! أنكون - نحن - قد صادرناها؟!! و هل تكون الأمة المال المصادر؟!! و بكل جدية، و جرأة، و اتزان، أجاب الإمام سريعا، و صريحا: - أجل... لقد أصبت يا سيدى... و ماذا يمنع؟ أن تكون الأمة - إذ تصادر - كالمال المصادر... و المصادرة معناها: من يصادر مالى، يكون قد أبعد عنى كل الفوائد العائدة منه إلى... و لو لا الفوائد، لما أجهدت نفسى بجمع المال... و إن من يصادر أمتى، يكون قد أبعدها عن إحراز ما ينحو بها الى حق و جمال!!! و الاحراز هذا هو توق النبى ممزوجا بتوق أمتى التى تبنينى لأبنيها - بدورى - بذات الشوق الذى ترزقه - هى - فى تصاميمى!!! ان جدنا العظيم - يا نسيبى - هو الذى خص عليا منا، يمحض الأمة بالرعاية الموجهة بآيات القرآن، و هى الموصلتها الى حقيقتها المبتغاة... فليعد الى خط على [صفحه ۱۳۴] حق الرعاية!!! و لتلتغ المصادرات المبعدة الأمة عن منهجيات الصراط!!! لقد استمع المهدى - بإصغاء عميق - الى كل ما تفوه به الامام الذى نسى نفسه انه بين يدى رجل يخلف المنصور... و بقى المهدى - هكذا - صامتا و متأملا، الى أن تلقاه الإمام بهذا الرجاء: - أنا ما قصدت أن أسىء إليك، و لا أن أكذب بين يديك... ولى كلمة أخيرة أحبها تملأ سمعيك: نحن - أبتداء بجدى الامام زين‌العابدين - و جدى الامام الباقر - و أبى الامام جعفر الصادق - وصولا الى أنا الجالس الآن بين يديك... تعهدنا، بتمام عزمنا، و رضانا... تنازلا عن كل ما يمت بصلة الى السياسة، و تركها للخلافة، و أنتم - اليوم - أولياؤها - و اكتفينا بالخط العلمى، لإنارة الأمة، و توسيع مداركها، مع رجاء منا، نقدمه اليكم، و هو الملىء بالحب، و التمنى، و نقول: لستم غرباء عن الأمة، فأنتم من صلبها حتى الجذور... حاولوا أن لا- تكونوا مصادرين، بل منبثقين من حقيقة الأم... و لن تكونوا حاكمين صالحين، ما لم تكونوا عادلين، و أتقياء بارزين، و طاهرين عفيفين، و صادقين بريئين... و عندئذ فنعم الأمة أمتكم، أن تكونوا - هكذا - مخلصين!!! أتسمح لى الآن بالانصراف يا سيدى؟!! تأمله المهدى مليا، و هو واقف مادا اليه يده، ليقول: - أرجو أن لا يصادرك الغد بأى مكروه!!! [صفحه ۱۳۵]

مع الهادى

فلنلمخ قليلا الى مزايا الهادى، حتى لا ندخل عليه و نحن سادرون - انه ابن المهدى الذى تعرفنا اليه منذ لحظات... لم يحرز، لا مقدرة أبيه، و لا دهاء جده المنصور، و لكنه فاق الاثنين بذكاء مشلول، جعله ماجنا بلا فن، و صبيانيا بدون أية براءة!!! أما إمامنا موسى، و هو المصلى عميقا، و الساجد بليغا، فانه المستطلع - دائما - أحول الناس، من خلال مراقباته الدقيقة و المتقصية نزعات الحكام، ليكون له علم و كشف عن سرائرهم المتخبئين فى طياتها، و التى بها يسوسون الناس، و يرجمونهم بكل ما فى نفوسهم من شرور!!! لم تكن مراقبة الامام، بهذا الشكل المعمق و الواصل الى دوحة الوجدان، الا شهادة له فى تمتعه بيقظة روحية - فكرية - علمية، تجعله متمكنا من علم النفس فى استطلاعاته عن كل ما يدور فى فلكها من نزعات، لا- ينقيها و لا- يرجحها الى الخير، إلا علماء خيرون، يتقنون عمليات التشذيب، و التهذيب، و التوجيه... و تلك هى فنون التربية التى يعتمدها أولياء الأمة فى بناء الانسان، إنسان الأمة الواعية الملتفتة الى تجميل الغد. [صفحه ۱۳۶] ربما يكون البناء النفسى عند الامام مهتما بدراسة نفسيات الحكام، ليس فقط لاكتشاف نواحى ظنونهم، و معالجتها حتى تستقيم، و لكنى أظن انها كانت دراسات - أيضا - لانتساب طرق الوقاية منهم، ما زالوا هم المقتدرون... و هكذا كان للإمام موسى ولوج الى طوية كل ممن زامنه منهم، ابتداء بالمنصور، فالمهدى، فالهادى. المالىء الآن الذهن، و انتهاء بهارون‌الرشيد الذى سيذوق الإمام على يده من العلقم، و كل عتمات السجون!!! و الهادى، لقد اكتشف الامام كل نزعاته النفسية، فوجدها كلها كفقاقيع الصابون: توهمك بأحجام كروية، إن تصبك تحطم رأسك، و لا تعتم أن تبعثرها نفخة، فتتلاشى و هى من هباء!!! لقد تعمق الامام بدرس الهادى، و تحراه فى دوحة بيته: لقد خصه أبوه المهدى بالولاية، و حرصه على أن يصونها و يوصلها عزيزة و كريمة - من بعده - لأخيه هارون‌الرشيد... و لكن هذا الهادى الضائع من رشده، ما قدر أن يفكر إلا باحتكار الحكم و نقله كاملا- لابنه جعفر، و هو حبيب أمه و اسمها رحيم... و اكتشفت أم الهادى - و هى الخيزران الملقبة - باخت الرجال - عزم ابنها الفاقد العزم و صدق الذمام - و جربت ان ترده عن الغى و المنكر... و لكنها لم تلمس منه إلا- الغدر المبطن، فتنكرت له، و تفردت بالحب لابنها هارون، و تلمست له الوصول مهما يكن فحش الثمن!!! و رأى الامام - بعينه الحدسية - أن الهادى هو الخاسر الفاشل، و أن دمه سيهرب من وريده الأيمن قبل الأيسر... و لا يستبعد أن تقتله - هى ذاتها - أمه الخيزران... و رأى الامام - أيضا - بعينه الغارقة فى دمع الحزن، أن الهادى الذى رقص على أشلاء الأبطال الذين انتفضوا على حكمه، و قد قادهم الحسين بن على بن حسن بن حسن بن أبى‌طالب - لن يتمكن من [صفحه ۱۳۷] الرقص بعد اليوم، على أى شلو من الأشلاء، لأن أمه الخيزران ستقصم ظهره إن يحاول!!! ان ثورة فخ - و الموصوفة بالكارثة - تفرد بها ثورة تقض مضجع الهادى، بطل اسمه الحسين بن على، و قد جاء الحسين هذا يستشير الامام موسى فى تتميم هذا الأمر... و لكن الامام أنذره بأنه المقتول، من دون الوصول الى المبتغى، بعد تعريض بنى‌طالب لرعونة الهادى... و لقد تم كل ما احترز به الامام!!! و ها هو الهادى - بوعيده و تهديده - يستدعى الامام الى فقء الحصرمة فى وريده!!! و خاف عليه المخلصون، و نصحوه بالتخفى... فضحك و قال: - اطمئنوا، ليست الحصرمة الآن فى يد الهادى، بل فى يد أخرى، و هى التى ستفقأها فى عنقه!!! و حضر الامام الى محاورة الهادى الذى أقنعه الإمام بأنه برىء براءة يعقوب... و لو أنه غير موال للعهد، لما كان قد نجا، لا- من المنصور، و لا من أبيه المهدى!!! و لا يجوز للهادى المالىء الآن الحكم، أن تضيع منه لا الحكمة، و لا الفطنة!!! و سريعا ما اقتنع الهادى، و صبر الى الغد... و بدلا من أن ينجح بقتل أمه الخيزران بنقطة سم، دعاها الى أن تأكلها فس صحن من الفالوذج... أطعمت الخيزران الفالوذج كلبا فى دارها، و دست لابنها الهادى سما آخر فى كوب من أكواب خمرة!!! و عانق الهادى الموت مع الصباح الذى أطل على عرش راح يجلس فيه هارون‌الرشيد! [صفحه ۱۳۹]

مع هارون‌الرشيد

و لكن العرش الـذى تربع عليه هارون‌الرشـيد، ليست قوائمه لاـ من ذهب و لاـ من أخشاب،... بل من عظام الـذئاب التى يفتك بعضـها ببعضـها الآخر... و الأخير المنتصر على المفتوك بهم، هو المتقوقع فوق العظام، يتربع عليها بتيه، و هو يتلمظها فقاقيع دم - بنصر مبتسم - كأنه آخر ذئب، و لن يولـد من بعـده أى من وحش يتمكن مثله من تلمظ العظام!!! أنا لا أقول أن هارون‌الرشـيد يتملك و مضـة من فكر يتحلى بها إنسان، و هو يعتلى عرشا عائما بـدم أخيه الهادى، بعـد أن سـفكته أمه الخيزران، و غسـلت قوائمه بـدم ابنها البهلوان، و قـالت للثـانى: هيا اعتل عرشا غسـلته لك بالـدم، فنم فيه مرتاح البال - و لا تنـدم، و لا تأثم، و لا تغتم!!! و اعتلى هارون العرش - و هو يبتسم - كأن الدم المغسول به، هو البلسم المصـبوغ بالعندم، و نسى أن العندم هو دم الأخوين الخارجين من ذات الرحم!!! أليس خزيا علينا، أن نغسل أيدينا بدم أخينا - و لو أنه يسـتحق السفك - و رأسا نبتسم، كأننا لا قتلنا، و لا جنينا، و ليس علينا أن نتحمل، لا وزرنا، و لا وزر غيرنا الذى نحن منه و هو منا!!! لقد قتلت أخى، لأنه [صـفحه ۱۴۰] غادر مجرم - أقول فى حدسـى - فلأقتله... و بعد حزن و غم... أعود فأبتسم، إذا كان لابـد من ابتسام!!! بهـذه المقدمـة أحببت الـدخول فى دراسـة تلميحيـة، تتناول هارون‌الرشـيد متوصـلا الى عرش لا يجوز أن يعتليه لسياسـية جماهير الناس، إلا بالعـدل، و الحق، و اسـتقامات الوجـدان... لا بالظلم، و الغدر، و رجاحة الطغيان!!! لقـد صدف ان العرش هذا، قد توصل إليه الرشـيد فى ظرف كئيب... لقد وعده به أبوه المهدى، بعد أن يتمرس به أخوه الهادى، و هو البكر؛ و إذا يخلو منه، يكون لابنه الثانى - هارون - أن يعتليه، بعد أن يكون قد اكتمل نضـجه العقلى، و النفسـى، و السياسى!!! و لكن الهـادى - لطمع فيه، خـال من التروى، و بعـد النظر، راح الى محاولـة همجيـة، فكر فيهـا بحـذف هارون من الساحـة، ليبقى العرش من نصيب ابنه جعفر، من دون أى مزاحم!!! و انتبهت الخيزران - أم الأخوين - لفداحة الأمر... و لم تنتصر للهادى، و انتصرت لهارون... و لقد علمنا كيف انها أقدمت على قتل ابنها الهادى بنقطة سم!!! و كيف أن هارون كان الباسم الأول مع صباح ذلك النهار، و هو يعتلى الكرسـى الذى انحذف عنه الهاى... و لم تكن قد أجريت بعد مراسـيم الدفن!!! فلنترك للتاريخ تسلسل الأحداث المليئة بالعبر، و بكل تهرجات البشـر! و لنعتبر العرش المتربع عليه الآن أخو الهادى إرثا موصولا بـذيل السـفاح، و ذيل المنصور، و ذيل المهـدى... من دون أن يكون - منه - للهادى، فتيلة يستضـىء بها ابنه جعفر ابن رحيم... هنا مهزلة الهادى، فى تمسـكه بسلسلة الإرث... و هنا - بالمقابل - صوابيـة الخيزران فى ضـبطها حلقـات المجـد و وصـلها بالقنـاة الملصـقة بابنها هارون... أما الحق، [صـفحه ۱۴۱] و العـدل، و ضـوابط التركيز... فتلـك روافـد أخرى، و ليس من أحـد فى أرض الأمـة، إلاـ مقتـدر واحـد يجمعها كلها فى كفـة الميزان، و يمتن بها العرش العظيم، و هو المتصف بالرشـيد!!! و ابتـدأ الحكم بالرشـد... و ما عتم ان صار رشـيدا بياء «فعيل» التى هى كمال، و تجسـيد عظمـة... و العظمـة فيه تثبيت العرش على ماهيـات مخصوصـة به، و من أرهبهـا ادعـاء الرشـيد بـأنه الولى المطلق على الأمـة، و ليست إلاـ له كلمة الفصـل فى كـل الأمـور المحتاجـة الى تصـرف خـاص، يصون العرش، حتى من أيـة نيـة تجول فى الصـدر، لزعزعته، و الانتقـاص من جبروته!!! هكـذا حمى هـذا العرش - ليبقى بمثـل هـذا الجبروت - جـداه السـفاح و المنصور... و هكـذا حافظ عليه أبوه المهـدى... و هكـذا، فـإنه هو الرشـيد المسـتعد الآـن على أن يحميه من كـل ظنـة - مهمـا تكن ضـئيلة - فيحـذف عنق من يتلبس بهـا، من دون أية محاكمـة قضائيـة، قـد تبرئه منها هفوات القضاء... مع العلم ان القضاء بالـذات - و هو من البوابات الحضارية - لم تعتمده مفتوحا على شؤونهـا تلك العروش الهارونيـة النيرونيـة... بل تبجحت بإنشاء مجالسه، تمويها على البسـطاء و السـذج، و هى تقول لهم: بأن الخروج على الحق، لاـ ينظر فيه إلاـ القضـاء الـذى هو قمين بإرجـاع الصواب الى نصـابه!!! تلـك سـتارات توارى خلفها دهاقين العروش! و من أفتكهم هذا الهارون الآتى الى الحكم بقميص أخيه الهادى!!! انه المتلطى بمجالس القضاء، حفاظا على الأمة، و على روحية الإسلام... و لا قضاء بين يـديه - هو الرشـيد - إلا و هو - الرشـيد - سـيفه، و رمحه، و نقطـة السم فى رطبه!!! أما الاسـلام، فإنه المدعيه دينا له و للأمة التى هى - بأكملها - حقيقة الاسـلام. [صـفحه ۱۴۲] كأن البحث، لا سار و لا دار، إلا ليوصـلنا الى نقطـة الدائرة... و الإسـلام - بالـذات - هو نقطـة الـدائرة: إسـلام الأمة التى هى أمة الإسـلام، و إسـلام هارون‌الرشـيد، يتربع على عرش هو لأمة الاسـلام، تشده اليه خلافة تربطه ربطا متينا بنبى الإسلام، و يا للنعمة المستديرة، فهو الولى العظيم الجامع امة الاسلام فى دوحة الإسلام. هنالك إسلام ثان،

تراءى للرشيد – فى رداءة ظنة – و هو إسلام الإمام موسى بن جعفر – و هو إسلام إمامى، يجابه – منذ أن ابتدا – إسلاما «يخلفيا» من دون أن يقر له – لا بحقيقة الإسلام، و لا بتعديل النهج – ألا بئسه من إسلام متزمت، ما أراده النبى للأمة أداة يابسة، لا ينهض بها الى أى تجدد، و أى تقدم، و أى منهاج!!! أظنها هى ذاتها مقولة الرشيد من بنى‌العباس، و هى التى كانت تدور فى خلد ذاته، كما و انها هى ذاتها التى دارت فى خلد من سبقه من بنى‌أمية... و لا فرق بين الخطين: الخط الماضى الذى تقوض، و الخط الحالى الذى يكتسح الآن ساحة الإسلام، و لم يتقوض بعد... و حتى يستمر هذا الخط، من دون أن يناله أحد بالتقوض بعد... و حتى يستمر هذا الخط، من دون أن يناله بالتقوض، كان الرشيد يحاور نفسه فى كيفية محو الامام موسى من الساحة العامة التى لا يجوز – مطلقا – أن يبقى فيها إلا ظل واحد، هو ظل العرش الذى تخضع له – بالتمام – أمة الإسلام!!! تلك هى الفكرة الوحيدة التى استحوذت على جميع مجالات اقتناع الرشيد: بأن حذف الإمام موسى به الساحة، هو مطلب، و لا فرق بين أن يكون إسلاميا، أو عرشيا – أو عباسيا – هارونيا... فالمآل واحد، و هو صيانة العرش، و صيانة الأمة من الزكزكات الإعتراضية التى يقوم لها بنوطالب – بين الحين و الحين – كمعالجات ثورية، محوا للإسلام، و إنهاضا [صفحه ۱۴۳] لإسلام آخر، هو – كما يدعون – إسلام النبى، و هو الطالبى – فى ظنهم – بدون منازع!!! و كيف يكون حذف الأمام؟ و انتصب السؤال فى وجه الرشيد... و لكنه تبسم فى دخيلة ذاته و هو يقول: – كيف يكون الحذف؟... و لكن الطرق عديدة... فاستخدم منها أيا تريد... أتريد أن تحاكم؟... فالقضاء لنا فى كل مجالسه الفسيحة!!! أتريد أن تسجنه، و تذيبه فى الموت البطيء؟ ان السجون كلها بين أيدينا... فلينم فيها قرير العين!!! أتريد أن تقدم له كوبا من عصير الورد؟... فنقطة السم راقدة فى الكوب، قل أن تسكب فيه عصير المتعة... قبل أن ينتقى الرشيد قميصا واحدا من القمصان التى سيجلبب بها صدر الإمام... كان الإمام ساجدا يصلى، و هو يستعرض أمام عينيه المغمضتين، كل ما مر به من أحداث، تمكن من اجتيازها بنوع من سلامة – أكان مع المنصور، أم مع المهدى، أم مع الهادى الذى تفل أنفاسه فى حضن أمه الخيزران التى قالت، و هو ينام: – نام ابنى الهادى نام... و مع الصبح يصحو من أحلام... تكر فيه بسمات المنام!!! و غرق الامام مليا، و هو يستحضر فى باله أما تغنج إبنا لها بنقطة سم، و ابنا آخر – هارونيا – بقوائم عرش... و انتصب أمام تصور الإمام عرش بقوائمه السوداء، و فوق ضلوعه رجل أفعى! يا للأفعوان، يبخ العنفوان كأنه [صفحه ۱۴۴] الدرياق... و ليس غير الدرياق فى عنق الأفعوان!!! و مد الإمام يديه الى العنق الفحاح، و استنزله من علياء كرسيه، و كممه بقبضة من تراب و هو يقول له: – ليس لى إلا مثل هذه الهنيهات الفريدة من نوعها، أصارحك فيها بصمتى الصارم، و هو المخنوق فى حفيظتى منذ أن وقعت عينى عليك، و اكتشفت فيك عنصرا من أرادأ العناصر، ندر أن تخبأ بمثله – صدر من صدور البشر... فاسمعنى – بلسانى المفتوح – أبوح بكل ما علق فى ذهنى منك... و انها كلها – أنت – و ان كنت تظنها تخفى، فهى التى تتصف بك فى العراء... فخذها منى بندا بندا، والله ولى العارفين الصادقين... أولا – أنت لست مسلما كما تدعى – فالاسلام كله وحدة فكر، و وحدة روح، و وحدة إيمان بالله، و بالنبى، و بالأمة التى هى أمة الاسلام، أما إسلامك أنت، و أنت مرغم ذاتك بأن تدعيه، فهو تفتيش عن نفوذ سياسى، يعليك الى عرش تموهه – أنت – بالإسلام، و الإسلام الصحيح لا يرضى بعرش يسجد بمقعد من طين و حجر، تتوزع منه العبادة لإله يوصى بالحق، و العدل و المساواة بين المؤمنين،... و يوصى بالخلق الكريم الذى هو: حب، و صدق. و عفاف بين جميع المسلمين... ثانيا – لم ينتدبك النبى العزيز خليفة له... و انتدب عليه إماما – بعده – يتقشف برعاية المسلمين... و الإمامة – بدورها – هى الخلافة، و لقد عينها النبى الكريم – بذاته – [صفحه ۱۴۵] و بلسانه... فلماذا لم تصدقه، و رحت تصدق ذاتك، بخلافة عينتها أنت بذاتك... لا لتخلف نبى المسلمين... بل لتشق وحدة المؤمنين... و انشقاق الوحدة الى اثنتين، معناه – فى نظرك – استنبات عرشين... و حذف عرش الإمامة، هو تمتين لوحدة عرش الخلافة... أليست – هكذا – تتركز سياسة عرشك العباسى؟!! كما تركزت سياسة العرش الأموى، و قد دال العرش الأموى، كما سيدول – بعد حين آخر، عرشك العباسى!!! ثالثا – نحن – بنى‌طالب – أعرضها الآن بالتخصيص أمام محجريك: قد و الياكم بابنى‌العباس، لتقويض عرش أموى راح يستبد بمقعد طالبى، حسبه بنوسفيان قبليا طالبيا، بينما هو: نبوى إسلامى... و لقد كان تحسب بنى‌أمية – قبليا بالذات – لاقتناص النفوذ السياسى لهم بالذات،

لا ـ لأية قبيلة سواهم، و بالأخص لو كانت طالبية!!! أجل، يا بنى‌العباس... لقد ساعدناكم لتقويض العرش الكذاب، لا لأنه أموى - فالإسلام لكل قبائل الأمة على الإطلاق - بل لأنه ابتدع من الاسلام إسلاما آخر ليس له من واقع الإسلام غير شق الأمة، من دون أن تعى الأمة أن ذلك ينبذها الى نصفين، و يهزلها الى ضعفين!!! أما الفاعل المجرم، فانه كان القابل الراضى بإهزال الأمة، و جعلها أمة مذللة و مستكينة بين يديه! و تم لكم انتصار يا بنى‌العباس!!! و بدلا من أن تبنوا على [صفحه ۱۴۶] الأنقاض مقعدا جديدا من طين و حجر... و تتناولوا الأمة بحكم فيه من الاسلام ما يعزز الأمة، و يوسع لها البصيرة و البصر... رحتم الى عرش تسبكونه سبكا بكل أشكال الدرر! و رحتم تعتلونه ناطقا بالفسق، و الظلم، و الطغيان... و لا صلة لكل ذلك بإسلام يستنزل الله رحمة على العباد!!! و لقد اعترضنا عليكم يا هارون - لا لأن نسلبكم عرشا، ساعدناكم نحن، - على غفلة منا - فى جلوة خده... بل من أجل أن تغيروا من برزة حده، و تجعلوه لائقا بحرمة الاسلام، و تزينوه بالعدل، و الحق، و ترجيح الوئام!!! و لكنكم ما سورتموه إلا بالظلم، و التعدى، و خفر الذمام... و قاومناكم - لا بسلب - بل بإيجاب... و ها أنى أفسر لك - يا هارون - إرادة السلب، و رأى الإيجاب... فافهم: ان المقاومة السلبية لا ترشقك بها الا الامة بوعيها التام، و هذا الوعى - بالذات - يناديك الى ضبط مواعينها، ان تكن عادلا و حكيما... و الا فانها تنحيك إذ تخفر - أنت - الذمام، لتستدعى سواك حاملا ـ اليها تسديد الذمام!!! و لكنك تعلم - أنت يا هارون، كما كان يعلم - قبلك - جدك المنصور - ان الوعى الكامل الفاعل، لم تتمتع - بعد - به الأمة، و هكذا فإنه لم يصلك منه، إلا بعض من رذاذ... أما الرذاذ فهو الذى رشقناك - نحن - الآن به، و ها أنت الآن الراجف منه... فهو الحاصل الفريد الذى [صفحه ۱۴۷] أنتجته الإمامة المثلثة بالإمام زين‌العابدين، و الإمام ابنه الباقر، و حفيده الإمام الصادق... و هى الإمامة المقتنعة بأن الجهل هو سبب انهيار الأمة فى تلهيها بكل أنواع المماحكات، و الترهات،... و ان العلم الوسيع - وحده - هو الممتعها بكل وعى يوضح لها أهدافها و مراميها! و تم إنشاء الجامعة العلمية - و على مدى سبعين من زواهى السنين، ضاءت فى أجواء الأمة أضواء تبشر بانبثاق الوعى الآتى لمحو العى، و استئصال شأفته من أعماق الجذور!!! ألم تشعر - فى قرارة ذاتك - يا صاحب الفخامة، بأن قوائم عرشك، بدأت تهتز ارتجافا، لأن الوعى النامى فى أحضان الجامعة، بدأت تضىء مشاعليه؟!! و علم جدك المنصور - بذكائه الفطرى، و دهائه المستمر - ان الوعى المطل من نوافذ الجامعة، سيعتم عليه ممرات العبور!!! فحقن وريد أبى‌الصادق بنقطة سم، حذفت الصادق من ممرات العبور!!! و أنت أيها الرشيد الآخذ عن جدك إرث العبور؟ ماذا عساك تفعل، غير أن تدفن الإبن فى تربة أبيه! فتصمت الجامعة، و يهدأ الجو من ضجيج الملحدين!!! و تنام المقاومة السلبية تحت قوائم عرش، و هو يرفسها رفسا حتى لا ـ تستفيق!!! أما المقاومة الإيجابية، فهى المتمكنة فى أصالة روحنا، نقوم بها كما نقوم الى أودنا المعيشى و الروحى، لنبقى الأمة فى علاقاتها الاجتماعية، مستمرة الى أن يتجدد لها [صفحه ۱۴۸] عزم ثان، ينهض بها الى وعى يوصلها الى أفق... أما بنود المقاومة هذه، فهى ليست أكثر من مهاميز آنية، نوجهها الى الحاكم الذى لم نتمكن - بعد - من إزاحته الى خلف الستار... لعله يشعر بصدق الزجر، فيعدل - هو - من رداءة حكمه!!! هل سيحصل ذلك؟!! و لكن المحاولة لا تقصد غير الحصول الذى تنتظره الأمة - فى سجيتها المنتظرة - أما عدم الاستجابة، فمعناها: تجرير الأمة فى استكانتها الحزينة، و تمريغ المحاول بوحول أخرى، لابد له من أن يتحملها، و أوحلها السجون المعتمة!!! و أرذلها نقطة سم، فيها من الذل و الغدر، أكثر مما فيها من الموت الذى هو قضاء الله العزيز الحكيم، فى ترتيب الخاتمة!!! رابعا - أتظن يا هارون أننا لا ـ نعيك بكامل ما أنت فيه، من قمة رأسك حتى أخمصيك؟!! كما و أننا نعرف - أيضا - أنك تستوعبنا بذات الاتساع، و ذات الاحتواء!!! و لكن الفارق الوحيد ما بيننا هو فى أننا مؤمنون بالله العزيز الحكيم، و هو منا و نحن منه، فى حتمية الوجود!!! أما أنت، فإنك تدعى الإيمان به، من دون أن تنضوى فيه انضواء الجوهر بالجوهر! من هنا يكون علينا - إزاءك - واجب التوضيح عن إله عظيم: كيف نعيش فيه و يعيش فينا، و نحن نستلهمه فى جميع شؤوننا الحياتية - الروحية و الفكرية على السواء - بينما يفوتك - أنت - هذا الاندماج الرحرح، و يعزلك الى الزوايا المعتمة التى تبنى فيها قصورا لك، لا يحميها الحق، و العدل - بل الفسق و الاستبداد!!! [صفحه ۱۴۹] ان الله الذى لم تكتشفه - أنت - بعد، هو الوجود المطلق، و هو الأوسع من أن تراه العين، و الأقصى مما تتمكن - أنت -

من الوصول اليه – حتى – بالخيال!!! انه الأبعد و الأعمق من أى حد، و أى وصف، و أى رقم، و أى تصور... و هو كل الحق، و كل العدل، و كل الصدق، و كل حقيقة التنظيم، و كل «القبل»، و كل «البعد»، و كل حقائق الجوهر. هذا هو الله – فإذا قلنا لك يا هارون: إننا فيه و هو فينا، و هو منا، و نحن منه... أترانا نكذب عليك؟!! و إلى أين تريد أن ترجعنا؟ أليست اليه حقيقة الرجوع؟ أما إذا خرجنا عن دائرة الحق!!! فعندئذ – فقط – نكون قد ابتعدنا عن حقيقة الدائرة التى نحن فيها فى حتمية اللزوم!!! – و اعلم يا هارون: ان الله – عزوجل – فى مصداقية ذاته، و براءة وصفه، هو الذكاء المطلق... فإذا أفهمناك أننا نستلهمه – و هو فينا فى حقيقة الإلتصاق – فإن استلهامنا إياه، لا يعود علينا إلا بوسع المعرفة المنبثقة من روعة اليقين، و من ذاتية المصدر. – و استلهمنا الله – بإيماننا و ذكائنا المتسعين به – و جاءت معرفتنا بك، و بكل ما يجول فى طويتك المنحرفة عن جادتها المفترضة ان تكون سليمة. و هى ليست سليمة: – أنت تكذب علينا، و على ذاتك فى نفس الوقت... – أنت تؤمن بنا صادقين معك، و مع الأمة، و مع [صفحه ۱۵۰] الإسلام... و لكنك لا تريد أن تصدق ذاتك... لأنه يفوتك الإيمان الصحيح، و هو الركيزة الصادقة: فى الحكم – و ابداء الرأى – و تقديم النهج السليمة!!! – لقد قلنا لك: أنا، و أبى، و جداى العظيمان، الباقر و زين‌العابدين... بأننا نتخلى لكم، عن كل سياسات الحكم... أى: فلتكن لكم يا بنى‌العباس، كل السياسة، و اتركوا لنا الجامعة – محوا للجهل من عب الأمة، و نشرا للعلم الذى يستنير به وعى الأمة... و صدقتمونا، و أنتم تنوون أن تحذفونا... لأننا – فقط – صادقون: مع الاسلام، و مع الأمة... و أنتم لا تريدون توعية الأمة... لأن وعى الأمة لا يسهل لكم وصولا الى مجد و ثراء لا تجنونهما إلا من استعباد الأمة!!! لقد حذفتمونا – فعلا – من حقلنا الإيجابى الصادق، صيانة لحقلكم السلبى الكذاب!!! و أى واحد من أبى و أجدادى لم ترشقوه بنقطة سم!!! و أنت، يا هارون المجد؟ أى شىء فى مكنون ذاتك؟!! أتظننى لم أكتشفه بعد؟... لقد استلهمنا الله فيك... و لقد احترنا فى أمرك، و ما بقى لى إلا أن أقول: إنى عرفت – انك أنت بالذات – تعرف أنى مكتشف كل طواياك... و من أمرها – إطلاقا – انك لن ترعوى عن تنفيذ الأذية فى جسدى الترابى... من دون أن تتمكن من أن تنال من وجدى الروحى الذى هو من امتزاجى الأفقى بالله – جل جلاله!!! سأتحمل كل كيظ ترشقنى به، بصبر عزيز [صفحه ۱۵۱] و طويل، لا تفيد أنت منه... بل تفيد منه الأمة، فتحفظ منه اصطبارا على الأذى، يكون سبيلا لها لبلوغ الحق الذى ترجوه عن طريق احتقار الحاكم الظالم، و عدم الانصياع له يجمع ثراءه، و فحشه، و أمجاده... من استعباد الناس، و إذلالهم بتمويه كاذب، و سلطان ليس له غير أنياب الذئاب!!! اسمعنى يا هارون... حتى أعين لك، ما أنت – بالذات – تريد أن تصنعه بى؛ و كن أكيدا من أنى سأتقبله منك، بصبر المؤمن الذى لا يحيد عن طاعة ربه – ليس إكراما أو رضوخا لك، بل تثبيتا للأمة بأنى أتحمله من أجل أن تأخذ – هى – منه العبرة فى رفضها الأبى كل ما يعرقل مسيرتها نحو المجد. – سيكون لى – و أنت منذ وقت طويل مصمم على حذفى من تحت عينيك – أن أنقل عنك – أنت بالذات – كيفية درسك الطرق التى يمكنك أن تحذفنى بها من أمامك... ان السبل هذه، لم تتمثل فى ذهنك الذكى، بأكثر من ثلاثة: أسرعها: نقطة سم فى كوب، و انتهى الأمر! أشرعها: إنشاء مجلس من مجالس القضاء! أطولها: فتح بوابات السجون المعتمة، أو فلنقل: المؤبدة!!! لقد درست يا هارون السبل الثلاثة درسا مطولا، و كنت حائرا فى أى واحد منها يصح لك الاعتماد!!! أما حيرتك [صفحه ۱۵۲] هذه، فكانت تؤكد عليك، بأنك خفت من التاريخ أن يأخذك – بقتلى – الى تهمة التجنى على الأولياء الصادقين!!! يا للمهزلة يا هارون!!! لقد كنت – فعلا – تعتبرنى وليا من الأولياء الصادقين!!! و بذات الوقت، كنت تريد أن تحذفنى من صفحاتك، لأنى من الأولياء الصادقين!!! و لتتابع يا هارون: لقد رفضت استعمال نقطة السم، و أنت تتذكر أن جدك العظيم المنصور، قد استعملها فى كوب أبى الإمام الصادق!!! و سيتهمه التاريخ – من دون شك – بالتجنى، لا على ولى من الأولياء الصادقين... بل على عبقرى – أيضا – من العباقرة النادرين فى تكوين الأمة التى أتحفها بالعلم الصادق ولى الصادقين!!! لن يفتح عليه مثل هذه الثغرة سيد العرش هارون‌الرشيد!!! و هكذا سيوفر هارون نقطة السم لحذف مجرم آخر، يخبىء فى عبه قنبلة تزعزع عرش هارون!!! و انتقلت يا هارون الى دراسة السبيل الثانى، بإنشاء مجلس قضائى تحاكمنى فيه، و تقضى على بالموت المؤكد!!! و لكن المجلس القضائى هو بحاجة أولى الى انتقاء قضاة يقتنعون بتجريم الإمام، مما يستحق

الاعدام!!! سيكون لك يا هارون أن تنشىء مجلسا ينفذ هذه الغاية... و لكن شهرة الإمام بالاستقامة، سيتناولها التاريخ، ليدعم بها شكه الكبير بمجلس قضائى ينشئه الرشيد ليكون فاصلا بالعدل و الحق... و إذا به قضاء كذاب، لا يتعمق، لا [صفحه ۱۵۳] بالدرس، و لا بالعدل، و يتهم بريئا كالإمام، و يحكمه بالاعدام!!! لقد توقفت طويلا يا هارون - و أنت تدرس كيفية إنشاء مجلس قضائى... و لكنك لم تقدم على إنشائه، حتى لا تقع فى مثل هذا الريب!!! لم يبق لك غير الالتجاء الى سبيل ثالث - درسته بإمعان، فوجدته فى حقيقة التلبية... و ها أنى أعرض عليك - لأبرهن لك أنى ذكى مثلك، أتمكن من اكتشاف مخططات الأذكياء!!! لقد قلت يا هارون فى ذاتك: لماذا ألجأ الى السم، لتنفيذ مآربى؟ أو - بالتالى - لماذا ألجأ إلى مجلس قضاء، لن أحصل منه إلا ما تفرضه عليه إرادتى؟!! أليس عندى - و من ضمن صلاحياتى المطلقة - ما يوصلنى الى مرامى، من دون استخدام نقطة سم!!! أو استجداء مجلس قضائى... و الاثنان - ربما - قد يشوهان سمعتى!!! أجل يا هارون... أليست مفاتيح كل السجون فى قبضة كفك؟ يفتحها لك - الاحتياط - ساعة تريد، فتزج فيها كل من تشك به ساعيا الى زعزعة العرش؟!! أجل - انه الاحتياط!!! و الاحتياط الكبير... يجعلنى أتلقط بتلابيبك يا موسى! و أفتح بوابة السجن الذى أريد، و أزجك فيه، من دون أى محاسب، أو متسائل، أو أى رقيب!!! هكذا تقضى مصلحة العرش: أن ألنك بالصمت، و بالعتمة، و بالخفاء المطبق... لا لشىء سوى ابعادك عن الساحة تجمع فيها عيدان حطبك، [صفحه ۱۵۴] لتشعلها، و تحرق بها قوائم العرش!!! و ارتحت كثيرا يا هارون، لانتصار الفكرة فيك، و هى التى ستنجيك من قولة التاريخ الذى سيتلهى - فقط - بأنسوجة التهمة: هل تستحق عتمة السجون؟ أم لا تستحقها؟ و هل هى تهمة؟ أو أنها ابتداع تهمة؟!! و هكذا يبقى التاريخ متلهيا بالبحث الطويل... و الى أن ينتهى السجن الطويل، أكون أنا - يا هارون - قد لفظت أنفاسى!!! و انتهى الأمر!!! انه ذكاؤك يا هارون... و انه ذكائى - أيضا - عددت به درجات ذكائك الذى يربعك على قوائم العرش! فنم هنيئا فوق مدارجه، الى أن تستفيق الأمة فتجدك مهرجا زيف لها حقيقة المجد!!! أظن الامام قد تناوله نوع من راحة، و هو يحلل نفسية هارونالرشيد. و لكنها راحة مقتنعة بأن الغد القريب آت إليه بكرب لابد من تحمله بصبر عجيب... و لقد تفسر اقتناعه، و ها هو يفتح بوابة داره ليجد أمامه رسول الرشيد - مع الصباح الباكر - يستدعيه لمقابلة الملك، و هو بحاجة اليه ليستفسره عن بعض المبهمات... و لبى الإمام العرش، و هو يوجس خيفة من هذه المهمات! و طرح الرشيد على الإمام سؤالا كأن فيه كل التحرشات: - ما رأيك يا حضرة الإمام بشذرات لا نزال نسمعها فى الساحات: بأن الامام موسى غير مرتاح الى حكم يدعى أنه حق، و عدل و صواب، و هو الخالى من الحق، [صفحه ۱۵۵] و العدل، و الصواب!!! هل هنالك من «فخ» جديدة يحضرها الكتمان، و قد شملها الغفران و النسيان؟!! أخذ الإمام السؤال و غرق فيه من دون أن ينبس بأى جواب... و لكن الملك هزه من جديد: - أنا لا أعرف الامام إلا صادقا فى كل ما يقول... و لطالما رشقتنى بمثل هذه التمنيات، و ما كنت آخذها منك إلا بريئة... فهل هى - حتى اليوم - لا تزال بريئة؟!! و التفت إليه الإمام و أجاب: - كنت دائما تأخذها منى بريئة، ثم تردها إلى غير بريئة... لنا الله فيك يا هارون! لماذا لا تأخذها غير بريئة ثم تردها الينا و هوى مسكوة بالبراءة؟!! غير انك تعلم أنى ما طرحت تمنياتى فى الأمس: - عليك - بل فى أذنك - وحدها - كنت أطرحها، حتى تكون أنت محقا، و عادلا، و مصيبا، إعلاء لشأنك، و صونا لمصلحة الأمة التى لا يبنيك، و لا يبنيها، إلا الحق، و العدل، و الصواب!!! فاتهمنى بما شئت... فإنى لم أعد أبالى إلا بمن أومن به: حقا، و عدلا، و صوابا... لم يكد يصمت الامام، حتى نهض الملك، و تناول الامام و صافحه بيده و قبله بشفتيه و هو يقول: لابد لى من أن أصدقك... فاذهب الآن بأمان، و سنلتقى بعد حين! و قال للحارس الذى ما زال بين يديه، و أظنه حسان السروى: [صفحه ۱۵۶] - اذهب بالامام،... أوصله الى البسرية... لقد اشتراها الامام بثلاثين ألف دينار، فهى له... أوصله اليها!!! و قال الحارس: - ان قافلة الرجوع مجهزة يا سيد العرش... و أنت يا سيدى الامام... تفضل معى... أنا بين يديك!!! و مشى الحارس، و تبعه الإمام، و مشت القافلة المنظمة للحراسة المعدودة... و عند المساء وجد الامام نفسه فى البصرة، حيث تسلمه عيسى بن أبىجعفر، و زجه فى بيت من بيوت «المحبس» - و لم يسمح له بالخروج إلا للطهور... غير ان الحارس حسان بلغ قائد المحبس أوامر الرشيد بألا يمطط كثيرا ليالى السجن على الإمام... و إذا تمكن - مع الصباح - من خطف أنفاسه، خير له من أن يبقيه

حتى المساء!!! و لكن عيسى بن جعفر، رفض الانصياع لمثل هذه الأوامر الجهنمية التى تثقل ضميره الانسانى... و بعد أيام قليلة تم نقل الإمام من البصرة الى بغداد حيث تسلمه الفضل بن الربيع... و لم يقبل أن يسجنه إلا فى داخل بيته، لأنه كان يكن له احتراما مخصوصا... هنا كان للإمام موسى أن يتنفس الصعداء، و يسرى عن نفسه أمام الربيع، بكل ما كانت تعتلج به نفسه من هارون‌الرشيد - قال - و الربيع مصغ إليه بصمت بليغ: - أشكرك يا عزيزى الفضل، لا تسجننى - فقط - فى بيتك، بل فى جنة من جنان الله... فيها العطف و الكوثر... و لكن جنتك يا أنسى الكريم، لن تدوم لى أكثر من بضع ساعات... فلأتذوقها ما زلت الآن معك. ماذا أقول أمامك فى الرشيد؟... انه لا يريد أن يسجننى، [صفحه ۱۵۷] بل أن يمحونى من أمام ظنونه، و تبكيت ضميره!!! لماذا؟؟؟ لأننى أنصحه بإشاعة الحق، و العدل، و المعروف، فيطول عمره و عمر الأمة، بالخير الصحيح!!! و يتهمنى: بأننى أمد يدى لأسحبه عن عرش فاجلس فيه... فى حين أرجوه أن يسدد بالحق عرشه، فيبقى له هذا العرش، و أن يدعنى أطيل عمر الجامعة التى تنيره و تنير الأمة على السواء... و لقد اشترى الأخصام يشهدون على بتجميع الثروات أنفقها فى سبيل الوصول الى خلافة تحطم العرش على رأسه!!! و ها هو الخائن المرذول - على بن إسماعيل بن جعفر الصادق، و هو نسيبى، يشهد بين يديه على!!! بماذا يشهد؟ بأنى اشتريت ضيعة البسرية بثلاثين ألف دينار... و سأحطم العرش بها على رأس الخليفة الملفوف بالشنار!!! و ضيعة البسرية!!! نحلتنى بها الأمة، لتعزيز مركزى الإمامى، أرعى به شؤون الأمة... يا للقصور، و الدور، و الحدائق!!! كيف سيتبجح بها الامام موسى، من أموال الأمة، ليجعلها متعة له، لا يدور فيها: إلا القصف، و الرقص، و كل أنواع المتع الدنيا!!! بينما يكون هارون‌الرشيد قابعا فى الزوايا المعتمة، لا يجتر غير الفقر و الحرمان!! لم يصل الامام موسى الى مثل هذا الحد من البوح، و التذمر، و الانفعال، حتى كانت كوكبة من فرسان هارون‌الرشيد، تطوق بيت [صفحه ۱۵۸] الفضل بن الربيع، و تطوق يدى الامام بالسلاسل، لتنقله الى بغداد حيث سيرمى فى سجن يتحكم بأبوابه الفضل بن يحيى... و هذا - بدوره - تلقى أوامر الرشيد، و هى ذاتها التى كانت موجهة الى الفضل بن الربيع!!! و لكن الفضل بن يحيى - بدوره - ما امتثل إلا كما امتثل الفضل بن الربيع... مما أحوج الرشيد، و بسرعة قصوى، الى نقل السجين الى عهدة السندى بن شاهك. و السندى هذا - و هو الآن شيخ مسن - و هو أبوالمنصور، جد هارون‌الرشيد، و ان الجسرين من نهر دجلة فى بغداد هما ضمن ولايته، و هو الذى سيتولى حراسة دور البرامكة الذين سيغدر بهم - فى الغد القريب - هارون‌الرشيد، و يحذفهم من الوجود!!! ان هذا السندى بن شاهك، سيكون الوغد الأثيم المنفذ أوامر هارون‌الرشيد، متسلما من يديه رطبا مسمومة، ما كاد يطعمها الإمام موسى حتى مات مسموما، عن عمر يناهز الخمسة و الخمسين... بعد أن أمضى فى السجون ما يقارب السبعة عشر عاما... لم يقدم - فيها - للرشيد طلب استرحام، و اكتفى بأن يوجه إليه هذه الرسالة فى سطرين: - لن ينقضى عنى يوم من البلاء. حتى ينقضى عنك يوم من الرخاء! أما عرض جثمانه فكان طيلة ثلاثة أيام على جسر الرصافة فى بغداد و لم يقم بغسله و تجهيزه إلا سليمان بن أبى‌جعفر. [صفحه ۱۵۹]

فى مقابر قريش

و فتحت مقابر قريش، لتقابل المغلول بالسلاسل، و إذا بالسلاسل كلها ضفائر ضفائر، تحيط بالمسجى كالمناديل المزركشة بالمنائر!!! و من أبهاها وجه من لؤلؤ، عيناه من مرامى الأفق، و جبينه فضاء من سماء ترصعها الدرارى... انه جد النبى، و على يمينه وجه مطل بعلى، كأنه انشقاق من مناخات تنام فيها شموس لا تذوى... و على يساره زند مربوط بألف رمح و ألف حسام... انه الحسين - كأنه لا يزال مشدودا بأرض كربلاء - تشرب منه: الدمع، و الدم، و أعراق الجهاد... و انحنى الحسين على الجسد الآتى من حضيض كربلاء - ليعانقه، و يقول له: - ان رحابنا فى فسح السماء، هى التى تناديك اليها، يا أيها الخارج من جهاد كظمك فيه هارون الأرض، يا رافع الأرض الى صفاء السماء!!! و أقفلت مقابر قريش... و نام الامام الكاظم كأنه لم يغب بعد. [صفحه ۱۶۳]

بعد الغياب

بعد الغياب

لقد مشت الجنازة الكبيرة بجثمان الامام الكبير، من جسر الرصافة الى مقابر قريش، و كل السائرين فى الركب الحزين دامعون - و على رأسهم سيد العرش هارون‌الرشيد - لقد كان ماشيا مطرقا، و هو يلملم - بمنديله الأخضر - دمعات حمراء، ما ارتضى إلا أن يبذلها - آها - على إمام راح يسميه: قريبى الإمام موسى بن جعفر!!! إنى الآن أقول: فعلا - إن الرشيد هو الحزين، و لقد صدق الناس حزنه، و راحوا - ساعة تلك - يلثمون يديه معزين!!! و لقد صدقه التاريخ - ساعة تلك بالتمام - و راح يصف لنا دمعات حزنه: كم كانت رخية حمراء، ما استنزف مثلها - حتى الآن - إلا هذا الولى - الصامت - الكاظم - الصبور، الماثل حيا فى الوجدان... انه الإمام موسى بن جعفر... يا له من إمام!!! لماذا لا نقف وقفة جريئة فى التحليل النفسى الذى يقدمه لنا الآن هارون‌الرشيد... لماذا لا نقول: - و فى هذه اللحظة بالذات - و هو الطامر الإمام موسى بسنوات السجن، و سنوات القهر، و سنوات العذاب المنتهى الآن أمام فوهة القبر... أجل، لماذا لا نقول: ان هارون بالذات، و فى هذه [صفحه ۱۶۴] اللحظة بالذات، قد تمت له يقظة جديدة، جعلته يبصر انه - وحده - المتجنى على ولى، ما كان يستحق الا محض الولاء!!! ألا فليذرف الآن هارون الدمع، لا على الولى المسجى بقمصان الطهر - بل على ذاته الهارونية المغطاة بقمصان العهر!!! و اننا الآن نسأل: هل فى دموع صاحب العرش إقرارا بمبرات الامام موسى؟!! و بالتالى ندم عليه ما ارتكبه الرشيد بحق الامام؟!! و لكن استطلاع البحوث الواردة فى متن هذا الكتاب، تعود و تقول: ان البنية النفسية فى هارون، شبيهة بقوس له طرفان معكوفان، واحد يقول: نعم، ليقول الثانى: لا... و دائما كن يقول هارون فى طرفى قوسه: موسى مصيب، و صاحب مبرات... و فى اللحظة ذاتها: ليس موسى مصيبا و صاحب مبرات... و سيكون الرشيد - أيضا - فى هذه اللحظات الحزينة و الدامعة، نادما على ما ارتكبه بحق الامام... ثم غير نادم على ما ارتكبه بحق الامام... و لسوف يقدم التاريخ لنا تصديقا لما نقوله الآن، بأنه يقول مع الصباح كلمة، يتنكر لها عند السماء!!! ألم نره غريقا بحب البرامكة، يمحضهم مع الصباح كل الحب، و مع المساء يغمرهم بالموت الزؤام؟!! ليس هارون‌الرشيد موضوع هذا الكتاب إلا- بقدر ما كان فيه متجنيا على إمام عجل فى إذاقته طعم الموت... من دون أن يدرى الرشيد، ان الموت - بمعناه الصارم - لا- يطال الأولياء الأغنياء بفعل الفكر، و فعل الروح، و فعل المبرات؟ بل برفعهم الى درجات أخرى، تطل من فوقها كل نتاجاتهم الفكرية، و الروحية، و المثالية، كأنها النباريس المنيرة، و التى لا- تعتمر إلا- ها كل المجتمعات الانسانية فى استمرار وجودها فوق صفحات الأرض... و ها هو المأتم البارز الآن أمامنا تجاه مقابر قريش، يحدثنا مليا عن ان القيمة الكبيرة المتمتع بها الامام موسى، و هى التى تنحنى أمامها [صفحه ۱۶۵] جموع الناس فى بغداد، و هى التى تحرك الآن مقلتى صاحب العرش هارون‌الرشيد، بتذريف دموع ساخنة، تحمل الا-حترام و التخشع - ليس أمام جسد بدأ ينحل الى و حل و حديد... بل أمام قيمة أخرى بدأت تشهد لها أقواس المبرات، بأن بغداد، و الأمة كلها خلف بغداد، تحتاجها فى التقويم، و التشذيب، و التمتين المحتاج الى أخلاق، و صدق فى الحق، و العدل، و الصواب... و كلها كانت فى مناداة الامام، قبل أن يغمض عينيه!!! و هى كلها ذات المناداة، لا يتردد غير صداها، فى الجو الذى ملأه الإمام بهذى المبرات!!! ليس بعد الغياب إلا رجوع آخر، هو رجوع الفكر الأصيل الى مجراه الذى دفق به الروح الأصيل... إن فى الحياة ردحا آخر، تماوجت به الحياة، من أجل الحياة الهادف بها نداء الحياة... أما الامام موسى، فهو الدفقة الخارجة من فوهة الحق... و لن يكون للمجتمع، الا أن يناديها و يتأود بها حتى تستقيم خطواته... أليست - هنا - حقيقة الإمام؟!! و نداءاته؟!! [صفحه ۱۶۷]

نداءات الإمام

لقد كانت نداءات الإمام عديدة، و حسبنا منها انها كانت شاملة. و الشمول فيها، حصرها فى بناء المجتمع، و تركيزه على حق قوامه الصدق، و التيمن بالتقوى المتولد منها خلق كريم، تنعجن فيه عادات و تقاليد، هى ذاتها المجتمع القائم على نقاوة الفكر، و نقاوة

الروح، و نقاوة المسعى المنقى: من الزور، و الكذب، و البهتان... اما الاطماع الحقيرة التى تقوى الحيوان فى مهجة الانسان؛ فانه خصها بوابل من اللعنات، لا لأنها أطماع بحد ذاتها، بل لأنها عامل كذاب، تدعى انها طموح الى تحقيق المغانم، و الثروات، و الأمجاد... بينما هى فى سلبية أخرى، لا يتحقق فيها إلا الرياء، و الاستذلال، و الاستبداد، لتكون - بالنتيجة - لصا يسرق ما فى معجن أخيه من خبز، ليميت أخاه بالمجاعة!!! و إذا بالمجاعة الكبرى، هى التى تأخذ الأخوين بالذل الموحد!!! ما كان الامام يستجمع مثل هذه التشاؤمات، إلا و هو متمثل الأمة التى هى أمة جده النبى الذى انسكب فيها بكليته، ليبنيها بالحق الواضع و الناجى من تراكمات الترهات؟ و بدلا من أن تسقيم معابرها الصاعدة بها الى [صفحه ۱۶۸] المجد،... راحت تتلوى بها المحاذير النابتة من ذات الترهات التى هى سياسات كاذبات ناطقات بالزور، و البهتان، و الأطماع، و كلها آفات توسلها بنوأمية - فى ردح من الوقت - و ها هم الآن بنوالعباس، يتوسلونها، لا- لإسعاد الأمة، و ارفاهها، بل لتوسيع الرفاه عليهم، بإشادة قصور البذخ، و مقاصير المجون، و الرقص فوق ظهور العباد!!! كأنى توصلت - بهذا التلميح المختصر - الى مبتغاى من القول: بأن نداءات الامام موسى كان لها الشمول الوسيع، بمعنى أن حياته كلها على الأرض، و هى لم تتعد الخمس و الخمسين من السنين المقهورة، جاءت كلها تعبيرا عن هذا الشمول المحصور بعنوان واحد، و هو علم الاجتماع... و اجتماع الامام هو المخصوص بأمته التى محضها كل فكره، و كل انتاجه، و كل شعوره، و كل عافيته، و كل اهتماماته، و كل آلامه و تنفساته... و لم يرد الا أن يجعل نفسه قدوة منزلا فيها - بصدق تام - كل ما قاله، و فكر فيه، و قام به، منذ أن وعى ذاته، الى أن لفظ أنفاسه... سيعيش من أجل الأمة - سيبدى الرأى الذى تنتفع به الأمة - سيغتاظ من أجل الأمة - سيتحمل الغيظ من أجل الأمة - سيصبر، و يعلم الأمة الصبر، من أجل الامة - سيصلى من أجل الأمة - سيموت من أجل الأمة!!! أليس كل ذلك هو الانعجان بمصالح الأمة، و مصير الأمة، لإيصال الأمة الى الدائرة التى رجاها لها نبيها الرسول؟!! انه العالم الاجتماعى المطبق على ذاته كل ما ورد فى نصوص علمه الوسيع الشامل كل ما تحتاجه الأمة - ليس فقط الآن، بل كل ما تحتاجه من رويه، و صبر، يوصلانها الى الربح الصامد لها فى الغد المنتظر! سيكون لنا - و لو بالتلميح الموجز - استعراض الامام فى كل ما أنتج، و أعلن و أضمر... ستبدولنا - فى كل ذلك - شخصية الامام البارزة فى تراثه [صفحه ۱۶۹] الفكرى، الروحى الاجتماعى... و فى موسويته المتجذوة فى إيران و قد زرع فيها وليا من بعده، هو الامام الرضا... و ستبدولنا هذه الشخصية الفذة حتى فى ألقابه التى محضه بها المجتمع بأسره، فإذا هى تصفه، و تتكلم به، كما تتكلم بالمعانى روعات البيان. أما جسر الرصافة: فسيعانقه جثمانا ناطقا بالصمت الكاظم الغيظ... و تلك قيمته المثلى - يحيا بها - من دون أن تمحوها نقطة الختام. [صفحه ۱۷۱]

تراثه الفكرى، الروحى، الاجتماعى

اشاره

و تراث الامام موسى؟ و لن يكون فكريا أكثر مما هو روحى... و ليكن فكريا - روحيا... إنما هو - فى مآله الواسع و الشامل - اجتماعى بكل ما فى الكلمة من أبعاد و مقاصد... كما و ان اجتماعيات الامام، لم تبرزها بكل ماهياتها الجليلة، أقواله المخطوطة فى إطار الحروف - و هى فصيحة المبنى، و المعنى و الإشارات - انما كان لها مدد آخر، مدتها به، كل أفعاله الصادقة التعبير عن حقيقة ذاته، و حقيقة مناهجه فى الحياة، و فرادة إيمانه بالأمة التى هى كل ملاذه فى الوجود - و بالتالى - كيفية التعبير عن هذا الإيمان الوطيد بسلوك مدرب بالعفاف، و الصدق، و التقوى، و ليس من غيرها ما يبنى الفرد - السائس و المسوس - فى تجهيز الأمة نحو تحقيق البلوغ!!! سيكون لنا التمعن بتراثه - بقدر ما يفسح لنا بالمجال - على أن نستعين قليلا بأفعاله، و بتحمله الضيم بصبر فائق المثيل، ليكون ذلك - منه - مساندة فاعلة تثبت صدقه فى كل ما قال، أو ما سيقول: صحيح أن ما كتبه الامام، لا يؤلف مجموعة «كتيبة» تغص بها رفوف [صفحه ۱۷۲] المكتبات، و لكن الفكر فيها يدل إلى غزارة عنده، تصلح لأن تكون موسوعات علمية، و فلسفية، و

اجتماعيـة، تمتلىء بهـا كتب البـاحثين... أقـول ذلـك لأـعنى أن اختلاـء الإمـام بنفسه، و بقلمه، لم يكن موفورا له، فى مثـل هـذا الجو الرهيب الذى أحاطه به المتجنون عليه من بنى‌العباس... يكفى أن نشير الى أن السـجون الطويلة التى عاناها فى حكم الرشـيد، لم يكن له منهـا فسـحة من وقت و طمأنينـة، ينكسب فيهـا على الانتـاج، و التـأليف... من هنـا، أن اختلاـءات الامـام، مـا كانت لمنادمـة القلم و القرطاس، بل لتضميد الجراح التى كانت تصيب بدنه و روحه!!! و مع ذلك كله، فإن ما قدمه لنا الإمام، من جنى غزاراته، لا يجعلنا إلا خاشعين أمام صلابة إنتاجه الذى ننوه علنه مع القليل القليل من التفسير:

رسالته فى العقل

لم أتمكن من تناول رسالـة الإمام فى العقل، إلا و أنا أتمثله غارقا فى معبـد من معابد البراهمة الساجدين فى حضـرة إله عظيم و قدير، خلق الأرض، و الأفلاك، و كل المجرات، بلحظـة واحـدة، و جلس يتأمل ذاته فى كل ما خلق و أبدع... لم يسـجد الامام بين يدى إله جالس فوق أريكـة، و هو يتأمل فى كل ما أبـدع... لأن إله الإمام موسـى هو انـدماج مطلق فى كل ما هو كائن فى حقيقـة المطلق، أما سجوده الآن، فهو حركـة من حركات التجريـد، لم تجـد أمامها إلا العقل المجرد من أنسوجة الإنسان، و هو الوحيد، البصـير، المتمكن من الإشارة الى كل ما هو مبثوث فى حركية الكون الذى هو فى حقيقة المطلق. لقد سـجد الامام – فعلا – أمام قوة العقل، و راح يشيد به طاقة استيعابية فريدة، تأخذ العلم و تتفرد به، لاسـتجلاء المبهمات، و اكتشاف الحقائق المسـتنيرة بها مجتمعية الإنسان... وحده العقل هو المنبثق من نقطة [صفحه ۱۷۳] الجوهر، و هو الوجـد ذاته فى اندماجية الجوهر... أما الأمة النازلة رحيبا فى اهتمام الامام، فليس لها غير العقل تتعهده بالرعاية و التقدير، حتى يتمكن – رويدا رويدا – من تذليل العقبات الكثيرة التى تعرق وصول الأمة الى الاستحقاقات الشـهية!!! و لقد بحث الإمام – بكثير من الجدية – عن كل الضـفائر الممهدة للعقل نموا، و اتساعا، و تحقيقا اجتماعيا مجديا فى فاعلية، و صدق، و حقيقة اندفاع... و هكذا اتسـعت أمامه كل المصادر، المحتاجة اليها الأمة فى تجهيزها منارا لكل فرد من أبنائها المجموعين باسم الرعيـة... و أظنه لمـح اليها – هـذه المصادر – بشـكل عام فى محتويات الرسالـة – و بشـكل آخر تطرق اليه مشـروحا فى أحاديثه العامـة و الخاصـة مع أبنـاء الرعيـة. و لم يتورع عن التلفـظ بهـا أمـام أوليـاء الحكم – أكـان بصـراحة أم بتوريات – قصـد التخفيف من عنجهياتهم الضارة بمصـلحة الأمة! سـيكون العلم مصدرا أساسا لتغذية العقل الفردى و الجماعى – و لقد رأينا كيف أن الإمامة المثلثة، و المؤلفة من أجداد الإمام، رصدت كل جهودها فى اعتماد الجامعة العلمية، تنويرا للعقل، و توسـيعا لدوائره فى محيط الأمة... و ها هو الامام الذى هو تلميذ من تلاميذها اللامعين، يطلب من الحاكم توسيع الدوائر العلمية فى كل أقطار الأمة، تعميما للوعى الذى ترتفع به سويـة الأمـة... و لكن الحكم لم يسـتجب للطلب، لغايـة فى نفس يعقوب! و راح الى زج الامـام فى السـجون المعتمـة، حـتى لاـ يـدير الجامعـة التى توقفت، بعـد أن جاهـدت سـبعين سـنة فى حقلهـا المثمر!!! و رأى الإمام ان العلم يبقى مقصـرا فى تأديته العظيمـة، ان لم تسانده كل الفروع المنضوية اليه: كعلم التاريخ، و علم الجغرافيا فى جميع فروعها، أو أنواعها: التحديدية، و السياسية، و الاقتصادية... و كذلك علم [صفحه ۱۷۴] الحساب، و الفيزياء و الكيمياء... انها كلها دوائر علمية، توسع العقل فى تفتيشه عما تحتاجه الأمة فى جميع متطلباتها المعيشـية... و كذلك رأى الامام ان الأمة بحاجة ماسة الى عنصر خلقى متين التركيز، هو الدين فى فلسفته الشاملة كل حيوية من حيويـات المجتمع، و لولاـه لعم اليـاس كـل النهـج، بعـدم تركيزها على قيم تضـبطها من الفكر، و الالحاد، و الزندقـة؛ من دون أن تجمعهـا مثـل قويمـة من حق، و صـدق، و عفـة، و إيمـان... و كلهـا ضوابط إجتماعيـة خيرة؛ تجمعها التقوى فى حيز من الخير الصائن المجموع من الانفلات... و لن تكون التقوى إلا نابعة من الإيمان بالله الذى لا تراه العين، و تراه البصيرة... و لا تدل اليه الصفات و تدل اليه مطلق الموصوفات – و لا تحصره الأمكنة، و لا الآجال، و لا الأزمنة... و لا أية من الحركات؛ لأنه قبل الوجود و بعد الوجود، و قبل الافاضة و بعد الافاضة، سواء بسواء... أيكون للشـمول تحديد الشمول؟... و يبقى الشمول بغير حد، لأنه ذاته هو الفضاء!!! و التقوى؟ – و ليست غير إيمان بالله – هى الموصوفة بلغة الأرض: بالفضائل الإنسانية التى هى محض صفات اجتماعية، تصون المجتمع من كل آفة

يصاب بها المجتمع و ينشل الى خراب!!! و لا ينهض المجتمع الى بناء و عمران، إذا يشيع فيه: الكذب، و الزور، و البهتان... فلا الزنى يبنيه، و لا الخلاعات الحمر، و لا شهوات الذئاب، و لا أية شريعة من شرائع الغاب!!! و يبنيه: الطهر، و العفاف، و الصدق، و الحب النبيل، و الحرمات التى تصونها الاستقامات، و العدل فى توزيع الحصص، و ضبط الحكام فى مسؤولياتهم الإدارية، من دون أن يخونوا الأمانات!!! تلك هى التقوى التى هى حقيقة الدين الذى ما ونى يبشر بها الامام، فى سره، و فى جهره، أمام الناس، و أمام الحكام... لا ليصير صاحب [صفحه ۱۷۵] عرش... بل ليبنى أمة تخلد بها مآتيها الى أبد الدهر... و هذه التقوى بالذات؟ من يدركها فى حقيقتها من الصواب؟ غير العقل الذى يطلب له الامام زيادة نمو، و فاعلية، يساعدان الأمة فى إنالتها رجاء يخلصها من كل ما يعبد عنها هذا الرجاء!!! و انها الدوافع ذاتها، كانت تنام فى غزارة الامام الكاظم الغيظ فى لبه، فراح - فى لياليه المليئة بالحزن - يخط على قرطاسه رسالته فى العقل، يقدمها الى الأمة، و الى الحاكم بالذات، على أمل منه بأن تتحلحل الأمة الى وعى يفيدها - و على أمل - أيضا - يوقظ الحاكم الى تخفيف من جوره تفيد منه الأمة بعض الرجاء! و أقول: لو كان للإمام تمتع ببعض أمان يبعد عنه عتمات السجون، لجاءت رسالته فى العقل فى دفتين وسيعتين تضاهيان حجم نهج‌البلاغة! و لا غرو، فان ابن‌جعفر هو الحفيد الموصول القطب بالقطب الذى هو جده الأكبر!!! يا للإمام ابن أبى‌طالب، لا يزال المحيط الهاجعة فيه فرائد الدرر!

رسالته فى التوحيد

اشاره

و من جملة ما اشتهر به الامام موسى فى حقله الفكرى الثمين، إنشاؤه رسالة مخصصة بالتوحيد، أى توحيد الله العظيم فى كل قضايانا الفكرية و الروحية و المعتقدية؛ لأن الله - جل جلاله - هو المصدر الأبدى، و الأزلى فى وجودنا المطلق، و إن مآلنا اليه هو المآل الأوحد و الأصدق، و لا يجوز للأمة إلا أن تتوحد به ضابطا لها - بصدق - كل شؤونها الحياتية! ان الموضوع - بحد ذاته - جليل و واسع الأهمية، و إن البحث فيه لا تكفيه رسالة فى عدة صفحات موجزة، بل كتاب مجهز بمئات الصفحات، تمتنه التحاديد العقلية، الفلسفية، الروحية، و تشرعه الآيات البينات، بلسان الصدق، و لسان المنطق المؤمن بإله واحد و موحد فى كل ما لا يحدد من فضاء الكائنات... [صفحه ۱۷۶] و الحقيقة التى لا تنتقص أنملة واحدة من القيمة الإدراكية التى يتمتع بها الإمام... ان البحث هذا، ما تمكن الإمام من تقديمه إلا فى عدة صفحات موجزة، فى حين ان التوحيد [هو دين الإسلام، و قرآن الإسلام، و معتقد الأرض كلها، فى خضوعها بين يدى إله خالق واحد، هو إله الإسلام] إنما هو بحاجة الى كتاب وسيع و عريض الحواشى، يكون شبيها بنهج‌البلاغة، يشرع فيه الاسلام الوسيع الحدود، فى ظل التوحيد الذى هو جوهر الاسلام... و الامام موسى هو المتمكن الممتاز فى إملاء مركزه الإمامى بكتاب من هذا الوزن!!! و لم يتمكن الامام من مثل هذا الإنجاز، لا لسبب إلا لأنه يتطلب تفرغا يلزمه الوقت الطويل للقيام به!!! و يكفينا أن نعلم أن السجون المعتمة - و قد زجه فيها صاحب العرش هارون‌الرشيد، على مدى مرقوم بسبعة عشر عاما - هى التى و فرت للإمام، ساعتين من الوقت، حبر فيها رسالته الصغيرة فى التوحيد، و أرسلها الى من طلبها منه... و أظن اسمه: الفتح بن عبدالله: انه مؤمن محتاج الى توضيح يفسر له حقيقة التوحيد! و رسالة التوحيد - هذه بالذات - جاءت مشروحة على أوسع و أتم، فى رسالة الامام السابقة، و قد تناولناها ببعض الشرح، أنها رسالته فى العقل... و هى رسالة - أيضا - وجهتها الأمة الى الإمام، طالبة منه شرحا عن العقل، و تعيين مقدار ما يلزمه منه مجتمع الأمة... و لقد أجاب الإمام الأمة، و خصها برسالته فى العقل، و هو يتمثلها باسم «هشام»، و راح يملى عليه - بل على الأمة - بالذات - كل ما يعينه العقل، و كل ما تحتاجه الأمة من العقل الذى هو وعى الأمة، و حقيقة الأمة... و كذلك راح الإمام يشرح للأمة معنى التوحيد الذى تحتاجه الأمة فى وحدتها المؤمنة بإله واحد قدير و جبار. يغمرها بكل ما تحتاجه من مواهب و صفات، حتى تحقق وجودها الأمثل فوق صفحة الأرض! [صفحه ۱۷۷] هكذا جاءت رسالته فى العقل، و هكذا جاءت

رسالته فى التوحيد: موجزات صغيرة فى ظل معانى كبيرة، لا تفى بتوضيحها و شرحها إلا المجلدات... و لقد فهمنا ان الوقت القصير و الحزين، هو الذى جعلها قصيرة، و لم يكن موفورا للإمام إلا الوقت الصغير لإنتاجه الذى اكتفى بالتلميح اليه التلميح الموجز... و الأمة - بدورها - قد اكتفت بالتلميح، تأخذه منه الى دخيلتها الى تمن - على هذا التلميح - بالتصريح و التوضيح! هنالك حاجات عديدة كانت تفتقر إليها الأمة فى مسيرتها فوق هذه الشعاب المليئة الآن بالشوك و الهشيم!!! و كان الإمام ملتاعا: كيف يمكن الأمة من اجتيازها بنوع من أمان... أو كيف يكون لها تحملها بنوع آخر، من تصبر و طول أناة... و ها أنى مستعد الى ترقيم بعض منها. و كيف كان الامام يقوم بتقديمها للأمة: بتلميح بليغ الإشارة، و صدق صادق الأداء و بارع الفن. دائما هو التلميح... و لقد كان وحده هو المتاح للإمام اللجوء اليه، بنوع من حكمة و روية، من دون الانصراف الى المعالجات الموسعة و الصريحة التى يتطلبها منه مركزه الإمامى... هنالك - مثلا - ظهور فرق راحت تشيع الفوضى فى العقيدة الاسلامية... و كان الحكم بالذات يرضى بانتشارها لتفسيخ الشعب، لا لجمعه فى وحدة فكرية و سليمة، تطالب الحكم بأن يرعاها و يتعهدها، من أجل رفع الأمة الى مرحلة ناهضة بها!!! لم يتح وقت للإمام للقيام بشروحات تحقق هذه المماحكات السفسطائية التى اجتهد بإشاعتها كل من الكيسانية، و الزيدية، و الإمامية الفطحية... من دون أن تتوانى عن القيام بمثلها السمطية أو الخطابية، أو الناووسية و الاسماعيلية، أم القرامطة و الواقفية... أجل - لم يتقدم الامام بأى بحث يرد هذه الفرق الى الخط العقائدى الموحد الذى تقوم به، موحدا و مجردا - أطروحة الإسلام - بل راح سريعا - و بقدر ما يسمح له قصر [صفحه ۱۷۸] الوقت - الى إنشاء رسالتين متتاليتين، لابد لهما من أن تردا هذه الفرق كلها الى جادة الحق، و جادة الصواب... أما الرسالتان فهما: رسالة فى العقل، و رسالة فى التوحيد. هذا هو التلميح الذى كان الإمام متمكنا من اعتماده فى الفرص التى كانت تتيحها له هنيهات الحاكمين المتعسفين... و لم يكن - هذا التلميح بالذات - يبدر منه، إلا سرا لحاجة ماسة، كانت تتطلبها الأمة فى حين ورود هذا التلميح... و ها هى - هذه التلاميح - نستعرضها خارجة من بال الإمام، و لكن بكل إيجاز، لأن الإيجاز بالذات، هو ما كان متاحا لفضيلة الإمام:

البداء

و رأى الإمام: أن البداء فلسفة لابد للحاكم من أن يتلمحها عظمة لا تليق بالحاكم، بل بالخالق - وحده - و هو المالك كل الوجود... و لا تليق بالإنسان الذى يعيش دقيقتين فى الوجود، ثم يطويه الأبد الى الأفق الفسيح... و اختصر الإمام البداء بأنه قضاء الله الشامل المطلق... انه البداية بلا نهاية... و به تتعلق كل الخفايا، و هو كل الحق، و كل العدل، و كل الكبرياء... و اكتفى الامام بالتحديد الموجز، بينما البداء لا تكفيه المجلدات المطولات بالتحديد اللائق به... هل نجح الإمام بتقديم الشريحة هذه لهارون‌الرشيد، و هى تقول له: - لا يليق بك التعسف و التجبر - فاعدل، الى أن يحملك العدل الى فسحات الجنان!!!

الإيمان بالله

و انتقل الإمام إلى الإيمان بالله: بكلام شديد الإيجاز... كأنه يقول: و هل يكون الإيمان إلا بالخالق الأكوان؟ و بئس المصير إن لم يكن الإيمان [صفحه ۱۷۹] بخالق الإنسان، و هو المكفكفه بالعدل، و الصفات الحسنى، و الوعد المنتظر فسحات الجنان... و الأمة؟ أليست هى المحتاجة الى طمأنينة الإيمان؟!! و كذلك الحاكم، و هو الذى سيطويه الظلم، و الكفر، و الفسق... الى جهنم!!!

العلم

و أشار الامام الى العلم و أهمية انتشاره فى المجتمع، محوا للجهل، و قضاء على الأمية، و سبيلا الى تحريك الوعى الآتى من طريق المعرفة... و لقد اتصل بالحاكمين - ابتداء بالمنصور، انتهاء بهارون‌الرشيد، متوسلا اليهم بالمحافظة على الجامعة، و بتوسيع مدارجها

فی کـل أرجاء الأمـة، من أجل تعميم فوائـدها التثقيفيـة – الإجتماعيـة... و لكن الحكام، ما كانت لهم الاسـتجابة الى ملتمسات الامام، لغاية أصـبحنا ندركها، و كان منهم الجواب الوسيع، بفتح بواباب السجن فی وجه الامام... لا بوابات الجامعات التی أصبحت مقفلة!!! و بقی الامام يقول – ساعة يتمكن من القول – و أنت، يا حائز العلم، أكان وسيعا أم ضئيلا... لا تحجزه فی سرک، بل انطلق به الی الغير، و انقله اليه، حتی يتم للمجتمع استيعـابه... و لم يكن فی مثـل هـذا القول، غير تلميـح الی الحكام المجرمين، كيف انهم لا يريـدون إلا اطفـاء شـموع العلم، حتی لاـ يسـتنير بهـا مجموع الشـعب البـائس، فيحرق بهـا القوائم التی تقوم فوقها سدانـة العرش!!! أما الإمام – فانه بدوره – كان يفتح بوابة داره المحاصـرة برقابة السـر، و يشـرح لزواره الوافدين اليه استفسارا عن معميات و مبهمات... لقد كان السعيد الفاتـح لهم داره، و صدره، و كل ذهنه الذی وسـعه فيه أبوه الإمام الصادق... لقد كان الامام يحفظ فی قلبه كل ما جالت به سـقوف و جدران الجامعة، من علم مقروء و مشروح، و من بيان سليم نضحت به كل رفوف الجامعة!!! [صفحه ۱۸۰]

العمل

أمـا العمـل – فـإن الامـام قـد أولاـه اهتمامـا ملحوظـا، لأـنه شأن ارتباطی بحياة الأمـة، و خطها النامی بها الی شـبع، و اكتفاء، و نوع من اسـتقرار... و لقـد ربطه بفاعليـة الاقتصاد الـذی قصـد به الاحتفاظ بمجانی العمل – مهما تغزر هذه المجانی – من دون تهديدها بتبذير غير لاـئق لها... و لقـد عنی بالتبـذير انـدفاعا نحو ميوعـة، أو خلاعـة تهـدمان البيوت و القصور مهما تكن محصـنة... و لم يكن يقصـد بـالقصور غير الاشـارة الی العرش الـذی يملأـه الظلم، و الفجور، و الخلاعـات المتلبسـة بـالعهر، و كلها موائـد الحكام المتسلسـلين من السفاح، و من أعهرهم و أمكرهم هارون‌الرشيد الطافح باللؤم، و الكذب، و البهتان!!! و لا أظن الامام موسی – الآن – و هو فی ظل من ظلال الذكر – إلا و شرذمة من شراذم الكفر، تقتحم بستان النخيل الذی ورثه من أجداده الفقهاء، لتسوقه مخفورا الی السجن الذی هو فی إدارة الفضل بن الربيع، و قـد عطف عليه – هـذا الفضل – و تركه حرا مكرما فی دارته التی أنشأ فيها الامام الآن، دراسـته التلميحية الأخيرة، و كان عنوانها، مكارم الأخلاق.

مكارم الأخلاق

لن تكون هـذه الدراسـة الموجزة أكثر من تلميح موجز – أيضا – عن إيمان الإمام المطلق بالأخلاق التی هی تعبير عن ماهية الأمة التی هی المجتمـع الإنســانی... و الأخلاـق – فی نظر الإمـام – هی الـتی تبنی الانسـان – المجتمـع: إمـا الی ازدهـار، و إمـا الی انهيـار... أما الازدهـار، فالأخلاق الكريمـة هی عنوانه... و أما الانهيار؟ فبئس المصـير تسـتبد به منازع السوء؛ من كـذب، و زور، و مجامع بهتان!!! [صفحه ۱۸۱] أما عناوين الأخلاق الكريمـة عنـد الامام: فإيمان بالله سـخی العافيـة – تتوجه التقوی – و تتفرع منه أنقی الصـفات – منها الصـدق فی القول و الفعل، و منها العـدل فی الأحكام، و من السـخاء، و العفاف، و الحب، و المودة، و السـماح، و الغفران... و بالتالی: ابتعـاد عن الحقـد، و عن الأطمـاع، و عن التعـدی علی الزمـام، مع احترام الشـرائع التی تحمی الانسـان من ضـيم الإنسان... أما التكبر و الكبرياء... و الظلم و الاسـتبداد، و التعسف بشؤون العباد!!! فتلك هی الآثام التی ينشـحن بها الحكام الطغاة،... و هی التی سـتؤدی بهم الی جحيم النار!!! بهـذه التحاديـد المبتسـرة و الخيرة، عرف الامام الأمـة الی الأخلاق الكريمة، و كان القصد من التعريف ملء آذان و أذهان الحاكم، الفرد، و هو الجالس فی كرسی العرش حتی يهتم ببناء نفسه البناء الصحيح – ليكون له – بالتالی – بناء الأمة التی هی – رخيصـة و عبـدة – بين يديه!!! و بهذا الصدد قال: – دع الباطل و ان كان فيه نجاتک –... فإن فيه هلاككک!!! و قال أيضا: – أحسن من الصدق قائله – و خير من الخير فاعله. [صفحه ۱۸۳]

موسوية الإمام

و كأنى بالامام موسى ما تزوج بعدة نساء، تلبية - فقط - لسنة طبيعية تفرضها علينا مقومات الحياة، بل انه اعتمد الزواج وسيلة تمكنه من إكثار النسل، ليكون له - من ذريته بالتخصيص - عدد تعويضى سيملأ به المراكز الشاغرة التى كانت عامرة بالعلويين الطالبيين الذين حذفتهم سياسة الفتك من ساحة الأمة!!! لقد اعتمد هذه السياسة الغادرة كل من بنى أمية، و بنى العباس، و كما غيب عن الخط الطالبى جميع أوليائه الطيبين: ابتداء بالإمام على، مرورا بالحسن، و الحسين، و زين العابدين، و الباقر، و الصادق، وصولا - بالذات - إلى الإمام موسى، من دون أن ينقطع - عن الطالبيين جملة و أفرادا - لا الوعيد و لا التهديد، ساعة بالفتك، و ساعة بالإبادة!!! انها أسباب جذرية، راح الإمام يتعمق بدرسها، كواقع مؤلم، لا نجاة منه إلا بكثير من الحكمة و الدراية... و كان التلطى فى الأزقة، و الهروب من المواجهات الدفاعية عن الذات، وسيلة من الوسائل السلبية الضعيفة التى كان يعتمده الطالبيون، للمحافظة على أرواحهم من وطأة [صفحه ۱۸۴] الاضطهاد... إلا أنها كانت مداورات شحيحة الإفادة... أما الإمام - و هو فى المركز المرموق و المستهدف، فإنه كان يعتمد اللباقة الذكية فى مقابلة الحاكمين العباسيين المتملكين الساحات كلها، و كان له وعد منهم بالعفو عنه، ما دام له الخضوع لإرادة العرش!!! و لكن الإمام - و هو فى حالات التلطى الذليل - كان له منحى آخر، يدرس فيه المخططات الكبيرة التى يجب أن ترسم، لا ليخلص عنقه من الذبح، إن لم يكن فى هذا المساء، فمع الصباح هو الحاصل بلا مراء؛ بل يخلص الأمة من عناء و ذل طويلى الأمد، لا يخلصها منهما إلا بناء جديد يكسبها قوة دفاعية، تقف بها فى وجه عرش يستبد بها، و يمتصها وريدا وريدا!!! و من يدرى، فى أى غد تنتهى ساعة القهر!!! و انبثقت فى حفيظة الإمام فكرة كأنها نوع من هوس... و لكنه استقبلها بجدية، و راح يدرسها - بإمعان - و استحى من أن يتلفظ بها بشفتيه... حتى لا تسمعها الجدران! ما هى هذه الفكرة التى امتنع الامام عن ذكره حتى أمام الجدران؟... و لكنه لم ينطق بها الا فى سره المقدس، و لكنه هب الى تنفيذها بالتمام! و ها أننا نرى التنفيذ الذى سجله لنا التاريخ و هو يعد ذرية الإمام موسى بستين فردا، ابتداء بالامام الرضا، و انتهاء بعبدالله... انهم الذكور من أبناء الإمام، و عددهم ثلاثة و عشرون، ما عدا الإناث، و عددهن سبع و ثلاثون... و أقول: لو أن الإمام الذى عاش أربعة و خمسين عاما، و لم يغيبه السجن عن جدران البيت سبعة عشر عاما... لا نجب ستين آخرين، ليكون عدد ذريته مئة و عشرين!!! لقد أراد الإمام - فعلا - إكثار النسل، لهدف لم يرد إعلانه أمام [صفحه ۱۸۵] الجدران، و قام به ضمن الجدران... أما الهدف القائم فى طوية ذاته، فهو الجليل المؤمن بأن الأمة المنتظرة فكاكا من كل ما يكبلها من ذل و بهتان، لن ينيلها هذا الرجاء، إلا نخبة من أبنائها الموجهين بهذه الأشواق الملتهبة بالصدق و الإباء!!! و اجتهد الامام، بكل ما فيه من صدق، و شوق و إباء - فى تحضير أبنائه التحضير المجهز بما تحتاجه الأمة من إغاثة تستعين بها الى وصول مرجى... و هكذا نما أبناؤه بين يديه... و كلما بلغ الواحد منهم أشده، زوده بالرشد، و أبعده من يثرب الى جوار كان يثق بحبه و إخلاصه لأهل البيت... و ها هو يحضر ابنه الرضا، و هو المجهز بالعلم، و الفهم، و الإدراك - و يدفعه الى هذا الجوار - إيران - بعد أن لفلفه بإمامة، ستكون له بعد أن يهجر أبوه الدنيا... و لم يكد يصل الإمام الرضا الى خراسان، حتى تبنته إيران، و أنشأت له جامعا - اسمه - لائقا بمقامه!!! بعد مرور سنوات معدودات، كان العديد ممن خلفهم الإمام موسى، قد تركوا يثرب - هروبا مدروسا ينجيهم من الظلم و الطغيان - و تغلغلوا فى كل أنحاء الأرض الإيرانية الحبيبة و الصديقة، حيث تجذروا، و شاركوا فى البناء و العمران... أما نموهم الاجتماعى، فقد حققه لهم الانتماء الصادق باسم الموسوية المتسعة فى إيران... و ها هو، بعد نيف من مئآت السنين، يظهر فى إيران الإمام الخمينى العظيم، و هو موسوى الانتماء، ليحرر إيران من طغيان الشاه، لتكون إيران - بعد أكثر من ألف سنة من سنوات الطغيان - حرة و مستقلة باسم الامام الخمينى الموسوى الإنتماء... تلك هى الموسوية - بحد ذاتها - انها انتماء الى الاسلام الطالبى الذى حمله الى الأمة قرآن عربى، جمعه - ناطقا بالحق - طالبى هاشمى اسمه - محمد -. [صفحه ۱۸۶] و يا للإمام موسى، يعتمر به الاسلام الطالبى، لينشىء من ذريته بالذات، كوكبة من المغاوير، ينزحون من يثرب، الى جوار إيرانى كريم الانتساب... فإذا بهم - حيث حلوا - يبنون للغد مواعيد الغد... و ها هى إيران اليوم، لا يصدق بها إلا العهد، فى تركيز الاسلام المحمدى - الهاشمى - الطالبى، على عمد من التقوى، تعمر بها الأخلاق البريئة من الهذيان!!! ان الإمام موسى الكاظم، هو الحى -

الآن – فی الوجدان، تحت شعار الموسوية. [صفحه ۱۸۷]

القاب الإمام

اشاره

و ألقاب الإمام... أنا لا أظنها أقل من أوشحة نسجها المجتمع – بالذات – و غمر بها الامام ليرتديها، و يمشی بها – أمامه – فی الساحات... أما خيطان الأنسوجة هذه، فإن الامام المرتديها كأوشحة له، هو ذاته الذی جمعها خيطانا علی معزل له، تناوله المجتمع، و راح ينسج به قدود كل و شاح... أقول ذلك لأعنی أن الألقاب التی يتصف بها أی من ملقب، هی صفات تعبيرية، يتلازم بها صاحبها تحت عين المجتمع، لتكون منه، و هو منها فی حقيقة الملازمة... أما الصفات هذه – و لا فرق بين أن تكون بهية أو هزيلة – فهی من خبيئة نفسية، لا يلتقط إلا بها ذياك الملقب فما هی هذی الصفات التی لملم المجتمع خيطانها عن معزل الإمام؟ و نسج بها – بالتمام – أوشحة كريمة غمر بها عنق الامام، و هی لا تزال حتی الساعة، عناوين تبنی بها الأمم الناهضة حقائق وجودها المرتبط بأعز الصفات، و من أنبلها الصدق مع الذات، و العدل المشفوع بالاستقامات، و الطهر المنسول من الخلق الكريم، و الانسانية المشتقة من الكرم، و التسامح، و الحب العفيف... و كلها مقومات تطهر المجتمع السليم: من الحقد، و البغض، و كل أنواع الزنی... و من الكفر الذی يبعد الله عن نعمة الإنسان! [صفحه ۱۸۸] أجل – ان الصفات التی وشح المجتمع بها، هی من هذا النوع الجليل الذی نوهت عنه الآن – و انها صفات غريزة تجمعت فيه، لتجعله فريدا بين الانداد... و لو لم تكن هذی المزايا غزيرة و متعددة، لما جعلته فی هذه الفرادة المنوعة الصفات... و أعنی: أن تلاحمها فيه، و تناسقها، و تلازمها، و تجانسها فی شخصيته – هی التی نسجته بهذه الشخصية المتعددة المواهب، و المزايا، و الصفات... و أعنی أيضا بالتفصيل: أن كثيرا من الأفراد يتميزون بنعمة الصدق – مثلا – و قد تساندها نعمة أخری من وزنها، من دون أن تجمعهم الی خوانها فرادة الامام المتمتعة بالصفات العديدة، و كل واحدة منها تغنيه بلون جديد من المواهب التی يندر أن يستجمعها – متوافرة فيه – أحد من الأفراد!!! انه لمن الممتع و المستطاب – و نحن نختتم هذه السيرة المستضيئة بذاتها – أن نستعرض بعض الألقاب التی محضه بها المجتمع الذی تفانی الإمام من أجله، و لم يقبل إلا أن يموت و هو يصلی له بيوم جديد، له صبح أبيض، و شمس تنشر البهاء، فی الأفق الحزين! هنالك أربعة ألقاب استنسبت الآن عرضها، و تناولها بشیء من الدرس، ليكون لنا منها بعض استجمام، و بعض تحسس – مع العلم أنها تصلح لأن تكون أمهات لكل الألقاب الأخری التی خصها المجتمع بالإمام، و هی تفوق العشرة بعددها – أما هذه الأربعة، فهذه هی عناوينها: الصابر – ذوالنفس الزكية – الكاظم – باب‌الحوائج – أما مجموعة الألقاب، فإنه تتألف من: الزاهر – العبد الصالح – السيد– الصادق – الوفی – الأمين – المستنير!!!

الصابر

و لن يكون الصبر – فی تحديده الموجز – أقل من موهبة تتحلی بها [صفحه ۱۸۹] النفوس الكريمة فی تقبلها، أو تحملها كل ما يعترضها فی مجری الحياة. و لن يكون غير العقل فی تكييف هذا الصبر، و توسيع مجال النفس به، حتی يتم للذات تحمل ما يفرضه الواقع!!! من هذا النوع كان صبر الإمام فی تقبل و تحمل كل ما قابله به العصر من أنواع التعسف، و التعدی، و الاستبداد – و لقد ألمحنا بها كلها مشروحة فی سيرته المعروضة أمامنا فی هذا الكتاب... أما المهم الذی نشير اليه الآن، فهو ان الصبر الذی اعتمده الآن الإمام هو من تعيين العقل الملم بكل قضايا الأمة التی [لن يبعد عنها الضيم الكبير الزاحف اليها من تعسف الحكام، و بالتالی – من قيام البعض من أفراد الأمة بشیء من العصيان] إلا الصبر علی هذا الضيم... من الآن حتی يتم للأمة كلها وعی يجمعها كلها للقيام بعمليات الرفض!!! ألم نر فی مجال هذه السيرة – أن البعض من أبناء الأمة قرر رفض الحاكم، و اعتمد العصيان... و قبل عمليات التنفيذ، جاؤوا

يستشيرون الامام، فكان جواب الإمام: - ليس الوقت وقتكم! و لن يسوقكم العصيان غير المستوفى شروطه، إلا الى هلاككم، و تمزيق خواطر الأمة بالضيم و الهوان!!! لم يطع رأى الامام القاضى الآن بالرضوخ الصابر - و حزت رؤوس العصاة - و قاست الأمة و يلات الاضطهاد!!! و تم للإمام تليين المواقف، بصبره الراضى بالرضوخ لهيمنة الحكام،... الى أن يغير الله أمرا كان مفعولا! من هنا كان إدراك الأمة بأن الإمام الواقف على كل التفاصيل العميقة الجذور، لم ير غير الصبر الطويل مجازا تسلكه الأمة حتى تنجو من المجازر [صفحه ۱۹۰] التى تهددها فى كل آن... و من هنا - أيضا - أدركت الأمة أن الصبر الذى يتعلق به الامام هو خط من خطوط الفكر، لا يجوز أن تحرم منه النفوس، لا فى تحمل الضيم - و حسب - بل فى حالات التنعم بفيض الغنى... ان التصبر على الغنى يوقى الذات من الوقوع فى مجارف الخلاعات، و يوقظ النفوس الى حقيقة المنطق، و الى الميل الى فعل الخير و المبرات،... و بالصبر هذا يتم الجنوح الى كل ما هو صواب و مشروع... لقد طرح الامام كل ذلك أمام الناس... شرح الصبر على الضيم - و شرح الصبر على الغنى الفائض عن حاجاة الحياة... أما الأمة فى مجموعها المتكامل، فإنها رأت أمامها صابرا ممتازا، يفسر الصبر بأجل معانيه... فلقبته بالصابر.

ذوالنفس الزكية

و تفتحت عين المجتمع على هذا الصابر الماشى أمامها فى الساحات، و راحت تشتق له ألقابا أخرى كانت تشع منه، و من أبهاما و أزهاها: ذوالنفس الزكية... و لقد لقبته أيضا: [بالزاهر] أو [المستنير] أو [بالمستضىء]... و كلها أضواء منه، شعت عليه، و على المجتمع، حتى و لو كان الآن قائده جعفر المنصور!!! ان المنصور - ذاته - قد تحسس بأضواء الإمام، و انتدبه ليمثله فى عيد النيروز، و هو عيد أول السنة الشميسة عند الفرس - و هو عيد النور، و عيد البهاء، و عيد الضوء الذى يمثله الآن الامام موسى، بما اشتهر به من أنس زاهر بالوداعة، و الصبر، و جلال التقوى!!! بكل هذا الصفاء فى النفس - و هو المتجلى فى كل أعمال و أقوال الامام - تأثرت عين المجتمع و وشحته بهذا اللقب: [ذوالنفس الزكية]. [صفحه ۱۹۱]

الكاظم

انه اللقب الكبير الخافت النبضات، و النابض الأكمات... يأخذك اليه، و يأسرك فى ظله - و أنت واقف - كالمشدوه - تسأل: عمن تعرف «أل» التعريف، و أى شىء يخبىء فى عبه، هذا الكاظم؟ و على مهل مشبع بالتأمل، يأتى الجواب بتفسير الفعل: كظم، تفسيرا قاموسيا: يعنى: كظم الغيظ، أى أخفى الغيظ - أى خبأه - أى صمت عليه و لم يذكره - أى طواه فى دخيلة نفسه و تحمله - أى صبر عليه و لم يطلب تخفيفا منه!!!، اما الذى كظم الغيظ، و تحمل أثقاله النازلة عليه كأنها القناطير، فهو الامام موسى: تحمله منذ أن ولد، إلى أن طواه الوجود - تحمله اضطهادا، و إبعادا عن دائرته الإمامية - تحمله ذائدا عن الأمة، و عن الطالبيين - بالتخصيص - حتى لا يشتتهم التنكيل و التشفى - تحمله مع المنصور يقبله قبلة يوضاس الضائعة بين الحب و البغض - تحمله مع المهدى و الهادى، و هو قابع فى الزواريب حتى ينجو من سخافاتهما الظالمة - و أخيرا، تحمله وسيعا بلا حدود: مع هارون‌الرشيد - يزجه فى السجون المعتمة، طيلة سبعة عشر عاما، و لم تنته إلا بإطعامه ثلاث حبات من العنب، محشوة، بماذا؟!!! بنقطة سم!!! لقد تحمل الامام موسى كل هذا الغيظ الجسيم و المتفرع اللقطات، و هو الصابر و المعلم الأمة كلها صبرا شبيها بصبره، حتى لا ينالها، لا التشفى، و لا الاضطهاد... تحمله بصبر عجيب، و بإيمان بالله المنيل الصابرين حسن الجزاء... تحمله بأناة كريمة الصفاء، من دون أن يتذمر منه، و من دون أن يخسر من عزة نفسه، و لا مقدار حبة سمسم... تحمله بكل إباء، و لم يلتمس تخفيفه عنه، و لا مقدار شعرة - تحمله بكبرياء [صفحه ۱۹۲] النفس: قصدا منه أن يجعل الضيم المتعدى على الحق، شهادة على الجائر بجبروته المتوحش، و وساما يتسم به المتحمل وطأة الهمجية... و تحمله - أخيرا - كأنه قرص الفداء، يعلم الأمة التحمل الى أن يأتيها يوم الظفر. كل ذلك هو معنى الكاظم - أسوقه إليه أيها المتسائل المشدوه... اما الأمة... و اما الرأى العام الاجتماعى... فهو الذى يصف اسم الفاعل، أو الصفة المشبهة «الكاظم»، «بأل»

التعريف... و لقب الامام موسى: - بالكاظم -

باب‌الحوائج

و أحست الأمـة، بأن الإمام - بكل ما اتصف به - هو حاجـة الأمـة فى مبتغاها الـذى لا ينتهى من سـلمها الصاعد بها درجة درجة، نحو التحقيق - حتى و لو أتى هـذا التحقيق بطيئـا فوق الخطوط المعميـة بالغبـار و الهشـيم!!! و الحقيقـة التى لا تقبل الشك، أو انها ترفضـه ملصوقا بشخصـية الامام المزدهى بأشـرف الألقاب، هى فى أن الامام - بالـذات - كان باب‌الحوائـج كلها التى يجوع اليها مآل الأمـة... فالأمـة تحتاج الى فضـيلة الصبر... و لقد علمها الامام حروف الصبر، و جسده ماثلا و بارزا فى كل أقواله و أعماله... و الأمة تحتاج الى الوعى - و لقد بثها الامام كل مضامينه المنبثقة من التقوى، و الأخلاق الملتزمة: بالحق، و العفاف، و الاحسان، و المعروف، و التسامح، و التغاضى عن السيئات التى لا يقوم بها إلا الجهل، و الكفر المتلبس بالزندقات!!! و الأمة تحتاج الى عمل ينتج لها الخير الآتى اليها من بحبوحة الاقتصاد، و هكذا راح يعمل أمامها فى بستانه النخيل - ساعة يسـمح له تغاضى الحكام!! كما و انه راح الى كل ما يساعده به مـال الأغنياء فى الرعيـة - [صـفحه ۱۹۳] يجمعه فى صـرر و أكيـاس - يحملهـا فى الليـل، و يوزعهـا على المحتاجين، سـدا لعوز كان يضـنيهم، و هم الفقراء!!! أنـا مـا أظن الامام - و لو تلطى بعتمات الليل - إلا و الأمـة كانت تتحسـسه و تكتشف انه باب‌الحوائـج، و انه أصـبح مثالا لكرم نابع من طوية نفسه الزكية - و هكذا لقبته بباب‌الحوائج... و حتى بعد غيابه الذى عجلت به نقطة السم!!! أصـبح قبره مزارا لكل محتاج يجىء فيقرع بابه، فينيله الإيمان بفضائل الإمام موسى، ما يطلبه ذلك الطارق. [صفحه ۱۹۵]

جسر الرصافة

و جثمان الامام؟! انه المطروح الآن فوق جسـر الرصافـة فى بغداد - و جسـر الرصافة مؤلف من دعامتين عريضتين، تجعلان الجسـر فى خطين وسيعين لمرور الجماهير الوافدين الى بغداد عاصمة هارون‌الرشيد، و الخارجين منها - ليل نهار - ان مياه دجلة العظيم، هى التى تزين الجسـر المزدوج و المقسوم، بمرورها المرتفع العباب، من تحت قناطره العالية و المتينة المداميك، و من فوق الجسـر تمر جماهير النـاس الوافـدين و الخـارجيين، مع توقف ملحوظ على أسواره المطلـة، للتمتع ببهجـة تـدفق الميـاة المنسابـة تحت القناطر التى زينها - بالرصف الجميل الأملس - هـذا التموج المائى المرغى، كأنه مرور الغمام الدائم، تحت مسارب الجسـر، حاملا معه هزيجا موسـيقيا، لا تهتز إلاـ به ألبـاب المشاعر! يا للأمـة العظيمـة، لا يسـتهويها، فى حقول الجمال، الا غزير دجلتها الهادر بأمواج الجمال، من تحت جسـر الرصافة، و قد بنته الأمة - مرصـفا بكل أناقات الجمال!!! و يا لهارون‌الرشـيد، يملك الآن بغداد، و ينشـىء فوق مرابعها عرشا [صـفحه ۱۹۶] كأنه جسـر الرصافـة - هنيئا له جسـر الرصافـة، يعرض من فوق قناطره المرتاحـة، أنموذجا من نماذج الصدق، مات، و لم يصدق الناس أنه مات... فجاء سـيد العرش يعرض جثمانه على الملأ الغفير الوافد - يوميا - الى بغداد، و الخارج - يوميا - من بغداد، مثبتا لهم حقيقـة، لم يؤمن بها أولئك الناس؛ و هى أن صادقهم هـذا - قد فارق الحياة و مات... و ها هو جثمانه يثبت: انه - فعلا - قد مات!!! و هكذا تم عرض جثمان الامام موسـى الذى خطفته المنون الى حضـنها الأسود، بعد سـبعة عشـر عاما من السـجن المؤبد، بواسطة ثلاث حبات من العنب المحشو بالسم!!! لقـد بقى العرض ثلاثة أيام - بأكملها - فوق قناطر جسـر الرصافة... و من بعدها حفر للجثمان جدث صغير فى الضاحيـة من بغـداد، حيث هى محفورة جـدثان بنى‌قريش. لم يطلب لى إلا أن أوقف مركبة الزمان فى زحفها نحو الأمام، و جعلها تـدور بى الى الوارء أكثر من ألف سـنة، الى حيث رحت أشاهـد العرض المـدهش الـذى حشـره الآن هارون‌الرشـيد فوق قناطر جسـر الرصافـة... و يـا للتوق الخـارج من جيوب الخيـال، ينقلنى كأنه الخطاف، و إذا بى فى فجوة صـغيرة محفورة فى مـدماك السور القائم فوق الجسـر البـديع، أشاهد من فوق صـفحته الفسـيحة كل الجماهير المتزاحمين للتبرك من الجثمان المسـجى فوق القناطر - و كانت هكذا تتم تحت عينى فصول المشاهدة: من الصـباح الباكر، حتى المساء الزاهر، و من المساء هذا، الى الصباح الوافد و على مدة

ثلاثة أيام كانت المشاهدة: - فى وسط باحة الجسر دكة تعلو عن الأرض عدة أمتار، يجلس فيها سيد العرش، و معه السندى بن شاهك، [صفحه ۱۹۷] و حولهما حشد من الحراس كأنهم للمشاهدة و المراقبة، و للتسجيل الملم بكل حركة يقوم بها جماهير الناس... أما الناس فكانوا المسرعين بمرورهم من تحت الدكة، حتى يقفوا مليا أمام الجثمان المسجى، و هو مغمض العينين على صمت رهيب، و مشرق الوجه بأسارير ينام فيها عبق العطور. - لقد غصت باحات الجسر الفسيح بازدحام ندر أن تلمست مثله هذى القناطر... إلا أن تدخل الشرطة - بين الحين و الحين - كان يسهل عبورا بعد عبور! غير ان الاصغاء الى همسات بعض العابرين، كان يترك بهجة خاصة تغمر الجماهير المتزاحمين حول الجثمان، قبل أن يتركوا المكان للآخرين... حتى أن القابعين فى دكة العرش، كانت تتناولهم هذه البهجة، يتناولونها بالسر، و هم يتفاعلون بها - أيضا - بالسر... - و لم يتوان رجال الشرطة المندسون بين الجماهير، عن طرح بعض الحوارات المتعلقة بوفاة الامام، و كيف ان وفاته هذه جاءت طبيعية و بريئة من اتهام الآخرين... لم يقابل الجمهور - بأكثريته - مثل هذه الحوارات الا- بامتعاض صامت، يودعون به الجثمان، ثم ينسحبون!!! هذا معظم ما شاهدت، و أنا فى لطوة المراقبة... اما ما سمعته بأذنى المصغية، و ما استنتجته بحدسى الماثل فى يقظة الظن - فهو الذى رجعت به الى ذاتى المصغية الى حفيف الأحداث التى حصلت حول الجثمان المعروض فوق جسر الرصافة، قبل أن يحمله سليمان بن أبى‌جعفر [صفحه ۱۹۸] المنصور، و يسلمه الى الامام الرضا بن موسى الكاظم: فيغسله، و يحنطه، و يلفه بحبرة بيضاء اشتراها له - سليمان - بألفين و خمسماية دينار، و بها أنزلوه فى جدثه الأخير فى مقابر قريش القائمة فى ضاحية من ضواحى بغداد! [صفحه ۱۹۹]

حوار فوق جسر الرصافة

مما لا- ريب فيه، أن كل المتوافدين الآن الى جسر الرصافة لإلقاء النظرة الأخيرة على الراحل، كانوا يكنون للإمام احتراما بليغا لا يستحق مثله الا القليل من الرجال... حتى ان هارون‌الرشيد - بالذات - و هو القائم الآن بتهريج سياسى يخسره المهابة و الاتزان - كان مأخوذا بمثل هذا الاحترام، تفرضه عليه مسلكية الامام... و لكن هناك - بين المتوافدين الكثيرين - فئة خاصة من المولعين بالامام، أصبحوا متهمين - بولوعهم الشديد - بالمغالات الفاقدة الحد!!! انهم فرقة الواقفية، أو الرافضة... و الرافضة - فى معناها المبيت، بقصدون رفض الامتناع بأن الموت - بالذات - و هو الملفلف كل حى بالغياب القاسى الإهاب - لن يصيب الامام موسى الذى سيبقى حيا، رغم أنف الموت الفارض سلطانه على العباد!!! يدعى هارون‌الرشيد - و التهريج أبهة التاج عنده كأنه لؤلؤة - بأن عرض جثمان الامام موسى على جسر الرصافة - لمدة ثلاثة أيام - سيقع الفئة الرافضة بأن موساهم المسجى، ما أغمض عينيه، و لا أسبل يديه، إلا الموت!!! [صفحه ۲۰۰] و جاء واحد من فئة الرافضة، و هو عميق الفكر، و سليم الروح - وقف خاشعا أمام الجثمان - ثم جثا و قبل العينين المغمضتين... و راح يقبل القدمين المسبلتين، و هو يقول فى تورية كأنها بنان تشير الى مجرم قاتل: - من أغمض عينيك أيها الحى المبصر؟!! و من أسبل قديمك أيها المشاء بجبروت الحق؟!! و تقدم قائد الشرطة المدسوس بين الجماهير، و هو يبتسم ابتسامة مكفوفة... هز الجاثى أمام الجثمان و هو يقول له: - انه الموت - يا هذا - أغمض العينين... و أسبل القدمين!!! ألم تتأكد بعد؟ أن الموت - وحده - يغمض العين... و يسد الأذن... و يشل القدمين!!! و رفع الرافضى رأسه نحو قائد الشرطة - و بكل اتزان أجاب: - و هل أغمض الموت عينى محمد؟!! و هل شل الصليب قدمى عيسى؟!! و هل أيبست شفتى أرسطو نقطة السم؟!! ألا سل أميرالمؤمنين... انه فوقنا فى الدكة... ألا- تراه - بدلا عنى - يأتيك بالخبر اليقين؟!! ما حسم الحوار هذا الا سليمان بن أبى‌جعفر المنصور: و هو عم الخليفة هارون، و هو -أيضا - تقى مشهور، و من أنسباء الإمم المسجى، و يكن له احتراما بليغا... لقد تمنى على قائد الشرطة عدم التورط فى شؤون لا تعنيه، و لا سيما القضايا الفكرية البعيدة الغور!!! و تمنى على الرجل أن ينصرف دائما الى معانقة الروح التى هى القيمة الخالدة فى مجتمع الإنسان، من دون أن يمسها الموت... و إذا مسها الموت... فعلى الدنيا السلام!!! [صفحه ۲۰۱]

همس فوق جسر الرصافة

و التجمهر؟ انه - عادة - يؤلف اللغط، ثم الهمس الذى تتلهى به الآذان... غير ان اللغط - فى هذه المرة - لم يتخبط به جسر الرصافة... و ساد الهمس أرجاء المكان! لقد أحسست بذلك و أنا فى لطوتى أحصى خطوات الحاضرين فى الساحة... لقد كان جميع المودعى جثمان الامام، لا- يتركون المكان إلا بعد أن يؤلفوا خلايا خلايا، يتهامسون فيها، بعض الوقت، ثم يتصافحون و ينسحبون - و كنت أتساءل فى عمق ذاتى: بماذا تراهم - جميعهم - يهمسون؟ مع أن الموضوع هو واحد موحد: و عنوانه جثمان الراحل... أما السؤال الماثل: كيف يقيمون الأمام؟ و ما هى الصفات التى يلفلفونه بها، و هى منه فى الصميم؟!! ما طالت على موجات التساؤل، و إذا بى - و أنا قابع فى لطوتى - أفاجا برجل جليل المهابة، و معه ثلاثة من أبنائه - كما يبدو - يتمشون بانفعال، و ها هم يتوقفون قربى، ثم يجلسون على رصيف الجسر، من دون أن يلمحوا ترحيبى بهم، و قد فتحت أذنى الغارقتين فى تلافيف الذات، لأتلقى منهم همسا خافتا بكل ما فى أسارير وجوههم من انفعال!!! و رحت أصغى، [صفحه ۲۰۲] و رأسى بين يدى ملفوف بالرجاء... قال الشيخ - و فى همسه الخافت ما يشير الى زوبعة لا تزال هادرة فى نفسه - و هو يحاول أن يلجمها: بالتأنى، و التجلد، و التمسك بحبال الصبر: - ماذا أقول يا أبنائى الأعزاء - و أنتم أملى فى امتداد يومى الى مجالات الغد!... ماذا أقول لكم، و قد لبيتكم، و جئت معكم لتشييع جثمان من عاش، و مات، من أجل أن يبنى لنا - جميعا - مآتى الغد!!! ماذا أقول لكم؟ و ها هو الجثمان معروضا فى هذا العراء البائس الممدود فوق جسر الرصافة!!! و ما هو جسر الرصافة؟ أليس حضانة كريمة لدجلة العظيم، الخالد الآتى الى بغداد محملا بالخير. و الخصب، و كل أطياب العافية؟!! و ها هو الرشيد الذى شاد له جسر الرصافة عرشا موشى القوائم بالدر و المرجان. و كل أنواع اللآلى!!! يحول جسر الرصافة الى باحة بهلوانية التهريج، يعرض فيها جثمانا، ما بقى منه إلا الجلد و العظم!!! أخرجه من سجن مؤبد، لم يكن طوله سبعة عشر عاما، بل سبعة عشر ألفا من الفراسخ المحشوة بالذل و الهمجية، و الكفر!!!.. أى جثمان عرضه علينا هارون‌الرشيد، و هو يدعونا الى التشييع، من دون أن نذرف أية دمعة ساخنة؟!! أجل - أى جثمان عرض علينا أميرالمؤمنين؟!! أجثمان الامام موسى بن جعفر؟ أم جثمان السجين الذى واراه الثرى - صاحب العرش المزهى بالأرجوان - منذ أكثر من سبعة عشر عاما... كأنها سبعة عشر قرنا، من قرون [صفحه ۲۰۳] همجية الانسان، فى حيواناته الجاهلية البائدة!!! ماذا يريد هارون‌الرشيد من عرض الجثمان فى العراء؟!! أيريد أن يثبت لنا ان الامام موسى قد مات؟... ألا ترون معى أن الرافضى الذى سمعتموه يتكلم منذ ساعات، هو الذى أفحم قائد الشرطة، و ثبت له: ان الذى مات ليس الامام بالذات، بل أن الذى مات هو هارون‌الرشيد بالذات... ألا بئس عين ترى مجدها باديا فى العراء، و لا تراه مغمورا بالغباء!!! و بالخجل: نبكى، فى حين يجب أن نضحك، و نضحك فى حين يجب أن ننتحب على كل ما فقدناه من جمال و عزاء!!! و ها هو هارون‌الرشيد - هارون المخامل و البرفير - يجمعنا فوق جسر الرصافة، لنضحك، لا لنبكى... بينما هو - لو يدرى - يبكى و هو يضحك!!! و يا للبهلوانية! تبدى لك عكس ما تقصد!!! أليس قصد البهلوان أن يهزأ منك؟ فإذا هو - بالذات - يعلمك أنت كيف تهزأ به!!! أجل، يا أبنائى الأعزاء! ماذا تريدون بعد منى أن أقول؟!! و ها انى أختصر القول: لو أنه كان لهارون‌الرشيد إصغاء رشيد للإمام موسى، لتنزه عرشه من ألوان الغدير!!! لم يكن للإمام موسى إلا أن يرزم نفسه فى عمليات النصح و الإرشاد: لا للرشيد المتبوء العرش فى بغداد، بل الأمة [صفحه ۲۰۴] كلها الخاضعة أمام العرش، و هى الجامعة دجلة تحت الجسر، تسقى بها الحقول الممدودة حول بغداد... لقد قال لهم، بلسانه: زين العرش يا هارون: بالحق، و العدل، و كل أنواع الاستقامات، حتى يبقى لك العرش، و للأمة التى لا تبنيها، و تنميها إلا الاستقامات... أما الاستقامات، فقد شرحها بالتفصيل، و عاشها بالأقوال و الأفعال... شرحها: بتقواه، و بخلقه الكريم، و بأفعاله الخالية من غبار، و بكرمه النفسى الصافى، و بصبره الطويل على الأذية و المكاره... و إلا... لما لقبناه، نحن الأمة، بالصابر، و الزاهد، و ذى‌النفس الزكية، و الكاظم، و باب الحاجات!!! و لكن الرشيد لم يصغ الى النصح - و بدلا من أن يفسح الساحات أمام من سدد الآيات - فتح السجون كلها، و دفن فيها الناطق بالآيات!!! و بدلا من أن يشرع أبواب قصره لاستقبال المشيعين المدعوين للتبريك بالجثمان - أنشأ دكة و اعتلاها فوق جسر الرصافة، لا لمشاهدة المؤمنين، بل

لمشاهدة المهرجين الذين راح قائد الشرطة يعلمهم إتقان التهريج!!! ما كاد يصمت الشيخ، حتى هبت - أنا - من ملجأى الصغير، و جوانحى تصفق لمقالة الحق!!! و لكنى بوغت بضجة واسعة آتية من تحت الدكة الجالس فيها صاحب العرش! [صفحه ۲۰۵]

همس فى أذن الرشيد

جل ما حصل: أن الشيخ الوقور سليمان بن أبى‌جعفر المنصور - و قد عرفنا قليلا عنه منذ هنيهات، و تبيناه فى حواره مع قائد الشرطة، و الرافضى، كم هو حر و شريف، لا- يمارى فى قوله الحق... و لقد فهمنا انه عم هارون‌الرشيد، و تربطه - فى ذات الوقت - بالامام موسى، قرابة وشيجة، و احترام - أيضا - صادق الوشيجة... لقد كان الشيخ سليمان هذا، من جملة الحاضرين فى عملية التشييع المزعومة، و الملعوب بها فوق جسر الرصافة... لقد كان يتمشى بين الجماهير، و هو يحلل اللعبة اتى قام بها هارون‌الرشيد، بعرضه الجثمان المكشوف فوق جسر الرصافة... و لكن التحليل ما جاء عليه إلا- بنفور بالغ الخطورة، جعله يجمع رجاله الأشداء و يأمرهم بخطف الجثمان من الساحة، الى حيث أجرى غسله، و تحنيطه، و تعطيره، و لفه بالحبرة البيضاء التى كفنوه بها....و ها هو الجثمان فى الأهبة اللائقة به... انه محمول على الأكف، بعد أن استدعى هارون‌الرشيد للنزول من دكته العالية، ليرأس الجنازة، و يسير بها، من جسر الرصافة الى محارم مقابر بنى‌قريش!!! [صفحه ۲۰۶] أما أنا - ذلك اللاطى فى شق صغير قائم فى مدماك رصيف الجسر - فإنى انسحبت لأندس خلف الصف المؤلف من السندى بن شاهك، على يمين صاحب الجلالة، و من سليمان بن أبى‌جعفر المنصور، على يسار صاحب العرش... و مشى ركب الجنازة - و أنا أعلل أذنى الموسعتين، بسماع الهمس... و لم يسمع - يا للحق - إلا الهمس!!! و سار الركب، و كان السير ثقيل الوطء... أما الشيخ سليمان الشديد الانفعال... فكان يغالب انفعاله، حتى لا- يجرح به شعور أميرالمؤمنين! و لكن همسه - بالذات - لم يبرأ من الوطأة الملجومة... و بعد بضع دقائق بدأ و ميض الشرارة... و بصوت، ظنه الشيخ سليمان، خافتا، و لم يكن بالخافت، قال فى أذن الرشيد: - لم أدر حتى الآن يا ابن‌العم: ماذا قصدت بعرض الجثمان فى عراء جسر الرصافة؟!! تبسم الملك قليلا و أجاب: - حتى يتأكد الناس أن الامام قد نام نومته الأخيرة، و لن يقوم منها حتى فى يوم القيامة!!! و حدج الشيخ الملك بعين مقعرة و أجاب: - و كيف تقنع الرافضى بأن الامام قد مات، و هو لا يراه إلا حيا؟!! و بابتسامة منه أكثر جدية من الأولى، أجاب الملك: - هذا شأن الرافضى... فليقم الرافضى مولاه... و ليتمش معه مع المتمشين فوق عرض و طول جسر [صفحه ۲۰۷] الرصافة!!! و لكن إقناع الرافضى بأن الإمام قد مات... هو كل مبتغانا... أقنعه - أنت بالذات، يا عم... بأن الامام قد مات... أتدرى لماذا؟... لأجل أن يرتاح بال العرش من كل من ينام تحت الرتاج... و هو يحلم بأنه يسترد العرش اليه مع هلهلة الصباح!!! قال الملك ما قال... وصمت - كأنه قال كل ما يجب أن يقال!!! أما الشيخ سليمان، فإنه راح الى تأمل آخر، جعله يهز رأسه على مدى دقيقتين طويلتين... ثم لوى عنقه نحو الرشيد، و قال: - لا- أريد أن أطيل حديثا و نحن ماشون فى جنازة!!! و لكننى أو من بك تتفهمنى، فى قليل من بحث، و قليل - أيضا - من جدل... فأنت ذكى يا هارون، و لن يمنعك عن التمادى فى الذكاء، أو عن الاستجابة لكل مفاعيله، إلا عرش و سلطان، يضغطان عليك بالبقاء فيهما، مهما يطل بهما غرور الزمان!!! هذا هو حظك الآن من الملك - فاسمعنى: كل ما فهمت من جوابك المختصر: انك تسىء الظن بالامام، و تحسبه متآمرا على العرش، لاسترداده اليه،، و هو وليه منذ أن فقدنا الرسول، عليه‌السلام... ما لنا و الحقوق المشروعة، انها تستدعى غوصا آخر، قصر عن أدائه الجدود، و نحن نقصر عن أدائه الآن... و لكن الامام موسى، لم يشأ مطلقا زج ذاته، و زج العرش، و زج الأمة كلها، فى مماحكات و مراهنات، ترمى الجميع فى قهر، و خيبة، و امتهان!!! كل ما رآه الامام، و من قبله ثلاثة من [صفحه ۲۰۸] آبائه الكرام: ان الأمة - كلها - و من ضمنها الآن عرشك الباهر اللمعان - لا- يفسخها، و لا- يذلها، و لا- يشل فيها المآتى... إلا جهل عقيم و مقيم، قذف بنى‌أمية الى ماهية السلطان ثم قذف - أيضا - بنى‌العباس الى بهجة السطان!!! لقد عقدت أنا بالذات... عدة جلسات بحثية مع الامام.. و أنا مؤمن بصدقه، و غيرته، على الأمة التى هى مأخوذة بروعة الإسلام... و أقسم لى الإمام بأنه لا يقدس إلا العرش فى ضبط أمور الأمة التى هى حقيقة الإسلام - شرط أن يكون

العرش مشعا بنور الحق، و روعة العدل، و شرف الخلق السميح بالتقوى، و كل الاستقامات!!! هذا هو كل ما يبتغيه الامام، و كل ما ينهجه الامام، فى القول، و الفعل، و حقيقة المسرى... و لم يتأخر فى مجابهتك بالنصح، و صراحة الوعظ... فظننت أنت، أنه يلهيك بالقول، و يذهب بالفعل الى تدبير المؤامرات لتقويض العرش، و استرداده اليه... كأنه - هو - به الأولى!!! و الحق يقال - لقد استشير الامام كثيرا - و حتى أنه استدعى - من قبل الطالبيين العصبيين، لقيادة انتفاضة حسبتها أنت ثورة تنحى العباسيين عن العرش مع انها أقل من عصيان، على الحاكم أن يعالجه برفق، و عطف، و اتزان... و كان الامام موسى، مع أبيه جعفر ضد أية انتفاضة - حتى و لو قدر لها أن تنجح، لأنهما كانا لا يريان [صفحه ۲۰۹] العصيان، إلا و يهدم الأمة التى لم يشملها - بعد - وعى يسير بها لإتمام مسيرتها فوق الأرض... هكذا ارتأى الامام موسى أن إصلاح العرش، بمضامين الفهم، و الحق، و العدالة، هو أقرب من القيام بثورات غير واعية و مدروسة... و لن يكون منها - فى النتيجة القاسية - غير تهديم الجماعة!!! صدقنى يا هارون: إنى أشرح لك - باختصار - حقيقة الامام موسى - رحمة الله عليه - فافهمه مثلى، و احترمه مثلى - و اذكره بالخير مثلى - و واره الآن الثرى، و أنت ذراف عليه دمعة ستحييه مع الرافضى الذى يأبى رؤيته ميتا، بل حيا بكل القيم التى بشر بها قبل أن يصمت... انها - هذه القيم بالذات - لا يطول عمر العرش إلا بها - و كذلك الأمة - فإنها - بها - تنمو - حتى تتمتع بالخلود!!! ما انتهى همس الشيخ سليمان، إلا و الجنازة قد وصلت الى حى المقابر، فحفروا الجدث الذى واروا فيه الجثمان الذى بقى معروضا ثلاثة؟ أيام فوق جسر الرصافة!!! و تقبل هارون‌الرشيد تعازى المحتشدين، و دمعتان سخيتان تتلألآن على خديه، ما فرح - إلا بهما تتلألآن - الشيخ سليمان!!! لقد تأكد له أن الدمع هذا، هو الآن دمع الندامة. [صفحه ۲۱۱]

همس الهمس

ما انصرف المشيعون إلا و أنا أبحث عن الرافضى - و عن قائد الشرطة - و عن الأربعة الذين أتحفونى بحديثهم على رصيف الجسر... و لكنى لم أر واحدا منهم... لقد اختفوا كما يختفى الظل بعد هبوط المساء. و قلت فى صمتى الآخر: أيمكننى استدعاء الشيخ سليمان، لأغمره، و أقول له: أنت ظلى فى التعبير عن أشواق لا تموت، بل تبقى حية فى وجدان كل إنسان لا تخلصه من الكبوات الحيوانية إلا القيم الروحية المثلى، و هى التى لا يزال يحيا بها الامام الكاظم، من جيل الى جيل من أجيال الإنسان!!! بعد عشرين ثانية... وجدت نفسى فى يقظة أخرى، يطل منها وجه مشرق... عرفته... انه وجه الشيخ سليمان بن أبى‌جعفر المنصور... تبسم و هو يقول لى: - هل أنت ظلى؟!! أم أننى لا أزال - أنا - ظلك؟!! [صفحه ۲۱۲] خذ منى السلام و اذكرنى الى أبد الدهر!!! [صفحه ۲۱۵]

الخاتمة

خواطر

أيها الامام الجزيل الوقار لقد مررنا بك - فى هذه الصفحات الصغيرة - و نحن نتلمسك بشوق ما شفى منا الغليل... و انى الآن بين يديك، أقر - أيها السيد المهيب - بأن الإحاطة بك الإحاطة الوسيعة، هى التى لا تزال أمامنا فى الغد الوسيع... و بقدر ما نتوسع - نحن - فى محارمها، يكون لنا قدر مماثل، يشفى منا ذياك الغليل! كأنى لا أقول ذلك بلسانى، بل بلسان الأمة جمعاء - و قد نذرت - أنت - لها كل جهودك المبلولة بفداحة العناء، من أجل أن تحقق لها طول الصفاء، و طول الرجاء! و ها انى أقول بلسانها: لو أنها تفهمتك - بتمام الفهم - لما كان لها مثل هذا العياء! و الآن أيها السيد، و نحن نكبس - أمامك - بالقلم الصغير، نقطة الختام، لا يبدو أمامنا إلا مثل هذه الخواطر، نعرضها تحت مقلتيك، لا لنرضيك، و أنت فوق الرضى، و فوق التصبر الآتى من خلف بهجات [صفحه ۲۱۶] الانتظار، بل لنرضى قصورنا فى الارتفاع اليك، يا من علوت فوق كل المهانات، و قد رشقك بها العصر،... من دون أن تبالى -

أنت - بكل أشكال المهانات!!! أما الخواطر التى نقدمها بين يديك، فهى ملامح تفيض منك عليك، نقدمها علها، تؤنس فيك - يا سيد - هذه الغربة التى تطل منها الآن فى إشراف وسيع على الأمة التى هيأت لها المطلات الفسيحة، و ما عليها إلا أن تمشى اليها - هى - حين تشتد لها الأقدام الى ضبط المسير! [صفحه ۲۱۷]

فوق القناطر

هنيئا لك أيها الإمام - ما رضيت النوم إلا ـ فوق القناطر!!! و أى معنى للقناطر؟ إلم تتقاطر اليها ميازيب السحب، فى حوملات المجادل... كأن المجرات كلها، هى المتهافتة الى صحفة الأرض، تجدل لها الرى جدائل جدائل، لتكون باحات الرمال - فى نشفتها المحروقة - واحات جديدة، يسوق اليها العظيم دجلة، روفدا الخير، و منابت الخصب، و مضوعات الزهر، و أضاميم الثمر... انه دجلة فى اختزانه دموع السحب، و توزيعها مرافق مرافق على المساكب المتموجة بسيقان القصب، و على الجذوع النامية بكل أنواع الرطب... انه دجلة الخصب يمر تحت القناطر... و أنت - أيها السيد - دجلة الحق، جئت تسقى النفوس بأعذب ما تنمو بها هاتيك المكارم، و هى - وحدها - تشتد بها أواصر الأمة... و رحت تحميها بدفقات المكارم... و دفقات المكارم؟ أنت الذى حزمتها رزما رزما، من فوق القناطر، [صفحه ۲۱۸] و جئت توزعها - تحت القناطر - ضمائر ضمائر، ترفخ بها أكواب الطحين، و تغمر بها فسحات الموائد... كأن الخبز هو المرقوق، لجعل القوت من أطيب منا تتشبع به أفواه الجياع!!! و انساقت اليك دفقات المكارم، لا لتختزنها فى عب الذات، بل لتدفقها حيث تمر ليربوبها، حتى الأجنة، فى بطون الأمهات... انها الأمة فى تحضير اليوم، و تحضير الغد: تجبى لها من الضيم المكظوم، ما يسقيها من الضيم، إذا تحملته، و أغدقت عليه صبرا يعلمها - بواسطة المران - كيف تطبخه فى الأفران التقية، و تفتله من سم الى درياق... و كانت التقوى درياقك، ما حملته فى غرة نفسك، إلا لتجلو به صدور الآخرين، و تكشح عنها حوملات الزغل! [صفحه ۲۱۹]

هارون‌الرشيد

و هارون‌الرشيد! ليس لنا - أيها السيد - غير أن نلقى ستارا على ما نواه الرشيد من إنامتك فوق القناطر... صحيح ان القصد كان فى امتهانك فى العراء، تحت عيون الجماهير، و لكن العكس - بالتمام - جاء مصداقا على أفكه هارون‌الرشيد، و انه ما أضمر مرة خيرا، إلا ـ و كان الشر مبيتا فى نفسه... أما أنت، فلم تكن بحاجة الى قنطرة تعليك فوق المداميك، بل كنت المدماك العالى فوق القناطر الموصولة بكل الرموز... و لكن فى الأمر سؤالا آخر، و ها انى أقول: لم يكن الرشيد نكرة من النكرات: فهو ذكى يشهد بالذكاء له الشيخ سليمان بن أبى‌جعفر المنصور... فلماذا لم يفهم، لا نصائح، و لا مواعظ الامام، و كلها ينقل الرشيد - و هو أميرالمؤمنين - الى حاكم عادل راشد، تعتز به الأمة، و تخلد له الأجيال فى اتصافها به؟!! ألم يفهم هارون، ان المجد كل المجد، هو مما يحوزه الحاكم من نزاهة الحكم، بحيث ينقل الأمة من فراغ الى امتلاء، و الرعية، من تنكر الى سعادة و وفاء؟!! كأنى مصغ إليك أيها الإمام، و أنت الماثل رفيعا فوق القناطر - تثبت [صفحه ۲۲۰] لى ان الرشيد ذكى، و لم يفته ضلع من أضلاع الفهم... لا ـ الفلسفة فاتته و لا تلك الفطنة اللمامة،... و لا النصائح و لا المواعظ، و لكنه لم يرد أن يفهم، و ذلك هو كل البلاء!!! و فهمت أيها الامام... و بدأت أشرح للناس، ما لا يزال يؤخر الناس عن التدرج فوق السلالم... و قلت بشفتى الملعثمتين: ليس هارون‌الرشيد الفاهم الوحيد بين الرجال... حتى ان البسطاء السادجين يتملكون الفهم الذى ينطق به العلم، و الرشد، و كل شروحات المنطق... و لكن الفهم الذى يجب أن يفعل، فلن يكون إلا بتدرج نسبى، يمشى به، على الأرض، و على الدروب، و فوق مدارج الساحات - كل المشاة، بتحسس و تلمس، ينقلبان - يوما بعد يوم، وجيلا بعد جيل - الى مران و ترسيخ و اتزان... لم يذق هارون‌الرشيد، و لا أى حاكم قبله، لا من بنى‌أمية، و لا من بنى‌العباس - مثل هذا الفهم المتدرج به، بواسطة التحسس، و المراس، و المران المرسخ فى الأذهان، و المنقلب الى جلاء الوعى، و

حقيقة الاتزان، و نقاوة الوجدان!!! المراس الطويل هو الناقل الفهم الى حقيقة الفهم، لتكون له حقيقة الترسيخ، لا فى الأبدان، و حسب، بل فى ظنون النفس، و فى خلايا الوجدان... ان من ذلك كله يتألف هارون‌الرشيد: يأخذ الكرسى زهوة سلطان، و زهوة مجد و عز، و غنى مفتوح على كل ما فى الرغوات من شهوات!!! أين هى الكوابح؟ و من أين يجىء فتره الى صواب؟! ان الأمة بالذات، عندما يمتلكها الفهم الآتى اليها من سلالم المران، و طول المران، هى التى يهب بها الوعى الأصيل الخارج - أيضا - من عب الممارسات الموصولة بحلقات المران، و فى التو الجاهز، يرتجع الحاكم عن زيعانه... أو - بالأحرى - ان الحاكم المتهم بالزيغان، لن يكون موجودا فى تلك اللحظة الحاملة مثل هذا المراس، و مثل هذا الاتزان! [صفحه ۲۲۱] ليت هارون‌الرشيد - أيها الإمام - كان مؤهلا بالفهم المرسخ فى الأذهان، و فى الوجدان... لكان لك - به - التقاء آخر، يزيد جلوته الى مستوى مرقوق، و يطيل عمره الى طمأنينة غنية بالسعادة... و يطيل عمرك - أنت - أيها الإمام، بلا سجون تكظم فيها الغيظ الذى تحملته بالتصبر، من دون أن تتمكن من إيصال الأمة الى فهم تناله مقرونا بوصلات المراس، و المران، و الترسيخ المركز فى جيوب الوجدان! [صفحه ۲۲۳]

والأمة

و الأمة؟ كل ما لنا من تحاديدها الطبيعية، و التاريخية، و الجغرافية، ان ندرك انها عظيمة، و واسعة، و شاسعة، بكل ما فيها، من خصب، و أقاليم، و ماهيات بشرية متعددة النزعات و المفاهيم، لقد كان يجمعها الاسلام، من دون أن توحدها المفاهيم، أن تنظمها المناهج... غير ان الامام موسى، و هو طالع من اختلاءات نفسه، حاول جمعها بالفضائل، و بالصبر، و بالتأنى، من أجل العبور بها الى ظروف موالية، تحقق فيها ما ينجيها من الكوابيس التى مرت بها من عصر أموى ضاغط، الى عهد عباسى آخر تكاد تنحصر فيه كل البلية!!! لقد تبينا كل ذلك فى سياق هذا الكتاب، أما التوقف الآن عند طرح استفهامين متعلقين بالعرش، و بالتالى بالأمة، فلكى يكون لنا تفسير تستفيد قليلا فيه الأمة، فى معالجة الأمور التى يحملها اليها الغد! لقد كان الاستفهام قائما فى استكشافات الاسباب التى حالت دون إفهام الحاكم هارون‌الرشيد، بأن العدل و الحق يحققان له مجد السيادة، و فهمنا ان الفهم لا يكفى فى عملية الاصلاح، ما لم يقترن بسلسلة اخرى من الممارسات الدائمة التى تجعل الفهم أصيلا فى النفس، و فاعلا فى حقول [صفحه ۲۲۴] الإرادة... و لكن الجواب كان بحاجة الى تفسير أوفى، و لهذا جاء الاستفهام التالى، من أجل بعض التوسعة! أما الاستفهام عن الأمة، فكان بهذا المعنى: لماذا لم تفهم الأمة؟ أو لماذا لم ينقلها الفهم الى الوقوف بوجه الحاكم المستهتر بأمورها الحياتية أو العمرانية، و المتعلقة بكل شؤونها الإصلاحية... و الانمائية، و الحضارية!!! و ليس غير الأمة - من فاعل لا يغلب - يتمكن من عملية الزجر؟!! لقد كان الجواب على الاستفهامين من مورد واحد، أما التوسعة هذه، فهى التى تزيدهما شرحا و إيضاحا... و الحق يقال: لم يكن الذكاء محصورا بالرشيد، فهنالك، بين طبقات الشعب، أذكياء منتشرون، و كان الإمام موسى يشرح لهم كل آرائه الفلسفية، و الفكرية، و الاجتماعية... و كانوا يصغون، و يفهمون... و لقد سمعنا الرافضى يحاور قائد الشرطة بفهم خارق الإدراك، و سمعنا كذلك الشيخ سليمان يملى على الرشيد أميرالمؤمنين، موعظة فيها كثير من بعد، أليس هذا الفهم المتبادل بين الرجال الثلاثة، و قد ذكرنا أسماءهم، و الذين يوجدون بين ظهرانى الأمة بعدد وفير؟... فلماذا لا يفعل الفهم لا مع القلة الممثلة بالرشيد، و لا مع الكثيرة المنتشرة فى الأمة... و لقد قدمنا انموذجين منهم، و هما الشيخ سليمان، و الشيخ الرافضى... و لكنى لا أرى الجواب إلا سهلا يسيرا، و أكرر القول: ليس الفهم وحده هو المجترح الاعجوبة... سيبقى هذا الفهم كلاما أسير الحروف، قبل أن يكون فعلا حاضر الحركة... و الحركة فيه انه فعل جامد، و لن يحرره من الجمود إلا تفاعل ضمنى لا يهزهزه إلا التحسس النائم فى الشعور، فيلملمه الى ما يشبه التقمص، ثم ينقله الى الممارسة التى تحييه فيه جيوب النفس، و يمتد به التمادى الى الاعصاب المستفيقة بفعل الارادة... [صفحه ۲۲۵] و مع الوقت الذى يطول، تصبح الممارسة فى عمق الأصالة... و الإصالة فى حالة الفعل، و الفعل فى خضوع آخر، يتصرف به المنطق و يدخله الى حيثية التنفيذ الذى تعينه الأمة من حقيقة الواقع. ذلك هو الفهم فى طرحه الأول... و لن تهتز به الى حركة و فعل الا الممارسة المتمادية، كأنها المران

الطويل، و لن يكون الفهم الذى تشاؤه الأمة فاعلا فيها فعله الأكمل، إن لم يشمل الأمة كلها، و هى كما وصفناها وصفها التام: كل ما تحتويه الأمة: من أرض، و خصب، و انتاج، و بشر... و من تاريخ، و زمان مضى، و زمان تتملىء به مآتى الغد... و من تصاميم، و مناهج، و علوم، و جامعات، و عقول تولد الابتكارات التى تونع بها الانتاجات الذهنية المعبرة عن الحق، و العدل، و كل الاستقامات... و هى التى - وحدها - تبنى المجتمع الأمثل الذى يشتاقه طموح الإنسان فى فهمه الأكمل!!! من توجه الى الأمة الوسيعة هذه، و راح يشرح لها هذا الفهم الموسع؟ لا معاوية ذهب حاملا سلال الفهم، و لا السفاح، و لا المنصور، و لا هارون هذا جاءها حاملا اليها شراع الفهم!!! أما الامام، فقد زج مناشير الفضائل، و العلم، و الغيظ المكظوم... و حمل الضيم، و القهر، و الصبر، و مشى يبشر الأمة بالفهم... و لكن صوته لم يبتعد الى أكثر من يثرب النائمة على جلد و حصير!!! و لم يتمكن من الوصول الى بغداد إلا مبحوحا و مقهورا... وصل اليها ليعلمها كيف تلون السجون المعتمة، بالصلاة و السجود! و كيف ننام فى القبر، الى أن يرفعنا القبر الى متون القناطر! أجل - من حمل الى الأمة الوعى و الفهم؟ و أى منهج من المناهج، أو أية إرسالية من الإرساليات - أو أيه إدارة من الإدارات - أو أى هدف من الأهداف - راح يجوب الأقاليم، فى طول البلاد و عرضها، حاملا إليها [صفحه ۲۲۶] الجامعات العلمية، و الفكرية، و الثقافية... و هو يشرح سبل الفهم، و سبل العلم، و سبل الحق، و سبل اليقظات الناطقة بكل الحقائق!!! لم يحصل شىء من هذا، شمل الأمة كلها المحدودة فوق مفاسحها المتباعدة الأطراف،... فكيف نطالب الأمة بفهم فاعل لم يصل اليها منه شىء بعد... لم تكفنا يثرب، ننشىء فيها جامعة، و ننشر فيها علما، و وعيا، و فهما... و لم تكفنا بغداد، نرفع فيها قصورا، و نعتم فيها سجونا تطفىء فينا البصائر... و لو فرضنا - أن الفهم كله قد حصل، من سيف البحر حتى الطلول من فدك... و لكن الفهم - و إن يكن وسيعا وسيعا - يبقى فى حيز مفرد، و لا يجديه نفعا غير الممارسات، و أقول الممارسات الطويلة و المستمرة... فهى التى تجلوه، و تحييه، و تصقله، و تتفاعل فيه الى ما لا يحد... أليس هذا هو الفهم الآتى من بحور العلم؟ ليبقى بلا موج، حتى تتناوله الممارسات، فيعلو الموج، و تتلاطم به الريح، و تتناقله العواصف دررا من ذريرات الزبد!!! ألا فلنتغن بالممارسات، و بفعلها المحتك بالفهم الصامت، و لنستشهد: - هل نفهم الصدق؟ ان لم نمارسه؟ - و القراءة؟ فلنمارسها، حتى نعرف كيف نقرأ. و الحب؟ فلنمارسه، حتى تغتبط منا المهج. و المشاعر النبيلة؟ فلنغص فيها - بالممارسة - حتى تسمو بنا العواطف. و المواطنة؟ فلنمارسها حتى نبنى بها تكاتفنا فى الحياة السعيدة و المجيدة. [صفحه ۲۲۷] و الحق؟ ألا يموت الحق ان لم نمارسه بلا انقطاع؟ و العدل؟ ألا يضيع العدل ان لم نتعشقه و نمارسه؟ و الطهر و العفاف؟ كيف يبقيان لعيالنا فى الستر و الصيانة، و حقيقة الجمال؟ ان لم نمارسها فى السر و فى العلن. و الإيمان بالله؟ كيف نبنى به مجتمعياتنا الطاهرة؟ ان لم نمارسه بالصلوات، و المبرات، و الخشوع المطلق... و الوطن الذى هو الأمة؟ كيف نعتبره إطارنا الخالد فى الحياة، إن لم نمارسه بالصدق الكبير، و الفهم الكبير، و الإخلاص العميم؟ و الآن؟ ماذا يبقى لنا غير أن نمارسك - أنت - أيها الإمام... [صفحه ۲۲۹]

و أنت أيها الامام

لقد بقيت لنا أيها الإمام - كأنك الإرث - تتلقط به الأمة هابطا اليها من بين طيات الغمام... فعلا - انك الإرث أيها الإمام - ضممت فيه كل ذاتك: و هى فهم عميق الحواشى، ما جمله إلا إطار من خشب الصبر الشديد الصلابة، كأنه خشب الأرز المتشبثة به متون القمم! و الإرث الباقى للأمة... لقد بقى لها مصمدا - من جيل الى جيل - لأنها لم تنله منك إلا قيراطا صغيرا مذ احتجزته السجون، فمنعته من الامتداد الى كل نظر، و كل دسكرة، و كل خلية نمت فيها نطفة إنسان! و الأمة أيها الإمام - ما امتد اليها - بعد - هذا الفهم الذى كنت تريده - أنت - لها فى المنال - و بقى لك ممهورا بالوشم... و كان الفهم عندك تبليغا وفيا قائما: بالعلم، و الوعى، و الحس النامى بالمكارم، و بالأخلاق المتينة بالصدق، و الحق، و العدل، و كل الفضائل الانسانية - المجتمعية - المزينة بالعفة، و الحب، و الإخلاص المنزة من أى غبار! انها صفاتك فى الحقيقة الممتازة... عشتها - و جسدتها فيك - قدوة - و مثالا - و قولا - و فعلا... و اعتبرتها فهما تنقله الى الأمة نقلا حيا، فاعلا [صفحه ۲۳۰] فعله فى النفوس، فعلا مستمرا، و متحركا، و ناميا، يا للممارسة!!! ان العظمة

فیک أیها الإمام – و هی الباقیهٔ فی إطارک – إنک تناولت الفهم، و رحت تحییه بالممارسهٔ... أما الصبر الطویل الذی اتشحت به – اهابا – فهو الذی مارسته، و غدا و شما لک، لا یزال باقیا لنا فی الإرث الذی سیتعز به بقاء الأمهٔ فی انتظارها: تحقیق الغد [صفحه ۲۳۱]

و بعد الغد

و بعد الغد؟ لقد أفهمنا الإمام موسی مضامین الغد. و أفهمنا – أیضا – کیف أن الصبر یحل العقد. و بعد الغد؟ یکون قد انتهی السجن المؤبد. – و تأتی الممارسات. و ها هی الأمهٔ – تحلو لها – ولایهٔ العهد.

تعریف مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُّمْ تَعْلَمُونَ (التوبهٔ/۴۱).
قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلّامهٔ فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).
مؤسّس مُجتمَع "القائمیّهٔ" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیهٔ الله "الشمس آبادی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذهٔ هذه المدینهٔ، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرهٔ الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحهٔ صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَهْ ۱۳۴۰ الهجریّهٔ الشمسیّهٔ (=۱۳۸۰ الهجریّهٔ القمریّهٔ)، مؤسّسهً و طریقهً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.
مرکز "القائمیّهٔ" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَهْ ۱۳۸۵ الهجریّهٔ الشمسیّهٔ (=۱۴۲۷ الهجریّهٔ القمریّهٔ) تحتَ عنایهٔ سماحهٔ آیهٔ الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَهٔ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّهٔ و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّهٔ، ثقافیّهٔ و علمیّهٔ...
الأهداف: الدّفاع عن ساحهٔ الشیعهٔ و تبسیط ثَقافهٔ الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّهٔ، تخلیف المطالب النّافعهٔ – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلهٔ أو الرّدیئهٔ – فی المحامیل (=الهواتف المنقولهٔ) و الحواسیب (=الأجهزهٔ الکمبیوتریّهٔ)، تمهید أرضیّهٍ واسعهٍ جامعهٍ ثَقافیّهٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعهٔ ثقافهٔ القراءهٔ و إغناء أوقات فراغهٔ هُواهٔ برامِج العلوم الإسلامیّهٔ، إنالهٔ المنابع اللازمهٔ لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرهٔ فی الجامعهٔ، و...
– مِنها العَدالهٔ الاجتماعیّهٔ: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزهٔ الحدیثهٔ متصاعدهً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافهِ الاسلامیّهٔ و الإیرانیّهٔ – فی أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَی.
– من الأنشطهٔ الواسعهٔ للمرکز:
الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبهٔ، نشرهٔ شهریّهٔ، مع إقامهٔ مسابقات القِراءهٔ
ب) إنتاجُ مئات أجهزهٍ تحقیقیّهٔ و مکتبیهٔ، قابلهٔ للتشغیل فی الحاسوب و المحمول
ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیهِٔ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکهٔ و... الأماکن الدینیّهٔ، السیاحیّهٔ و...
د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّهٔ "www.Ghaemiyeh.com و عدّهٔ مَواقِعَ اُخرَ
ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّهٔ، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّهٔ

و) الإطلاق و الدَّعم العلميّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائيّ و اليدويّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخريّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسيّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز
القائمیة
اصفهان
للبحوث والتحریات الکمبیوتریة
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩